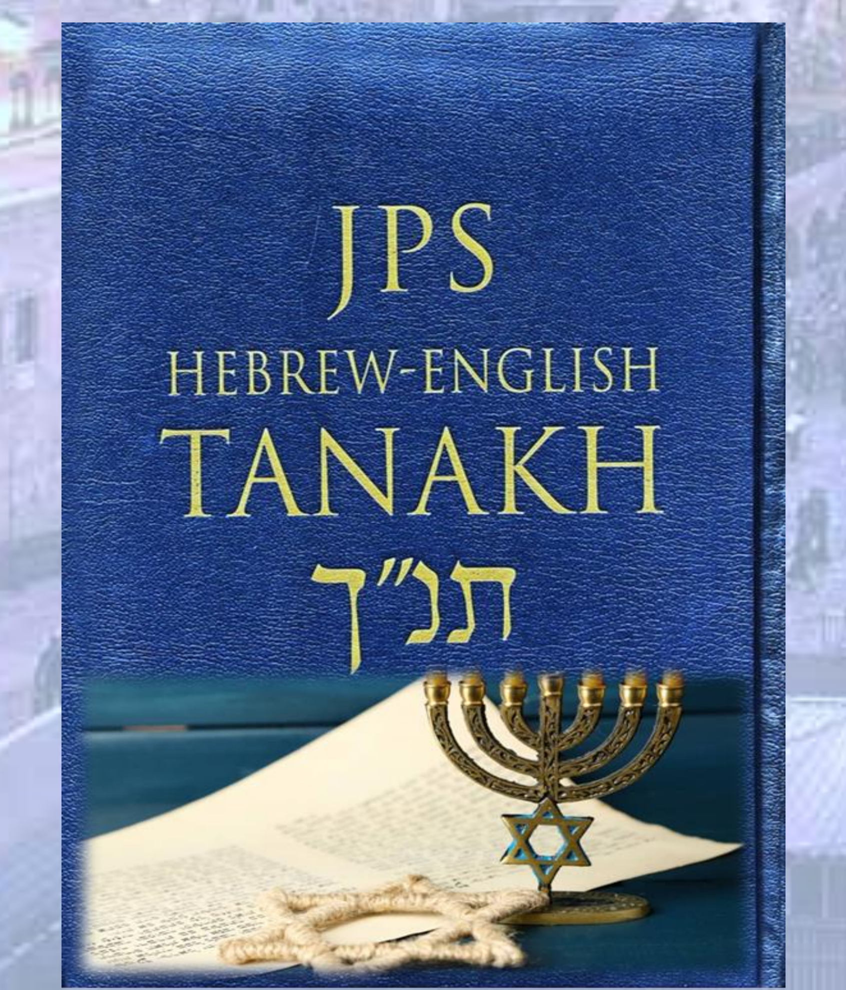
النَّبِيُّ الأُمِّيُّ

خاتم الأنبياء

في الكتاب المُقدس

دراسة مقارنة

تأليف : علاء يعقوب أحمد



النَّبِيُّ الأُمِّيُّ

خاتم الأنبياء

في الكتاب المُقدس

دراسة مقارنة

تأليف : علاء يعقوب أحمد



" إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "

{البقرة ١٥٩ ، ١٦٠}

إهـداء

إلى كل محايد منصف في طلب الحقيقة التي ينشدها ؛

إرضاءً لله الواحد الأحد أولا،

وخلاصاً لنفسه ثانيا،

دون تعصب ولا عناد ولا هوى يُعمي عن الهُدى .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، الرحمنِ الرحيم، ملكِ يوم الدين، الأولِ بلا بداية، الآخرِ بلا نهاية، الحيِّ لا من علة، الواحدِ لا من قِلة، الذي أغدق الخلقَ بنعمه وهو أغني الأغنياء عنهم؛ فكفروا به وجحدوه وهم أفقر شيءٍ إليه.

والصلاة والسلام علي خاتَمِ الأنبياء والمرسلين، محمد النبيّ الأميّ العربيّ الأمين، الذي أرسله الله نوراً وهادياً للأمم ليخرج الناس بإذن ربهم من الظلمات إلي النور، وجعله جامعاً لمقامات النبيين، وبشَّر به علي ألسنتهم منذ القِدَم لجلال شأنه وعظيم قدره، فكان ﷺ دعوة إبراهيم، ونبوءة موسى، وترنيمة داود، ورؤيا دانيال، وخبر إشَعْيَاء، وبشارة عيسى، حتّى إنّ الله تعالى جعله مفتاحا لثبوت إيمان الأنبياء بأخذه تعالى العهد عليهم أن يؤمنوا به ﷺ ويتبعوه إن بُعِثَ بين ظهرانيهم، قال تعالى: (**وإذْ أخذ اللهُ مِيثاقَ النبيّينَ لَمَا آتيتكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكمَةٍ ثُمَّ جاءَكم رَسُولٌ مُصَدقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤمِنُنَّ به ولتَنْصُرُنَّه قال ءَأَقرَرْتُمْ وأخَذْتُم علي ذلِكُمْ إصْرِي قالوْا أقرَرْنَا قال فاشْهَدُوا وأنا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ**) {آل عمران/٨١} إلا أن ذلك لم يقع في زمن أحدهم أو بعضهم لئلا يكون رسولنا الكريم ﷺ فاضلاً علي نبيّ ذلك الزمان الذي التقى به فقط، وإنَّما أُرْجِئَ ذلك إلي أن أرسله الله إلي الناس كافَّةً، ثم أَمَّ الأنبياء جميعاً في الصلاة بمدينة الأنبياء ليلة الإسراء ليظهر فضلُه ﷺ عليهم قاطبةً فضل الإمام علي المأموم الذي لا تصِحُّ عبادته إلا باتباع إمامِه، وليتبين أنهم متبعون له ﷺ اتِّباعَ المؤمنين لنبيِّهم.

وبعد أخذ العهد علي الأنبياء باتباعه ﷺ ؛ أخذ كلُّ نبيٍّ العهدَ علي قومهِ أيضاً باتباعه ﷺ ؛ فقد روى ابن جرير في تفسير الآية السابقة عن عليٍّ رضي الله عنه قال: **"لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا، آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ: لَئِنْ**

بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْمُرُهُ فَيَأْخُذُ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ "[1] . مما يبين أن كل من لم يؤمنوت من البشر برسالة محمد ﷺ فهم من الكافرين سواء أدركوا نبوته وزمنه ﷺ أم لم يدركوها ممن عايشوا زمن الأنبياء السابقين، وذلك لنكثهم بالعهد الذي أخذه عليهم أنبياؤهم.

أمّا بعد ؛ فإن الدعوة إلي الله تعالى لا يقتصر توجيهها إلي المسلم الذي قد آمن بالفعل بالله رباً وبمحمد ﷺ نبيا ورسولاً ، وإنما هي لغير المسلم أيضاً، بل إن ذلك هو الأساس في الدعوة، وهو الذي كان لأجله إرسال الرسل، فكان الأساس هو دعوة الخلق إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الأنداد، وقد قال النبي ﷺ لعليّ بن أبي طالب حينما وجهه لفتح خيبر: **"فوالله لأَنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمرِ النعم"** [2] ولذلك وضعنا هذا الكتاب .

ولعظم شأن هذا النبي الكامل نبوةً وشريعةً وعبوديّةً ﷺ ورد العديد من البشارات به علي ألسنة الأنبياء السابقين، والكثير من الإشارات إليه في الكتب السالفة، وسوف أجتهد أن أبين ما تبقّى منها إن شاء الله في مجموع أسفار الكتاب المقدس مستعينا به تعالى .

وحينما أتناول هذا الموضوع من عدة جوانب، فإنما أتناوله ليتبين ما ورد من بشارات بهذا النبي الخاتم ﷺ وشريعته من جهة، ومن جهة أخرى ليتضح وجوب الأمر باتباعه لمن لم يعلم من أهل الكتاب قبل ذلك فتلزمه الحجة من كتابه.

ومعلوم يقيناً أن الكتب السماوية السابقة أصابها كثير من التحريف والتغيير والتبديل والكتمان والزيادة مما لم يكن فيها ـ كما يعترف الكتاب المقدس نفسه بذلك كما سنتبين لاحقا ـ وحتّى لا يُعترَض على استشهادنا بالنصوص المقدسة باعتبارها مُحرفة أو باطلة نقول: رغم ما أصاب الكتب السابقة من ذلك فإن هذا

١: تفسير الطبري (٥/٥٤٠).
٢: صحيح للبخاري (٤/٦٠) برقم ٢٩٤٢.

لا يعني بطلان محتواها بالكلية وإنما اختلط الحق فيها بالباطل، لكن مازال فيها الكثير مما يُعدُّ حُجَّةً علي أهل الكتاب لصحته، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: **"أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ!، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"**[٣]، ومعنى ذلك أن هناك بقية في كتب أهل الكتاب من الحق المختلط بالباطل، وقد قال تعالي: **(سلْ بني إسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ)** {البقرة/٢١١} يعني المعجزات التي آتاهم الله إياها على يد نبيهم موسى، كانقلاب العصا حية، وانفلاق البحر لهم، وانبجاس الماء من الحجر، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات التي ذكر تفصيلها في التوراة والقرآن.

وقال تعالى أيضاً: **(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** {آل عمران /٩٣} أي هاتوا التوراة واقرؤوها، ففيها الدليل على كذبكم في تحريم أكل لحوم الإبل عليكم قبل نزول التوراة.

وحتى تستمر صحة كون هذه الآيات حجة ـ وهي كذلك إلي الأبد بلا ريب ـ لابد من ثبات ما تؤكده من شواهد في الكتب السابقة، وقد قال تعالي علي وجه الإجمال: **(وَهَذَا كِتَابٌ أنزَلنَاهُ مُبَارِكٌ مُصَدِّقُ الذي بَينَ يَدَيْه)** {الأنعام/٩٢} أي مصدق لما قبله من الكتب في كثير من الشرائع والقصص وغير ذلك، وفضلاً عن ذلك ودون الاجتهاد في محاولة إثبات صحة بعض ما في الكتاب المقدس؛ يكفي الاستشهاد بنصوصه احتجاجاً علي أهله الذين لا ينكرون منه

---

٣ : مسند أحمد برقم ١٥١٥٦

شيئاً ولا يؤمنون بغيره فيلزمهم حينئذٍ اتباع ما أقرَّه، إذ أكثر الشواهد في هذا الكتاب منه.

....

وقد قسمت هذا الكتاب إلى عدة فصول تشملها أربعة أبواب كالتالي :

الباب الأول: **(المغضوب عليهم)** ، ويتناول قضية كون اليهود شعبَ الله المختار ورأيُ الكتاب المقدس في ذلك ومسألة توريث الأرض والشريعة لبني إسرائيل، ومعني التوريث وتعليقه علي شروط، ثم بيان ما جعل أكثر الأمم أنبياءً أحراهم باللعنات .

الباب الثاني: **(ميراث الملكوت)** ، ويتناول ذكر شهادة الكتاب المقدس بانتقال الملك والنبوة من بني إسرائيل إلى أمةٍ أخرى تؤدي حق ربها بتوحيده والعمل بشريعته، وصفات هذه الأمة التي ينتقل إليها الميراث الإلهي .

الباب الثالث: **(النبي الأمي في الأسفار المختلفة)** ، ويتناول توضيحَ صفاتِ رسول هذه الأمة الخاتم للأنبياء والرمزيةَ إليه في الأديان الثلاثة بالحجر كنايةً عن صلابة دينه وختمه النبوة، وذكرَه ﷺ في نبوءات الأنبياء: موسى وداود وإشعياء وعيسى، وأيضاً محلَّ ظهور رسالته، واسمَه.

الباب الرابع: **(مبعث الرسالة)** ويتناول رفض التوراة لأورشليم وانتقال القدسية منها إلى أرض الوحي الجديدة مستقبلا.

الباب الخامس : **(مكة في التوراة بين التلميح والتصريح)** ويوضح نعت الأرض المقدسة للدين الخاتم، وذكر مكة في التوراة، وصفة الكعبة وزوارها، وماء زمزم، وبه يُختَم الكتاب ولله الفضل أولاً وأخيراً .

الباب الأول :

المغضوب عليهم

الفصل الأول :

معنى الاستخلاف في الأرض

تقول التوراة لبني إسرائيل: (**كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ. مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ يَكُونُ تُخْمُكُمْ**) {يشوع١-٣} .

هذه هى الأرض التي تذكر التوراة أنها أُعطِيت لبني إسرائيل ميراثاً ليكونوا فيها شعباً للهِ قدوسِ إسرائيل، من الشاطئ الغربي لنهر الفرات بالعراق وحتى البحر الكبير أي البحر المتوسط، يعني أغلب سوريا والعراق، ولبنان والأردن وفلسطين.

ويجب أن ندرك أن التوريث هنا لا يعنى تملُّك هذا الشعب للأرض وإنما التوريث معناه هنا إرادة الله استخلافَ أمةٍ في الأرض مكان أمم أخرى فسدت وفَجَرَت، فاختار الله بني إسرائيل لإنزال الكُتُب عليهم، وإرسال الرسل منهم من بين كل تلك الأمم، كما قال تعالى (**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**) [الدخان/٣٢] وذلك حتى يصطفي اللهُ من استخلفهم ويمكِّن لهم في الأرض إن أقاموا شرعه كما قال تعالى في شأنهم: (**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**) {القصص/٦,٥}. فإن بني إسرائيل كانوا أيام موسى ومن قبله فى مصر مُسْتذلِّين مستضعفين تحت أيدى أمة طاغية كافرة تذبِّح ذريتهم وتستبيح حرمة نسائهم، ولما ضجوا بالشكوى لموسى: (**قالُوا أوذِينَا مِنْ قَبْلِ أنْ تَأتِيَنا ومِنْ بَعْدِ مَا جِئتَنا قَال عَسَى رَبُّكُم أنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُم ويَسْتخلِفَكُم فِى الأَرضِ فَينظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ**) {الأعراف/١٢٩} .

إذن فمعنى الاستخلاف هو التمكين لأمة فى الأرض بعد هلاك أمم أخرى، أو استبدالها بهم ترقُّبا لصنيعها؛ أتكون كمن سبقها أم تقيم شريعة الله وتخضع له؟! وهذا هو المراد بالتوريث هاهنا، وليس التوريث بمعنى التملك من النسب أباً عن جَدٍّ، يقول تعالى: (**إنَّ الأرضَ للهِ يُورِثُها مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه**) {الأعراف/١٢٨}، وتقول التوراة على لسان الرب لبني إسرائيل: (**وَالأَرْضُ لاَ تُبَاعُ بَتَّةً، لأَنَّ لِيَ الأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عِنْدِي**) {لاويين٢٥-٢٣}، فالأمر راجع إلى الاستخلاف الإلهي لا الميراث من النسب.

وبعدما منَّ الله على بنى إسرائيل وأهلك عدوهم؛ استخلفهم فى الأرض من بعدهم ليرى كيف صنيعهم كما قال: (**وأورثنا القومَ الذين كانوا يُستضْعَفون مشارقَ الأرضِ ومَغَارِبَها التي باركْنَا فِيها وتَمَّتْ كلمةُ ربِّك الحُسْنى على بَنِى إسْرائِيلَ بِمَا صَبَروا**) {الأعراف/١٣٧}. وقد نبههم الله تعالى إلى تلك النعمة في التوراة حتى يستقيموا ولا يزيغوا فيكونوا كالغابرين: (**فَلاَ تَقْذِفُكُمُ الأَرْضُ بِتَنْجِيسِكُمْ إِيَّاهَا كَمَا قَذَفَتِ الشُّعُوبَ الَّتِي قَبْلَكُمْ**) {لاويين١٨-٢٨}، وتلك سُنَّة الله في خلقه؛ كلما طغت أمة وعتت وفجرت: هلكت وقامت مكانها غيرها، ولا مَيْزة ذاتية لشعبٍ ما تجعل له الأفضلية المطلقة وإنما كلٌ حسب عمله، وكذلك الأمر في هذه الأمة، فقد قال ﷺ: (**إن الدنيا حُلوة خَضِرَة، وإن الله مستخلفُكم فيها فينظرَ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء**) (٤)

فنحن مُستخلفون كذلك ليرى ربنا كيف نعمل، ومهما فسد من هذه الأمة جيل وتشبه بمن كان قبلهم يسلط الله عليه بذنوبه عدوا يذله أو يهلكه ثم يقيم جيلاً آخر فلا يكون البنون كالآباء: (**وإنْ تَتَولَّوْا يَستَبْدِلْ قَوماً غَيرَكُم ثُمَّ لا يَكُونُوا أمثَالَكُم**) {محمد/٣٨} ولكن لا يُسَلَّم الأمرُ لأمة غيرنا ولا ترث الأرض أمةٌ أخرى بفضل الله لأننا آخر الأمم ونبينا آخر الأنبياء .

وكذا كان استخلاف بني إسرائيل أول الأمر: (**وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي**) {لاويين٢٠-٢٦} يعني ذلك اختيارهم من بين الشعوب - تَفضُّلا مِن الله - لإنزال الشريعة عليهم وجَعْل النبوة فيهم لا أكثر، ويتكرر التحذير، والتنبيه على أن هذا الشعب لا يستحق الأرض بالأصالة: (**لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ وَعَدَالَةِ قَلْبِكَ تَدْخُلُ لِتَمْتَلِكَ أَرْضَهُمْ، بَلْ لأَجْلِ إِثْمِ أُولئِكَ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ إِلـهُكَ مِنْ أَمَامِكَ**) {تثنية٩-٥} .

---

٤ : رواه مسلم (٢٠٩٨/٤) باب أكثر أهل الجنة الفقراء برقم ٩٩.

الفصل الثاني:

معنى العهد

إن العهود التي قطعها الله مع بنى إسرائيل ليجعلهم مختاريه فقد بدأت بعهد قطعه مع الخليل إبراهيم قائلا له: (**وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ**) {تكوين١٧-٧}، فهذا العهد لا يعنى أكثر من الوعد لإبراهيم ولبنيه من هذا الشعب بالإبقاء عليهم أمةً حية لا تنقرض ولا تُباد كغيرها من الأمم البائدة الآن كالبابليين والآراميين والآشوريين والفراعنة والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والكنعانيين وغيرهم، وليس في هذا رائحة تقديس لهم، إذ إننا نجد العهد يُؤخذ كذلك قبل الطوفان مع نوح والحيوانات التي اصطحبها معه فى السفينة، تقول التوراة: (**وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعهُ قَائِلاً: وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ**) {تكوين٩-٨}، وحتى حينما يتجدد العهد بعد ذلك بمئات السنين لا نجد تغييراً فى معناه وهو الإبقاء على الجنس و النوع لا أكثر، وفى زمن نبوة هوشع (٧٥٠-٧٣٤ ق.م) نجد العهد كذلك أيضاً: (**وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَعَ حَيَوَانِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَدَبَّابَاتِ الأَرْضِ**) {هوشع٢-١٨} وهكذا يتساوى بنو إسرائيل وسائر الدواب فى العهد !

أما إن افترضنا جدلا إرادة المعنى الآخر المزعوم للعهد وهو أبدية التكريم لشعب ما وتفضيله على سائر الشعوب فذلك إن صحَّ فهو مُقيد دون إطلاق، وقيده التمسك بالشريعة الإلهية والعمل بها، فإننا نجد أن إبراهيم لما قضى الله أن يجعله إماماً للناس يتبعونه فى دينه وشريعته وأراد إبراهيم ذلك الفضل من الإيمان والهداية لذريته من بعده أجابه تعالى في القرآن الكريم قائلاً: (**لا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ**) {البقرة/١٢٤}.

إذاً فلا عهد ولا تشريف للظالمين ويراد بهم فى القرآن الكفار بالله مطلقاً أو بوحدانيته وهم المشركون، وكذلك أخذَ اللهُ العهدَ على إبراهيم فى التوراة بالاستقامة ليصح له العهد بالمعنى السابق: (**أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا**) {تكوين١٧-١} فاتضح بذلك أن هذا العهد عزيز، لا يُنال إلا بالثبات على العهد ومحض الاستقامة، وبعد ذلك بقرون عند ظهور النبوة فى بنى إسرائيل على يد موسى تجدد ذلك العهد لهم، تقول التوراة: (**لِكَيْ تَدْخُلَ فِي عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكَ وَقَسَمِهِ الَّذِي يَقْطَعُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ مَعَكَ الْيَوْمَ، لِكَيْ يُقِيمَكَ الْيَوْمَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا، وَهُوَ يَكُونُ لَكَ إِلهًا كَمَا قَالَ لَكَ، وَكَمَا حَلَفَ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**) {تثنية٢٩-١٣}، فصار الوعد الحسن لبنى إسرائيل على لسان موسى ، فما الذي يمنع أن يكونوا شعباً مُختاراً مُقدساً بتقديس الله له ؟

الفصل الثالث:

شرائط المواثيق

إن الخيرية في أمة أو فرد ولو كإبراهيم عليه السلام لا تكون إلا بشرط الاستقامة على الجادّة كما علمنا، وقد أوضح الله ذلك لبنى إسرائيل على لسان موسى في العهد القديم: (**فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ**) {خروج١٩-٥} وكان ذلك بعد خروجهم من مصر، ولكنهم ما لبثوا أن نكثوا العهد، و(**زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ، صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ**) {خروج ٣٢-٨} فكان هذا بداية غدرهم حتى استجلبوا غضب الله عليهم كما قال تعالى في القرآن الكريم: (**إنَّ الذين اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهم غَضَبٌ مِن رَبِّهِم وذِلَةٌ فى الحيَاةِ الدُّنيا**) {الأعراف/١٥٢} وفى التوراة يقول الرب لموسى: (**فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ**) {خروج ٣٢-١٠} وتكفيراً لذلك الذنب أمر موسى قومه من بني لاَوِي (Levi) أن يحملوا سيوفهم ويقتل كل واحد منهم أخاه وقريبه وصديقه، حتى قُتل منهم ثلاثة آلاف فتاب الله عليهم[٥] وفى ذلك يقول تعالى حكاية عن موسي في القرآن الكريم: (**وإذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَومِ إنَّكُم ظَلَمتُم أنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فتُوبُوا إلى بَارِئِكُم فَاقْتُلوْا أنْفُسَكُم ذَلِكُم خَيْرٌ لَكُم عِنْدَ بَارِئِكُم فَتَابَ علَيْكُم إنَّهُ هُوَ التوَابُ الرَّحِيم**) {البقرة /٥٤} لكن الله يشدد العهد عليهم في توراته ويؤكد الشرط الخاص وهو عبادته وحده حتى لا يسخط عليهم:

(**إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلاَدًا وَأَوْلاَدَ أَوْلادٍ، وَأَطَلْتُمُ الزَّمَانَ فِي الأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنَعْتُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا صُورَةَ شَيْءٍ مَّا، وَفَعَلْتُمُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لإِغَاظَتِهِ،**

٥: انظر سفر الخروج (٣٢-٢٦) .

أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا، لاَ تُطِيلُونَ الأَيَّامَ عَلَيْهَا، بَلْ تَهْلِكُونَ لاَ مَحَالَةَ، وَيُبَدِّدُكُمُ الرَّبُّ فِي الشُّعُوبِ، فَتَبْقَوْنَ عَدَدًا قَلِيلاً بَيْنَ الأُمَمِ الَّتِي يَسُوقُكُمُ الرَّبُّ إِلَيْهَا) {تثنية ٤-٢٥} .

ويأتى موسى بعد ذلك قبل وفاته ويجدد لهم العهد قبل دخولهم الأرض المقدسة، فيجعله عامّاً فى اتّباع الشريعة بكاملها لأنها هى التي سترسم خُطا مصير بنى إسرائيل فقال لقومه: **(إِذَا سَمِعْتَ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ، مُبَارَكًا تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ، وَمُبَارَكًا تَكُونُ فِي الْحَقْلِ، وَمُبَارَكَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ وَثَمَرَةُ أَرْضِكَ وَثَمَرَةُ بَهَائِمِكَ، نِتَاجُ بَقَرِكَ وَإِنَاثُ غَنَمِكَ، مُبَارَكَةً تَكُونُ سَلَّتُكَ وَمِعْجَنُكَ، مُبَارَكًا تَكُونُ فِي دُخُولِكَ، وَمُبَارَكًا تَكُونُ فِي خُرُوجِكَ... وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتُدْرِكُكَ: مَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْحَقْلِ، مَلْعُونَةً تَكُونُ سَلَّتُكَ وَمِعْجَنُكَ، مَلْعُونَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ وَثَمَرَةُ أَرْضِكَ، نِتَاجُ بَقَرِكَ وَإِنَاثُ غَنَمِكَ، مَلْعُونًا تَكُونُ فِي دُخُولِكَ، وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي خُرُوجِكَ، يُرْسِلُ الرَّبُّ عَلَيْكَ اللَّعْنَ وَالاضْطِرَابَ وَالزَّجْرَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ لِتَعْمَلَهُ، حَتَّى تَهْلِكَ وَتَفْنَى سَرِيعًا مِنْ أَجْلِ سُوْءِ أَفْعَالِكَ إِذْ تَرَكْتَنِي)** {تثنية ٢٨-١٥،٥}.

فيتضح من ذلك إذاً أن توريث بنى إسرائيل وتفضيلهم على الشعوب إنما كان محكوماً أو مقيّداً بشرط الاستقامة وطاعة الله كما بينّا، فهل استحق بنو إسرائيل ذلك الفضل؟!

*　　　　　*　　　　　*

الفصل الرابع:

نقض العهود وجزاؤه

لم يَطُلْ العهدُ علي بنى إسرائيل وهم مع موسى حتى عبدوا العجل وتركوا ربهم بعد أن نجاهم الله من فرعون وقومه وعبروا البحر هاربين منه، فغضب عليهم: (**فَرَأَى الرَّبُّ وَرَذَلَ مِنَ الْغَيْظِ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ وَقَالَ: أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ، وَأَنْظُرُ مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ. إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ، أَوْلاَدٌ لاَ أَمَانَةَ فِيهِمْ**) {تثنية٣٢-١٩} فكان ذلك شهادة من موسى على قومه بانحرافهم، وبعدما تُوفِّىَ موسى خَلَفَه فتاهُ الصالح يشوع بن نون الذى قادَ شعبَ إسرائيل وحارب أمماً ودخل الأرض التي وعدها الله ذلك الشعب: أرض الميعاد، وقبل أن يتوفى يشوع يجدد الله العهدَ لبنى إسرائيل على لسانه فيقول: (**وَإِذَا تَرَكْتُمُ الرَّبَّ وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً غَرِيبَةً يَرْجعُ فَيُسِيءُ إِلَيْكُمْ وَيُفْنِيكُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، فَقَالَ الشَّعْبُ لِيَشُوعَ: لاَ، بَلِ الرَّبَّ نَعْبُدُ، فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: أَنْتُمْ شُهُودٌ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ قَدِ اخْتَرْتُمْ لأَنْفُسِكُمُ الرَّبَّ لِتَعْبُدُوهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ شُهُودٌ**) {يشوع ٢٤-٢٠} إلا أنه بموت يشوع يصير الشعب (**كخِرَافٍ لا رَاعِيَ لها**) {الملوك الأول٢٢-١٧} ولا ملكَ ولا قائدَ يسوسهم، فلما كانوا بلا رقيب ولم تكن عصا الراعى وراءهم: (**فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ، تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ**) {قضاة٢-١١} ، ويبين هذا الإصحاح وما يليه عقاب الله للشعب بتسليمه ليد أعدائه حتى يستغيثوا به تعالى، فيرسل إليهم نبياً اسمه [عُثْنِيئِيل] ينجيهم به من أعدائهم، ثم يعودون لسيرتهم الأولى من الشر، فيسلمهم الله ليد المؤابيين، فأذلوهم حتى تعبَّدَ اليهودُ لملكِ مؤاب ثمانى عشرة سنة، فتذكروا الله

ودَعَوهُ، فأرسل نبيَّه [إهُود] فقتل ملك مؤاب وخلَّص بنى يعقوب، إلا أنهم بعد موت إهود يرجعون لرجسهم فيتسلط عليهم الكنعانيون عشرين عاماً، فاستغاثوا فأغيثوا، ثم عادوا لما نُهوا عنه، ولا عظة ولا تذكرة، فنكل الله بهم على أيدى المَديانيين حتى صار بنو إسرائيل يختبئون منهم فى كهوف الجبال، ولكن لأن الله رحيم نجاهم مما كانوا فيه بإرسال نبيه [جِدعون] الذى حارب مَديان، وذلك عندما دعاه تعالى شعبُه إسرائيلُ الذى يلجأ إليه ـ أحياناً ـ فى بعض ضيقاته .

ويظل هذا دأبهم كلما ارتدوا على أعقابهم يسلط عليهم تعالى من يذلهم ويستبيح حرمتهم، وصدق الله إذ يقول في كتابه العزيز: (**وإذ تأذَّنَ ربك ليبعثنّ عليهم إلى يومِ القيامةِ منْ يسومُهم سوءَ العذابِ إن ربك لسريعُ العقابِ وإنَّه لغفورٌ رحيمٌ**) {الأعراف١٦٧}.

ولتَرَسُّخ الشر فى جبلتهم لا يبرحون عنه أبداً، فارتدوا بعد ذلك على أدبارهم؛ فتسلط عليهم أعداؤهم الأزليون الفلسطينيون، الذين طردوهم من ديارهم وأذاقوهم الهوان حتى توسل بنو إسرائيل إلى أحد أنبيائهم [صموئيل] ليُنَصِّبَ عليهم ملكاً يقاتلون معه أعداءهم الفلسطينيين، فملَّك الله عليهم شاؤول [طالوت] الذى زاده بسطة في العلم والجسم حتى أنه (**مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ كَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ**) {صموئيل الأول٩-٢} فحاربوهم، فقَتَل النبىُّ داودُ المبارزَ الفلسطينى المرهوب جِليات [جالوت]، وتملّك داود بعد ذلك على بنى إسرائيل (١٠١٠-٩٧٠ ق. م) .

ومع أن داود كان نبياً ملكاً إلا أنّ عهد الله لا يُنال إلا بحقه، فأخذ الله عليه العهد أيضاً بالاستقامة فحفظه داود حتى وفاته، ثم ورث سليمان المملكة من بعده (٩٧٠-٩٣٣ ق. م) فأُخِذ عليه الميثاقُ أيضاً، والذى يوضح تكرارُه فى كل عصر تأكيدَ اقترانِ التفضيل والتوريث بالتمسك التام بالشريعة، يقول الرب لسليمان: (**وَأَنْتَ إِنْ سَلَكْتَ أَمَامِي كَمَا سَلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبٍ وَاسْتِقَامَةٍ، وَعَمِلْتَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَيْتُكَ وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِيَّ**

مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ كَمَا كَلَّمْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ.... إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلاَ تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا؛ فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لاسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي، وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ) {الملوك الأول٩-٤} فيستقيم النبى الحكيم سليمان حتى موته (٩٣٣ ق.م)، وعندئذ؛ انقسمت المملكة قسمين: "مملكة يهوذا" فى الجنوب وعليها ابنه [رَحُبْعام] و"مملكة إسرائيل" فى الشمال وعليها [يَرُبْعام بن نَباط] الذى كان خادماً لسليمان، ولحرص يربعام على مُلكه وخشيته من أن يستولى عليه رحبعام؛ فتن يربعام بنى إسرائيل وأغراهم لأجل أن يقبلوا على أرض مملكته وينصرفوا عن مملكة يهوذا: **(وَعَمِلَ عِجْلَيْ ذَهَبٍ، وَقَالَ لَهُمْ: كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ، هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَوَضَعَ وَاحِدًا فِي بَيْتِ إِيلَ، وَجَعَلَ الآخَرَ فِي دَانَ، وَكَانَ هذَا الأَمْرُ خَطِيَّةً، وَكَانَ الشَّعْبُ يَذْهَبُونَ إِلَى أَمَامِ أَحَدِهِمَا حَتَّى إِلَى دَانَ)** {الملوك الأول ١٢-٢٨} فتترسخ الخطيئة الكبرى فى بنى إسرائيل، ويستمر ذلك فى مملكتى يهوذا وإسرائيل فى عهد ملك بعد ملك، ويتواصل الرفض للشريعة ولإله إسرائيل حتى يُنزل الله عليهم غضبه وأشد العقاب لهم، الذى كان وما يزال الذكرى الحالكة فى تاريخهم، وذلك حينما أرسل تعالى عليهم ملوك بابل وآشور بجيوشهم فقتلوا من قتلوا، وسَبَوْا من سبوا، وخربوا بلادهم وأحلوها غيرهم، فعندما "تولى الملك الآشوري شَلَمناصَّر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق م) : جاء إلى سوريا(٨٥٤ ق م) غازياً لمملكة [حَمَاة] فقام ملكُ حماة [إيرهولينى] بإرسال قائده [أداد إدري] الدمشقي على رأس قوة تضم (١٢٠٠) مركبة حربية و(١٢٠٠٠) خيَّال و(٢٠٠٠٠) من المشاة، وأرسل ملكُ إسرائيل [آخابُ]: (٢٠٠٠) مركبة و(١٠٠٠٠) رجل لمواجهته، وحدثت معركة عظيمة، وطبقاً لما جاء فى السجلات الآشورية فإن السهل كان

أصغر من أن يحتمل الأعداد الضخمة من الجثث، وإن الأرض الواسعة لم تكن تكفى لدفنها، وقد أُفعم نهر الأورنت بجثث الأعداء وأُقيم منها معبر على الأورنت" [٦]، "وفى فترة حكم تجلات فلاسَّر [Tiglath Pilaser] (حَكَمَ آشور فيما بين ٧٤٥-٧٢٧ ق م): قام بتَوْسِعَاتٍ ناحية الغرب، فكانت هناك حملة ضد فلسطين، ونُهِبَت غزَّة، ووُضِع (هوشع) على عرش إسرائيل ... وجاء بعده شلمناصَّر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق.م) وقد قامت صور فى عهده بثورة فاضطر لمعاودة زيارة شواطئ البحر المتوسط والتوجه جنوباً لتسلم جزية هوشع، وسرعان ما كان ملك إسرائيل (هوشع) يتآمر مع مصر، فخرج الجيش الآشورى ليحاصر عاصمته [سامريا] مدى ثلاث سنوات[٧] ... ، وبعد وفاة شلمناصر الخامس ٧٢٢ ق م ؛ حكم آشورَ الملكُ سَرَجون الثانى (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) وقبل نهاية العام استسلمت سامريا، وتبعاً للخطة التي استنها تجلات فلاسر؛ قام بطرد الإسرائيليين، البعض منهم إلى ناحية حران، والبعض إلى ضفاف الخابور، والبعض أخيراً إلى ميديا" [٨]، فسُبى من رجالها نحو ٢٧٠٠٠ فرد إلى ميديا، وتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد.

وأراد الله تعالى أن يرفع عنهم البلاء ويرحمهم لأن (**الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ**) {خروج ٣٤-٦} إلا أن الشعب المختار من بين الشعوب - ليكون منهم قردة وخنازير - بعد كل ما عانى من مذلةٍ وعذابٍ وقتلٍ على يد ملوك آشور، ودفْعِ الجزية لهم عن صغار؛ ظلوا ثابتين على العهد، مستمسكين بنُكث العهد، فقد (**قَطَعَ الرَّبُّ مَعَهُمْ عَهْدًا وَأَمَرَهُمْ قَائِلاً: لاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى، وَلاَ تَسْجُدُوا لَهَا وَلاَ تَعْبُدُوهَا وَلاَ تَذْبَحُوا لَهَا، بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ الَّذِي أَصْعَدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، وَلَهُ اسْجُدُوا، وَلَهُ اذْبَحُوا، وَاحْفَظُوا الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي**

٦: بلاد ما بين النهرين ص (٣٠٤) ، ونهر الأورنت هو نهر العاصي بسوريا الآن .

٧ : انظر أيضاً سفر الملوك الثاني إصحاح ١٧.

٨: بلاد ما بين النهرين ص (٣٠٨، ٣٠٩).

كَتَبَهَا لَكُمْ لِتَعْمَلُوا بِهَا كُلَّ الأَيَّامِ، وَلاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى وَلاَ تَنْسَوْا الْعَهْدَ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَكُمْ، وَلاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَهُوَ يُنْقِذُكُمْ مِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِكُمْ، فَلَمْ يَسْمَعُوا بَلْ عَمِلُوا حَسَبَ عَادَتِهِمِ الأُولَى) {الملوك الثانى ١٧-٣٥} فلما رأى تعالى أنها أمةٌ لا يُعَطِّفُها عليه شيء ولا حتى ابتلاءاتُه نجده يقول: (**أَوَلا تنتقم نفسِي من أمةٍ كهذه ؟!**) {إرمياه-٢٩} لذلك يعمهم الله بالخراب والوبال: (**إِنِّي أَنْزِعُ يَهُوذَا أَيْضًا مِنْ أَمَامِي كَمَا نَزَعْتُ إِسْرَائِيلَ، وَأَرْفُضُ هذِهِ الْمَدِينَةَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا: أُورُشَلِيمَ**) {الملوك الثانى٢٣-٢٧} فلما أراد الشعب أن يقاوم مُذلِّيه المحتلين الآشوريين: "حاول صِدقِيّا العسقلانى (ملك يهوذا) أن يتألّب على الآشوريين - وكان يحكم يافا وعَقْرون وأورشليم - لكن صدقيا هُزِم وأُسِر، ونُهِبت مقاطعته يافا، فأرسل حلفاؤه [أمراءُ الدلتا وفرعونُ مصر] مدداً، ووقعت الحرب فى جنوب عقرون، فانتصر الآشوريون واستولوا على المدينة وعلقوا جثث زعماء الثوار على الأسوار، ثم اتجهوا بقيادة ملكهم سناخْريب بن سراجون (٧٠٥-٦٨١ ق م) نحو يهوذا، واستولى على (٤٦) قريةً مُحصَّنةً وحاصر أورشليم ، فاضطر الملك حَزَقِيّا إلى المفاوضة، وتعهد بدفع جزية كبيرة، ورأى نفسه مضطراً إلى قبول الانتقاص من مقاطعته .

وسرعان ما توقفت مملكة يهوذا عن دفع الجزية، ورغم تبكيت النبى إرْميا نراها تثور على مولاها، وأُخِذَت أورشليم ٥٩٦ ق. م، وأُبعِدَ جانبٌ من سكانها إلى جهة أخرى، وفى عام٥٨٧ ق.م استقر نبوخودوروسّور[نبوخذنَصَّر أو بختنصر] فى رِبْلَة [Ribla] (قرية جنوب حمص) على الأورَنْت، وأرسل من هناك قوة لحصار أورشليم للمرة الثانية، واستسلمت المدينة فى العام التالى، وحُمِل معظم أهلها أسرى، وأُحضِر الملك صدقيا [Sedecias] إلى ربلة وهو

يحاول الهرب" [٩]، غير أن جند بختنصر أدركوه وأتَوْا به إليه فقَتَل أبناءه أمامه، ثم سُمِلت عيناه ليكون ذلك آخرَ مشهدٍ يراه، وقُيِّدَ بالسلاسل إلى بابل، ثم هُدمت أورشليم، وسَبَى بختنصر نحو خمسين ألفاً من سكانها، ولم يبق فيها إلا جماعة من البؤساء.

(**وسُبِي يهوذا إلى بابل لأجل خيانتهم**) { الأخبار الأول٩-١}

*　　　*　　　*　　　*

٩: بلاد ما بين النهرين (٣١٢)

إن بني إسرائيل رغم ما مر بهم أثناء تاريخهم الطويل لم يكونوا يستقرون على طاعة الله الذي نجاهم من المذلة في أرض مصر، ولم يؤدبهم البلاء، إذ إن **(جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الأُمَمِ، وَنَجَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ الَّذِي قَدَّسَهُ فِي أُورُشَلِيمَ، فَأَرْسَلَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ عَنْ يَدِ رُسُلِهِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلاً لأَنَّهُ شَفِقَ عَلَى شَعْبِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ، فَكَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللهِ، وَرَذَلُوا كَلاَمَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ)** {الأخبار الثانى٣٦-١٤}، فكان شعب إسرائيل يحتقر الأنبياء، ويأمرهم ألاّ يتنبؤوا بما لا يوافق أهواءهم وإلا قتلوهم، وقد ضج بمر الشكوى إلى الله بعض الأنبياء الذين تفلتوا من أيديهم قائلا: **(لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا)** {الملوك الأول١٩-١٠} وبهذا أيضا شهد عليهم آخر أنبيائهم ومع هذا لم يرجعوا، إذ كانوا يَنشدون فرصة ليقتلوه فقال لهم: **(وَيْلٌ لَكُمْ لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ، إِذًا تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ.... لِذلِكَ أَيْضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ)** {لوقا١١-٤٧} وكما قال تعالى في القرآن الكريم: **(لَقَدْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَأَرسَلْنَا إِلَيْهِم رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُم رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُم فَرِيقاً كَذَّبوا وَفَرِيقاً يَقْتُلون)** {المائدة/٧٠} وإذ لم يرضَوا بكلام من لم يستطيعوا قتله من الأنبياء، فإنهم كانوا يُحرفون كلام الله ويتَّبِعون الأنبياء الكذبة، وتشهد عليهم في توراتهم: **(رَأَوْا بَاطِلاً وَعِرَافَةً كَاذِبَةً، الْقَائِلُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ، وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ، وَانْتَظَرُوا إِثْبَاتَ الْكَلِمَةِ، أَلَمْ تَرَوْا رُؤْيَا بَاطِلَةً، وَتَكَلَّمْتُمْ بِعِرَافَةٍ كَاذِبَةٍ، قَائِلِينَ: وَحْيُ الرَّبِّ، وَأَنَا لَمْ أَتَكَلَّمْ؟)** {حزقيال١٣-٦} ويشهد عليهم كتابهم ونبيهم إرميا بتغييرهم النصوص: **(إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِنَا)** {إرميا٢٣-٣٦} والذنب قد يكون عقوبة على ذنب آخر، فكان ذلك التحريف جزاء نقض العهود، كما قال عز وجل في القرآن الكريم: **(فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُم لَعَنَّاهُم وَجَعَلنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً**

يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ونَسُوا حظًّا مِمَّا ذُكِّروا بِه) {المائدة/١٣} ، ورغم ذلك فإن الشريعة بين أيديهم ولا ينتفعون منها بشىء، فكان **(بهائمُ الجنوب)** {إشعياء٣٠-٦} أي أهل مملكة الجنوب " يهوذا " **(يَحمِلون على أكتاف الحَميرِ ثروتَهم)** {إشعياء ٣٠-٦}، أي يحفظون توراتهم ولا ينتقعون منها بشيء، وكانوا يستحلون كل ما حُرِّمَ عليهم وكأنما أحصوه ليقترفوه، وتعاملوا بالربا، ورغم زعمهم أن الشريعة تحل لهم الربا مع غير اليهود وتقول: **(لِلأَجنبيِّ تُقرِض بربا ولكن لأخيكَ لا تُقرضْ بربا)** {تثنية٢٣-٢٠} إلا أننا نجد ذلك التعامل الربوي بين أبناء الشعب الواحد، فنقضوا ذلك الشرط أيضا: **(إنكم تأخذون الرِبا كلٌّ واحد من أخيه)** {نِحميا٥-٧}، ويريد الله تعالى أن يقربهم إليه، فيُذكِّرهم بأياديه ومِنَنه عليهم، لأن الإنسان ـ الإنسان فقط ـ أسير الإحسان، وما أكثر ما عدَّد الله تعالى فى التوراة والقرآن من أفضاله عليهم منذ أخرجهم من أرض مصر، وما من نعمة منَّ الله بها عليهم كتنجيتهم من فرعون وقومه وإغراقهم أمامهم، فذُكِرت فى القرآن خمسَ مراتٍ، وفى التوراة على لسان الرب حوالِيَ ثمانٍ وعشرين مرة، وظلل الله عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى طعاماً، ولم تَبْلَ ثيابُهم ولا نعالُهم طوال فترة التيه، وأدخلهم الأرض المقدسة وطرد شعوبا من أمامهم، وأورثهم أرضاً لم يطؤوها، وفضَّلهم آنئذٍ على العالمين، وأنزل عليهم شريعته وأعطاهم كثيراً من الآيات، وقد قال تعالى في ذلك: **(وإذْ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يَا قَومِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُم إذْ جَعَلَ فِيكُم أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكاً وَآتَاكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أحَدَاً مِنَ العَالَمِين)** {المائدة/٢٠}، وأراد الله تعالى أن يختارهم لنفسه ويقربهم إليه بعد كل ذلك فقال: **(وَلَقَدْ أَرْسَلنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أنْ أخْرِجْ قومَك مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُورِ وذَكِّرهُمْ بِأيَّامِ الله)** {إبراهيم/٥} أي "وقائعِه في الأممِ الماضيةِ من الكفارِ، وأَنْعُمِهِ عليهم وعلى غيرِهم من أهلِ طاعتِه، وعَبَّرَ عن النعمِ والنقمِ بأيامٍ"[١٠] لعلَّهُم يرجعون، إن لم يكن للرهبة

---

١٠ : فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣ /٥٠٦) .

فللرغبة، وذكَّرَهم تعالى بما علموه من قبل من اشتراط التقوى والاستقامة فقال فى القرآن الكريم: (**وإذْ تأذَّنَ ربُّكم لئِن شكرتُم لأزيدنَّكم ولئن كَفَرْتُم إنَّ عَذَابى لَشَدِيد**) {إبراهيم /٧} ولكن لا سميع للنداء، فلم تُجدِ معهم النِعَم ولا النِقَم فى مختلف عصور أنبيائهم كما قال تعالى: (**وَبَلَوْنَاهُم بِالحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُم يَرجِعون**) {الأعراف/١٦٨} فلم يرجعوا، وقبيح أمر أمةٍ لا ترجع لخالقها إلا طلباً لشهواتها، وأقبح منها من لا يرجع إليه تعالى لا طلبا لنفع ولا دفعا لضُرٍّ، كما قال تعالى :(**فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِم وِمَا يَتَضرَّعُون**) {المؤمنون/ ٧٦}، وذلك لأنهم (**شعبٌ صلبُ الرقبة**) [خروج ٣٢-٣٣/١٠-٦ /٣٤-١٠، تثنية ٩-٦/ ٩-١٣] أي عنيد غير مِطواع، شعب لا يرى لغيره حقاً حتى في الحياة بل يرى أن ما يجعله عزيزاً محبوباً عند إلهِهِ أن يقضى على من عداه من الشعوب ويتخذ من ذبحهم قرباناً مقبولاً عند الرب، وأن يفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل إذا دخل مدينةً ما غازيا، كما تقول توراتهم عندما ذهب بهم ملكهم شاؤول (طالوت) على سبيل المثال لغزو فلسطين: (**فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا**[١١] **كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ، بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا !**) {صموئيل الأول ١٥-٣} فهم يتعاملون مع من حولهم من الخلق بهذه العدوانية الدموية زاعمين أن ذلك من وصايا الله لهم !!

ويتعدى رفض الشعب للشريعة والأنبياء إلى رفض منزلها، وكما قال تعالى عن الكفار لنبيه صلى الله عليه وسلم: (**فإنَّهُم لا يُكذِّبُونَكَ ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يَجْحَدون**) {الأنعام /٣٣} قال أيضا لصموئيل حينما ألح الشعب عليه ليبعث لهم ملكا يقاتلون به في سبيل الله: (**اسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ**) {صموئيل الأول ٨-٧} ولذلك كانوا وما يزالون إلى الآن (**شعباً غبياً وغيرَ حكيم**) {تثنية ٣٢-٦} و (**أمة عديمة الرأي ولا بصيرةَ فيهم**) {تثنية٣٢- ٢٨}

---

١١ : أي اقتلوا

ومن ثمَّ تتابعت عليهم اللعنات، والنقم والبليات كما يتجلى في سِفر العقوبات؛ سفر حزقيال، ولم يكن يُرفع عنهم البلاء إلا ليغتنموا فرصة يتوبون فيها إلى الله وإلا فالنكال حاضر كل حين: **(مَعَ كُلِّ هذَا لَمْ يَرْتَدَّ غَضَبُهُ، بَلْ يَدُهُ مَمْدُودَةٌ بَعْد)** {إشَعْياء ٥ـ٢٥، ٩ـ١٢،١٧،٢١} أي لم يرفع الله غضبه عنهم ولا عقابه ما داموا في فجورهم وكفرهم، وهو ما قاله الله لهم في القرآن الكريم: **(وإنْ عُدْتُم عُدْنا)** {الإسراء/٨} أي وإن عدتم إلى المعاصي والآثام عدنا إلى العقوبة والبلايا، ولكنهم لا يعودون إلى خير أبداً، حتى أنه من العجيب أن الأنبياء الذين لا يرسلهم الله إلا هدايةً للناس ورحمة بهم، لمَّا رأوا فظائع فِعالهم وقبائحها صاروا يلعنونهم، قال تعالى: **(لُعِنَ الذينَ كَفَروا من بَنى إسْرائيلَ علَى لِسَانِ داودَ وعيسى بنِ مَرْيَم ذلك بِما عَصَوْا كَانُوا يَعْتَدون)** {المائدة/٧٨} [١٢]، وكان ذلك من جراء أنهم شعب **(أحبَّ اللعنةَ فأتَتْهُ ولم يُسَرَّ بالبركة فتباعدَتْ عنه)** كما قال داود {مزمور١٠٩ـ١٧} .

١٢: انظر الدعوات واللعنات التي صبها عليهم داود في المزامير : ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ١٠٩ .

الفصل الخامس

رفض بنى إسرائيل

ويستمر في تاريخ بنى إسرائيل مسلسل أخذ العهود عليهم بأنبيائهم عهداً تلو عهد، ويتكفلون هم بنقضها جميعاً واحدا بعد واحد .

وتعدد التوراة بعض جرائمهم التي آخذهم الله بها، كقتلهم الأنبياء، وعبادتهم الأوثان، وعقوق آبائهم، وزناهم بمحارمهم، واعتدائهم في السبت، رغم تشديد الميثاق عليهم في ذلك، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: **(وقُلْنَا لَهُم لا تَعْدُوا فِي السَّبتِ وأخَذْنا مِنْهُم مِيثاقاً غَلِيظاً)** {النساء/١٥٤} ، فتقول التوراة: **(فَتَحْفَظُونَ السَّبْتَ لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لَكُمْ، مَنْ دَنَّسَهُ يُقْتَلُ قَتْلاً)** {خروج٣١-١٤}، وتقول أيضاً على لسان حزقيال: **(هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: أَيَّتُهَا الْمَدِينَةُ السَّافِكَةُ الدَّمِ فِي وَسْطِهَا لِيَأْتِيَ وَقْتُهَا، الصَّانِعَةُ أَصْنَامًا لِنَفْسِهَا لِتَتَنَجَّسَ بِهَا، قَدْ أَثِمْتِ بِدَمِكِ الَّذِي سَفَكْتِ، وَنَجَّسْتِ نَفْسَكِ بِأَصْنَامِكِ الَّتِي عَمِلْتِ، وَقَرَّبْتِ أَيَّامَكِ وَبَلَغْتِ سِنِيكِ، فَلِذلِكَ جَعَلْتُكِ عَارًا لِلأُمَمِ، وَسُخْرَةً لِجَمِيعِ الأَرَاضِي، الْقَرِيبَةُ إِلَيْكِ وَالْبَعِيدَةُ عَنْكِ يَسْخَرُونَ مِنْكِ، يَا نَجِسَةَ الاسْمِ، يَا كَثِيرَةَ الشَّغَبِ، هُوَذَا رُؤَسَاءُ إِسْرَائِيلَ، كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِهِ، كَانُوا فِيكِ لأَجْلِ سَفْكِ الدَّمِ، فِيكِ أَهَانُوا أَبًا وَأُمًّا، فِي وَسْطِكِ عَامَلُوا الْغَرِيبَ بِالظُّلْمِ، فِيكِ اضْطَهَدُوا الْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ، ازْدَرَيْتِ أَقْدَاسِي وَنَجَّسْتِ سُبُوتِي، كَانَ فِيكِ أُنَاسٌ وُشَاةٌ لِسَفْكِ الدَّمِ، وَفِيكِ أَكَلُوا عَلَى الْجِبَالِ، فِي وَسْطِكِ عَمِلُوا رَذِيلَةً، فِيكِ كَشَفَ الإِنْسَانُ عَوْرَةَ أَبِيهِ، فِيكِ أَذَلُّوا الْمُتَنَجِّسَةَ بِطَمْثِهَا، إِنْسَانٌ فَعَلَ الرِّجْسَ بِامْرَأَةِ قَرِيبِهِ، إِنْسَانٌ نَجَّسَ كَنَّتَهُ بِرَذِيلَةٍ، إِنْسَانٌ أَذَلَّ فِيكِ أُخْتَهُ بِنْتَ أَبِيهِ، فِيكِ أَخَذُوا الرَّشْوَةَ لِسَفْكِ الدَّمِ، أَخَذْتِ الرِّبَا وَالْمُرَابَحَةَ، وَسَلَبْتِ أَقْرِبَاءَكِ بِالظُّلْمِ، وَنَسِيتِنِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ..... يَا ابْنَ آدَمَ، قُلْ لَهَا: أَنْتِ الأَرْضُ الَّتِي لَمْ تَطْهُرْ، لَمْ يُمْطَرْ عَلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ، فِتْنَةُ أَنْبِيَائِهَا فِي وَسْطِهَا كَأَسَدٍ مُزَمْجِرٍ يَخْطُفُ الْفَرِيسَةَ،**

أَكَلُوا نُفُوسًا، أَخَذُوا الْكَنْزَ وَالنَّفِيسَ، أَكْثَرُوا أَرَامِلَهَا فِي وَسْطِهَا، كَهَنَتُهَا خَالَفُوا شَرِيعَتِي وَنَجَّسُوا أَقْدَاسِي، لَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْفَرْقَ بَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ، وَحَجَبُوا عُيُونَهُمْ عَنْ سُبُوتِي فَتَدَنَّسْتُ فِي وَسْطِهِمْ، رُؤَسَاؤُهَا فِي وَسْطِهَا كَذِئَابٍ خَاطِفَةٍ خَطْفًا لِسَفْكِ الدَّمِ، لإِهْلاَكِ النُّفُوسِ لاكْتِسَابِ كَسْبٍ، وَأَنْبِيَاؤُهَا قَدْ طَيَّنُوا لَهُمْ بِالطُّفَالِ، رَائِينَ بَاطِلاً وَعَارِفِينَ لَهُمْ كَذِبًا، قَائِلِينَ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ، وَالرَّبُّ لَمْ يَتَكَلَّمْ، شَعْبُ الأَرْضِ ظَلَمُوا ظُلْمًا، وَغَصَبُوا غَصْبًا، وَاضْطَهَدُوا الْفَقِيرَ وَالْمِسْكِينَ، وَظَلَمُوا الْغَرِيبَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَطَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلاً يَبْنِي جِدَارًا وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ أَمَامِي عَنِ الأَرْضِ لِكَيْلاَ أَخْرِبَهَا، فَلَمْ أَجِدْ، فَسَكَبْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ. أَفْنَيْتُهُمْ بِنَارِ غَضَبِي. جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ) {حزقيال ٢٢} .

ورغم كل ذلك الإسهاب فإن الإصحاحات التالية بل وسائر الأسفار تمتلئ بجرائم بني إسرائيل على اختلاف قباحاتها، فكان نصيب حزقيال هذا أنه مرسل إلى قوم كافرين لم يكونوا ليؤمنوا، إلى أن بين الله تعالى له أنه لو أرسله إلى غيرهم لآمنوا، لكنه قد أُرسِل إلى بني إسرائيل: **(لاَ إِلَى شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ غَامِضَةِ اللُّغَةِ وَثَقِيلَةِ اللِّسَانِ لَسْتَ تَفْهَمُ كَلاَمَهُمْ، فَلَوْ أَرْسَلْتُكَ إِلَى هؤُلاَءِ لَسَمِعُوا لَكَ، لكِنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَسْمَعَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَشَاؤُونَ أَنْ يَسْمَعُوا لِي)** {حزقيال٣-٥} ولكن الأمر لا يدوم هكذا ما دامت الرسالات والآيات لا تثمر لهم إيمانا، ومادام كفرهم راسخا في قلوبهم كالرواسي، وهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ومُختاروه من الشعوب، وأنهم الناجون من الخلائق ـ لمجرد ادّعاء معرفتهم بيَهْوَهْ رب الجنود ـ لكنه تعالى يكذبهم في كتبهم فيقول: **(هَا إِنَّكُمْ مُتَّكِلُونَ عَلَى كَلاَمِ الْكَذِبِ الَّذِي لاَ يَنْفَعُ، أَتَسْرِقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ وَتَحْلِفُونَ كَذِبًا وَتُبَخِّرُونَ لِلْبَعْلِ، وَتَسِيرُونَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا، ثُمَّ تَأْتُونَ وَتَقِفُونَ أَمَامِي فِي هذَا الْبَيْتِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي عَلَيْهِ وَتَقُولُونَ: قَدْ أُنْقِذْنَا؟!)** {إرميا ٧-٨} .

وكما ألمحنا من قبل، فإن التوراة تصور هذا الشعب أنه كلما لجأ إلى ربه ودعاه: عجل الله بإجابته، وكأنما هم الذين أخذوا العهد عليه سبحانه وتعالى متى نادَوْه لبَّى وأجاب دعاءهم! إلا أن الشاهد السابق في كتابهم يبين بطلان مُعتَمدِهم، وصدق الله إذ يقول: (**وغرَّهُم فِي دِينِهِم مَا كَانُوا يَفْتَرُون**) {آل عمران/٢٤}، ويستمر الفُجر والضلال إلى أن تأتي مذمتهم من الله تعالى ونقمته عليهم، وتتجلَّى لنا عجائب بعد قرون من حلم الله عليهم، فيقول الرب في التوراة: (**بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيق غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ، شَعْبٍ يُغِيظُنِي بِوَجْهِي، دَائِمًا يَذْبَحُ فِي الْجَنَّاتِ، وَيُبَخِّرُ عَلَى الآجُرِّ، يَجْلِسُ فِي الْقُبُورِ، وَيَبِيتُ فِي الْمَدَافِنِ، يَأْكُلُ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ، وَفِي آنِيَتِهِ مَرَقُ لُحُومٍ نَجِسَةٍ، يَقُولُ: قِفْ عِنْدَكَ، لاَ تَدْنُ مِنِّي لأَنِّي أَقْدَسُ مِنْكَ، هؤُلاَءِ دُخَانٌ فِي أَنْفِي، نَارٌ مُتَّقِدَةٌ كُلَّ النَّهَارِ، هَا قَدْ كُتِبَ أَمَامِي، لاَ أَسْكُتُ بَلْ أُجَازِي**) {إشَعْياء٦٥-٢}، وهنا أيضاً تظهر شهادة الكتاب عليهم بأنهم شعب دَنِس لا قدسية له كما يزعم، ولا فارق بينه وبين ما حوله من الشعوب التي أُمِر بقتالها بسبب كفرها ورِجسِها؛ لإنه إنما صار مثلها بل أحطَّ منها، فليس من يعلم كمن لا يعلم، ولا أقوامُ الأنبياءِ أصحابِ المعجزات كغيرهم، لذلك جاء وقت الجزاء، لأنه صحيح أن (**الرَّبُّ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَعَظِيمُ الْقُدْرَةِ، وَلكِنَّهُ لاَ يُبَرِّئُ الْبَتَّةَ**) {ناحوم ١-٣}، وقد رأى الله تعالى سرعة زَيَغان هذا الشعب عن الطريق، وأنهم لا يذعنون للأنبياء ولا للذي أرسلهم ويكفرون بالآيات والمعجزات، حتى شهد عليهم آخر أنبيائهم قائلاً: (**إن كانوا لا يَسمعون من موسى والأنبياءِ؛ ولا إن قامَ واحدٌ من الأموات يُصدِقُون**) {لوقا ١٦-٣١}، فما لهذا الشعب من الفضل والعلو إذن ؟

يجيب الوحي على لسان نبيهم حزقيال قائلاً: (**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّ السَّاكِنِينَ فِي هذِهِ الْخِرَبِ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَتَكَلَّمُونَ قَائِلِينَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ وَاحِدًا وَقَدْ وَرِثَ الأَرْضَ، وَنَحْنُ كَثِيرُونَ، لَنَا أُعْطِيَتِ الأَرْضُ مِيرَاثًا، لِذلِكَ قُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: تَأْكُلُونَ بِالدَّمِ وَتَرْفَعُونَ أَعْيُنَكُمْ إِلَى أَصْنَامِكُمْ وَتَسْفِكُونَ الدَّمَ،**

أَفَتَرِثُونَ الأَرْضَ؟ وَقَفْتُمْ عَلَى سَيْفِكُمْ، فَعَلْتُمُ الرِّجْسَ، وَكُلٌّ مِنْكُمْ نَجَّسَ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ، أَفَتَرِثُونَ الأَرْضَ؟) {حزقيال ٣٣-٢٤} وهذه شهادة التوراة الفاصلة على اليهود بأنهم ليس لهم ميراث الأرض، لا في فلسطين ولا في غيرها، جزاء أعمالهم ونقض العهود والإخلال بالشروط وارتكاب كل الفواحش والأرجاس، وأنهم إنما اعتمدوا في ادعائهم ذلك على كثرتهم بين الشعوب، فإن كان إبراهيم قد ورث الأرض وهو واحد فإنهم لبنوتهم له ولكثرتهم أَولى بهذا الميراث، وهو قياس فاسد، إذ لا عبرة بالعدد، وأيضاً فإننا قد عرفنا شرط الميراث من قبل وهو الاستقامة على منهاج الشريعة، والوفاء بالعهود التي أخذها الله عليهم حتى يحق لهم الميراث وهو ما بينه لهم عز وجل في كتابه العزيز كذلك فقال: (**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**) {البقرة/٤٠}، أما في هذا الشاهد فقد ذكر الله من إخلالهم بالمواثيق ما يمنعهم من الميراث، بل إن إبراهيم نفسه لم يرث الأرض إلا بعد أن أُخِذَ العهدُ عليه كما سبق بيانه، فحفظه وأوفى به تمام الوفاء حتى شهدت له التوراة: (**وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ**) {تكوين٢٥-٨}.

وكذلك بين لهم المسيح قائلاً: (**يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي ..لا تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْرَاهِيمَ**) {لوقا٣-٧} ، فلا عبرة إذن بالنسب ولا العدد ولا اتكال على شيء من ذلك، وبذا نتبين أنه ليس لهذا الشعب ميراث من مبتدأ عهدهم وحتى زمن المسيح، لأنه بهذا قضت الحكمة الإلهية: (**أَمَّا نَسْلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ، الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ**) وقد ورد هذا في مزمور داود {٣٨-٢٧}، وهو كما قال تعالى في القرآن الكريم: (**ولَقَد كَتبْنَا فِي الزَّبورِ مِنْ بَعدِ الذِّكرِ أنَّ الأرْضَ يَرِثُها عِبَادِيَ الصَّالِحون**) {الأنبياء/ ١٠٥} .

هكذا قامت الحجج على تلك الأمة، فلما رأى الرب أفعالهم لم يرفع عنهم غضبه الذي حلَّ عليهم مراتٍ ومراتٍ حتى غلب ذلك على تسميتهم، وعرَّفهم الله في أم القرآن بالمغضوب عليهم، تلك الأمة التي لما أراد الله أن يختارها له

ويفضلها دونا عن شعوب الأرض آنئذٍ: رفضته ربّاً لها دونا عن الآلهة التي عبدتها شعوب الأرض، فكان الجزاء أن خصَّهم الله تعالى بالرفض والغضب من بين سائر الشعوب كذلك، (**لأنه ليس شعباً ذا فهمٍ، لذلك: لا يرحمه صانعُه، ولا يتَرَأَّف عليه جابِلُه**) {إشعياء٢٧-١١} حتى نجد أن الله الذي هو (**حنَّان ورَحِيم**) {الأخبار الثانى٣٠-٩}: لا يسمع دعاء عبيده ولا يجيب كما لا يسمعون له ولا يطيعون: (**فحين تبسطون أيديَكم أستُرُ عينِي عنكُم، وإن كَثَّرتم الصلاةَ لا أسمع**) {إشعياء١-١٥}، وحتى الأنبياء الذين لا يُرد دعاؤهم لا يجيبهم الله إن دعوا لهذا الشعب، بل إنه تعالى ينهاهم عن ذلك، فيأتي الأمر الإلهي للنبي إرميا: (**وَأَنْتَ فَلاَ تُصَلِّ لأَجْلِ هذَا الشَّعْبِ وَلاَ تَرْفَعْ لأَجْلِهِمْ دُعَاءً وَلاَ صَلاَةً، وَلاَ تُلِحَّ عَلَيَّ لأَنِّي لاَ أَسْمَعُكَ**) {إرميا٧-١٦و١١-٤} لأن بني إسرائيل لما اجترحوا جميع ما نُهوا عنه وسَبُّوا الرب: (**سمِعَ اللهُ فغَضِبَ ورَذَلَ إسرائيلَ جِداً**) {مزمور٧٨-٥٩} إلى أن استشعر الشعبُ والأنبياء ذلك مما حل بهم على مر الدهور فضَجُّوا إلى الله بالشكوى والدعاء، ولكنه لا يجيب، فقد انصرفوا عنه وظَهَرَ أنهم شرٌّ محض لا خير فيهم، فناجاه داود: (**هَلْ إِلَى الدُّهُورِ يَرْفُضُ الرَّبُّ، وَلاَ يَعُودُ لِلرِّضَا بَعْدُ؟ هَلِ انْتَهَتْ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ ؟**) {مزمور٧٧-٧} ولكن لا مجيب، فناداه: (**إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَغْضَبُ كُلَّ الْغَضَبِ، وَتَتَّقِدُ كَالنَّارِ غَيْرَتُكَ ؟**) {مزمور٧٩-٥} ، ويأتي نبيٌّ بعد نبيٍّ، ويعلم أن الله قد قضى بالنقمة على شعبه ولا مُخَلِّص من يده لأن (**الرّبُّ مُنْتَقِمٌ مِن مُبْغِضِيهِ وَحَافِظٌ غَضَبَهُ علَى أَعْدَائِهِ**) {ناحوم١-٢} إلى أن ضَرَعَ إرميا إلى الله: (**نَحْنُ أَذْنَبْنَا وَعَصَيْنَا، أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْ، الْتَحَفْتَ بِالْغَضَبِ وَطَرَدْتَنَا، قَتَلْتَ وَلَمْ تَشْفِقْ، الْتَحَفْتَ بِالسَّحَابِ حَتَّى لاَ تَنْفُذَ الصَّلاَةُ، جَعَلْتَنَا وَسَخًا وَكَرْهًا فِي وَسَطِ الشُّعُوبِ، فَتَحَ كُلُّ أَعْدَائِنَا أَفْوَاهَهُمْ عَلَيْنَا، صَارَ عَلَيْنَا خَوْفٌ وَرُعْبٌ، هَلاَكٌ وَسَحْقٌ**) {مراثي إرميا٣-٤٣} ثم لا إجابة ولا مرحمة حتى ينتهي سفر المراثي بقول إرميا: (**لِمَاذَا تَنْسَانَا إِلَى**

الأَبَدِ وَتَتْرُكُنَا طُولَ الأَيَّامِ؟ اُرْدُدْنَا يَا رَبُّ إِلَيْكَ فَنَرْتَدَّ، جَدِّدْ أَيَّامَنَا كَالْقَدِيمِ، هَلْ كُلَّ الرَّفْضِ رَفَضْتَنَا؟ هَلْ غَضِبْتَ عَلَيْنَا جِدًّا؟) {مراثي٥-٢٠} .

والله تعالى عدل، لا يظلم الناس شيئا، ولا يأخذ البريء بجُرم المسيء، وكلٌ يرتد عمله عليه، لذلك فإن غفر الله خطيئة؛ فليست لجميع شعب الخراف، وإنما لمن صلح منهم أو هادَ وتابَ، وأخيراً يأتي الجواب من الله لبعض أنبيائهم: **(يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ أَخْطَأَتْ إِلَيَّ أَرْضٌ وَخَانَتْ خِيَانَةً، فَمَدَدْتُ يَدِي عَلَيْهَا وَكَسَرْتُ لَهَا قِوَامَ الْخُبْزِ، وَأَرْسَلْتُ عَلَيْهَا الْجُوعَ، وَقَطَعْتُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَكَانَ فِيهَا هؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ: نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ)** {حزقيال١٤-١٣} وتُكرِّر التوراةُ هنا معنى الشرط مرة أخرى وهو البر لكي يخلص الربُّ الشعبَ من ضيقاته، إلى أن يَرِدَ قولُ الله الفصلُ في ذلك على لسان عاموس النبي موضحاً أن الله أحصَى آثامَهم ولا مغفرة: **(قَدْ أَتَتِ النِّهَايَةُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، لاَ أَعُودُ أَصْفَحُ لَهُ بَعْدُ ... ، قَدْ أَقْسَمَ الرَّبُّ بِفَخْرِ يَعْقُوبَ: إِنِّي لَنْ أَنْسَى إِلَى الأَبَدِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ)** {عاموس٨-٧،٣} .

ثم تأتي النهاية على هذا الشعب في أواخر أسفار التوراة عندما يقول الرب في رمزية توضيحية: **(وَأَخَذْتُ لِنَفْسِي عَصَوَيْنِ، فَسَمَّيْتُ الْوَاحِدَةَ "نِعْمَةَ" وَسَمَّيْتُ الأُخْرَى "حِبَالاً" .... ، فَأَخَذْتُ عَصَايَ "نِعْمَةَ" وَقَصَفْتُهَا لأَنْقُضَ عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ كُلِّ الأَسْبَاطِ .... ، ثُمَّ قَصَفْتُ عَصَايَ الأُخْرَى "حِبَالاً" لأَنْقُضَ الإِخَاءَ بَيْنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلَ)** {زكريا١١-٧:١٤} .

وهكذا تنتفي العهود وتبطل مع أمة بني إسرائيل كافة ولا يُعطَون ميراثا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ألقى الله العداوة بين أبناء الشعب الواحد إلى الأبد ونقض مؤاخاتهم، وصدق الله إذ يقول: **(وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُم العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** {المائدة /٦٤} وقال: **(تَحْسَبُهُم جَمِيعاً وَقُلُوبُهُم شَتّى ذَلِكَ بِأَنهُم قَومٌ لا يَعْقِلُون)** {الحشر/١٤}.

*　　　　*　　　　*

وأخيراً وبعد هذا الإيجاز يتضح مما قدمنا من نصوص التوراة نفسها سخافةُ الزعم بأن اليهود هم شعب الله المختار المقدس من بين الشعوب، وتبينَّا معنى الميراث للأرض، وكذلك معنى العهد وشرطه، ثم عرفنا من خلال استعراض بعض مراحل عمر أمة بني إسرائيل من التوراة والتاريخ أنه قد ارتكب كل ما يستوجب حرمانه من ميراث الأرض وعدم إمضاء العهد الإلهي معه، وأن عاقبته بعد البلايا والنكبات أن أبغضَه اللهُ لكثرة جرائمه وفحشها وعدم رجوعه عنها، ولعَنَه بكل أسباطه، ثم شَتَّتَ قلوبهم وشدَّدَ البأس بينهم، فصاروا كمن طردهم الله من أمامهم من قبل لوثنيتهم، ولكن لا بد للأمر من وارث ولا بد للشريعة من عاملين بها، فهل ينقضى الأمر هكذا أم يجعل الله الميراث لأمةٍ أخرى ؟

فلْنَدَعِ الكتاب المقدس يجيب عن ذلك .



(وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِب وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ) {متى٨-١١}

الباب الثاني

ميراث الملكوت

رأينا في الفصل السابق ما حاق ببني إسرائيل من غضب الله ونقمته، وأدركنا من كتبهم أسباب ذلك، وكما جرت السنة الإلهية: فإن الأرض ترثها أمة بعد أخرى حتى تستقيم واحدة منها بالشريعة فتكون لها الدولة إلى الأبد، أمَا وقد غضب الله على **(المغضوب عليهم)** فلابد أن يؤول الأمر إلى من يقوم بحقه كما قال المسيح عيسى بن مريم: **(لأَنَّ مَنْ لَهُ: سَيُعْطَى، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ: فَالَّذِي يَظُنُّهُ لَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ)** { لوقا ٨-١٨} **!** فكيف كان ذلك **؟!**

....

عرفنا من العهود التي أُخذت على بني إسرائيل اشتراط الاستقامة عليهم ليكون لهم الميراث والملك وإلا: **(يَذْهَبُ بِكَ الرَّبُّ وَبِمَلِكِكَ الَّذِي تُقِيمُهُ عَلَيْكَ إِلَى أُمَّةٍ لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ)** {تثنية ٢٨-٣٦}، ورأينا كم من العهود قد نقض اليهود، ولكن لأن بعض ملوكهم أُخذ عليهم العهد فأقامه كما أراد الله كداود الذي كان من سبط يهوذا: أدام الله عليه ملكه حتى ورثه ابنه سليمان، فدعا سليمانُ ربَّه ـ كما دعاه إبراهيمُ من قبل لذريته ـ أن يُديمَ الملكَ أبداً في سبط يهوذا من بعده كما وعَدَ تعالى داودَ أباه قائلاً: **(لاَ يُعْدَمُ لَكَ أَمَامِي رَجُلٌ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ، إِنْ يَكُنْ بَنُوكَ طُرُقَهُمْ يَحْفَظُونَ حَتَّى يَسِيرُوا فِي شَرِيعَتِي كَمَا سِرْتَ أَنْتَ أَمَامِي)** {الأخبار الثاني ٦-١٦}، فكان جواب الله لسليمان كجوابه لإبراهيم، بأن ذلك الفضل سيُنال بالحفاظ على العهد مع الله، وقد بيَّنا من نصوص التوراة ما صنع بنو إسرائيل من الجرائم من بعد سليمان، إلى أن انقسمت مملكته إلى مملكتين: شمالية (إسرائيل) وجنوبية (يهوذا) **(فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَّاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ سِبْطُ يَهُوذَا وَحْدَهُ، وَيَهُوذَا أَيْضًا لَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ، بَلْ سَلَكُوا فِي فَرَائِضِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي عَمِلُوهَا، فَرَذَلَ الرَّبُّ كُلَّ نَسْلِ إِسْرَائِيلَ)** {الملوك الثاني ١٧-١٨} ، لذا لم يثبت لليهود مُلك، لا في مملكة إسرائيل ولا في مملكة يهوذا، وقد رأينا زوال الأولى على يد سَرجون الثاني ٧٢١ ق.م ، وزوال الثانية وتدمير الهيكل على يد الملك البابلي الكبير

بُخْتُنصَّر ٥٨٦ ق.م ، فانظر كيف كانت عزة الملك لبني إسرائيل في يد سليمان وبمجرد ما حادوا عن أمر الله بعد موت سليمان سرعان ما تحول المُلك وجبروتُه إلى يد الكافر بختنصر الذي سلطه الله عليهم بذنوبهم ! .

وحتى عندما قام قورش (ت ٥٢٨ ق.م) ملكُ الفرس بغزو بابل وانتزع السيادة من البابليين وسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم وأعانهم على بناء الهيكل[١٣]: لم يعُد المُلكُ لليهود، وإنما كان الذل قد ضُرب عليهم أبداً "فقد تغلب الإسكندر بجيوشه على دولة الفرس (٣٣٣ ق.م) وخضعت أورشليم لجيوش الإسكندر الذي اقتسم قواده امبراطوريته من بعده، فكانت دولة البطالسة التي فرضت على بلاد اليهود الجزية لأكثر من مائة عام (٣١٨-١٩٨ ق.م) ثم غَالبَتْهَا دولةُ السلوقيين وانتزعت منها سيادةَ فلسطين، وأجهدت اليهود بالضرائب وسفهت دينهم، ولما ثار اليهود على الحكام السلوقيين؛ اجتاح ملكهم (أنطيوخس الرابع) أورشليم، وقتل كثيراً من اليهود، ودنَّس الهيكل، وصادر آنيته وكنوزه والمذبح الذهبي، وحوَّل الهيكل معبداً لِزيوس [١٤] وجعل مذبح الرب مذبحاً لآلهة الإغريق، وقدم قرابين من الخنازير التي تحرمها التوراة، وحرم المراسم اليهودية، وأعدم من خالف ذلك، بل وأشعل النار في أورشليم وباع سكانها في أسواق الرقيق [١٥].

وأيضا عندما أُرسِل لهم المسيحُ أكّدَ لهم زوالَ مُلكهم إلى الأبد، وأنَّ هيكلهم بأورشليم ـ الرمز المادي لتجسيد ديانة بني إسرائيل ـ سيُهدم ولن تقوم له قائمة أبداً ، فقال : (**يَا أُورُشَلِيمُ، يَاأُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا**)، {متى ٢٣-٣٨، لوقا ١٣-٣٥}،

---

١٣ : انظر (عزرا- ١) .
١٤ : كبير آلهة الإغريق .
١٥ : أرض الميعاد ص ١٧٠ ، ١٧١ بتصرف .

(أتنظرُ هذه الأبنيةَ العظيمةَ؟، لا يُترَك حجرٌ على حجرٍ لا يُنقض) {مرقس ١٣-٢}.

وقد وقع ذلك على يد القائد الروماني "تِيـتُس" **(Titus)** عام (٧٠ م) "عندما هاجم المتألبين من اليهود على روما فاقتحم أورشليم ودمر الهيكل، وقتل كل من وجده حياً من اليهود، ومن تُرك منهم حياً صار يدفع الجزية لروما، وبدأ اليهودي التائه منذ ذلك الحين تِجوَالَهُ الأبدي" [١٦] .

وما دام هذا الشعب قد ضل وحُرم الميراث الإلهي فلابد أن يكون هناك وارث آخر غيره، كما قال قدوس إسرائيل: **(كيف يُدنَّس اسمي وكرامتِي لا أعطيها لآخر؟)** {إشعياء ٤٨-١١} ، بل إن قضاء الله بذلك كان موافقا لدعوات بعض الأنبياء على بني إسرائيل أن يَهْلِكُوا وتُستخلفَ أمةٌ أخرى غيرهم كما دعا داود على شعب اسرائيل قائلاً: **(لتكن أيامُه قليلةً، ووظيفَتَه ليأخُذْها آخرُ)** {مزمور١٠٩-٨}.

ودون أن نبادر نحن بالإعلان عن هؤلاء الوارثين للدين والشريعة، سيخبرنا الكتاب المقدس بذلك .

*　　　　*　　　　*

١٦ : المصدر السابق ص ١٧٥ .

الفصل الأول:

مباركة إسماعيل وبنيه .

رزق اللهُ إبراهيم عليه السلام مولودَه الأولَ إسماعيل، ولما كان إسماعيل في الثالثة عشرة من عمره أوحى الله إلى إبراهيم قائلاً: (**وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ،هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا، اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً، وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ ...وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ابْنَ ثَلاَثَ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ**) {تكوين ١٧-٢} ثم بشره الله بأن سارة ستلد له إسحاق بعد عام واحد، وهذا دليل من التوراة ذاتها على كذب مزاعم اليهود بأن الذبيح هو إسحاق، لأن الأمر لإبراهيم يقول: (ولدك وحيدك إسحاق) وهو يخالف الشاهد السابق الذي يبين أن وحيده لمدة ثلاثة عشر عاماً هو إسماعيل، وبعدما تم الثالثة عشر جاءت البشارة لإبراهيم بأن سارة ستلد له إسحاق بعد عام، فإسحاق على ذلك أصغر من إسماعيل بأربعة عشر عاما!!

"وقد كان اليهود دوماً في غيرة من إسماعيل لأنهم يعرفون جيداً أنه كان يجسد العهد، وبختامه خُتم العهد، وبدافع من ذلك الحقد والضغينة قام كَتبتُهُم وفُقهاؤهم بتحريفِ الكثيرِ من نصوص كتبهم المقدسة فشطبوا اسم إسماعيل من الفقرات الثانية والسادسة والسابعة من الفصل الثاني والعشرين من سفر التكوين ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه في حين أبقوا على الوصف الخاص بإسماعيل وهو الابن الوحيد" (١٧) .

وكما ورد في الموسوعة اليهودية [١٨] كذلك من أن:

Sarah saw Ishmael mocking her son Isaac, his brother, younger by fourteen years, she insisted that Abraham cast out Ishmael and his slave-mother.

"سارة رأت إسماعيل يسخر من ابنها إسحق، أخيه الذي كان يصغره بأربعة عشر عاما، فألحت على إبراهيم أن يطرد إسماعيل وأمه الجارية" !

فالمفهوم من النبوءة السابقة أن الله سمع لإبراهيم أي في دعائه لابنه بالبركة في ذريته، وهو كما قال تعالى في كتابه العزيز على لسان إبراهيم داعيا: (**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَةً مُسلِمَةً**) {البقرة/١٢٨}، وبهذا جاءت البشارة لهاجر أيضاً على لسان الملاك: (**وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ". وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ**) {تكوين ١٦-١٠} ، فتضمنت البشارة هنا كذلك تكثير نسل إسماعيل جداً، فكان أباً لاثني عشر رئيساً، وأبناؤه هم : (**نَبايُوت بكر إسماعيل، وقِيدار، وأدَبْئيل، ومِبْسام، ومِشمَاع، ودُومة، ومَسَّا، وحَدَار، وتَيْما، ويطور، ونافيش، وقِدْمة**) {تكوين ٢٥-١٣} .

فمما ورد في النص ويوضح تكثير نسل إسماعيل بمباركته لفظة (פרא אדם = بَرَا آدم) بمعنى: (إنسان خصيب الذرية)

فقد ترجمت في الترجمة السبعينية كما رأينا : **يكون إنسانا وحشيا**.

وفي (الترجمة بين السطور) كما نرى: فرّاء (إنسان فرّاء)!

١٧: محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى ص ٣٠ .

١٨ : The Jewish Encyclopedia, (volume 6 page 647)

וְהוּא יִהְיֶה פֶּרֶא אָדָם יָדוֹ בַכֹּל וְיַד כֹּל בּוֹ
وهو يكونُ فَراءً إنساناً يَدُهُ في الكُلِّ ويَدُ كُلٍّ فيه

واللفظ في التوراة السامرية: **"وهو يكون وحشيا من الناس"** وفي الترجمة اليسوعية: **"وهو يكون حمارا وحشيا بشريا"** ، وفي الترجمة الإنجليزية لنسخة الملك جمس: **"and he will be a wild man"** أي (سيكون رجلا متوحشا).

وفي ترجمة الآباء الدومينيك: **(وهو سيكون إنسانا وحشيا)**، واللفظ بهذه الترجمة غير مفهوم ومضطرب المعنى، لكن إذا رجعنا للفظ **פרא** ومعناه الوضعي في اللغة لوجدناه كالتالي [١٩]: "to bear. specialy fruit"

أي ينتج ويثمر خاصةً الفواكه، يعني تَكثُرُ ثمرتُه أو نسلُه، "وقد قام النصارى بعد ذلك بترجمة الكلمة العبرية [خصيب الذرية] من الفعل [بَرَا] الذي يرادفه في العربية لفظ [وفرة] ترجموها إلى الحمار المتوحش" [٢٠] وذلك لنفي مفهوم البركة في نسل إسماعيل وتكثير الأمة من نسله.

ولما أُمِر إبراهيم بذبح وحيده إسماعيل فأذعن وافتداه الله بالكبش: **(نَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ، وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ)** {تكوين ٢٢-١٥}، فتكرر هنا تأكيد البركة لنسل إبراهيم بالقسم الإلهي، فإن كان ذلك لنسل إبراهيم عامةً فلا قرينة هنالك لقصرها على نسله من إسحاق الذي لم يكن قد وُلد أصلاً ساعةَ ورود هذا الوعد كما ذكرنا من قبل!، وإنما لوحيده الذي افتداه الله ووعد بميراث نسله للأرض، بل إن بني إسرائيل نُزعت منهم البركة وأُوثروا باللعن الأبدي

١٩: A Hebrew and English lexicon of the Old Testament page 863

٢٠: محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى ص ٣٠ .

وزوال الملك منهم لما صنعوا على مر التاريخ حسب شهادة التوراة نفسها، لكن نسل إسماعيل لم يرد فيه شيء من ذلك ولم يكن ما يدعو لنزع البركة أو الميراث من نسله ، أما مباركة جميع أمم الأرض في نسل إبراهيم فهي دليل على عموم البركة لجميع الشعوب عن طريق نسل إسماعيل، وهذا إرهاص بإرسال رسول من نسله للناس كافة، وذلك خلافاً لأنبياء بني إسرائيل الذين لم يُرسلوا إلا إلى قومهم خاصةً، فكان رسول الله ﷺ بذلك دعوة إبراهيم .

وإذا كنا قد علمنا أن إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم، وهو الذي وردت البشارة لإبراهيم بمباركته وميراثه للسلطة من أبيه دون إسحق؛ فقد أكدت التوراة ذلك أيضا: (**إِذَا كَانَ لِرَجُل امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ، الْمَحْبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ، فَإِنْ كَانَ الابْنُ الْبِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ، فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ، لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ، بَلْ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ، لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ**) {التثنية ٢١-١٥}

فهذا الشاهد أدمغ دليل من التوراة على أفضلية الابن البكر إسماعيل على من عداه لأن هاجر لم تكن المحبوبة هي وابنها (ابن الجارية) فقد غارت سارة من هاجر لما حملت بإسماعيل: (**فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ فِي عَيْنَيْهَا**) {التكوين ١٦-٥} وكذلك: "**رَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ، فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ**" {التكوين٢١-٩}، ولا يستطيع أهل الكتاب المجادلة في ذلك، "لذلك وجب علينا أن نعترف بأن إسماعيل كان الوارث الحقيقي والشرعي لامتيازات ومكانة أبيه الروحية، وأن هذا الإرث الذي استحقه إسماعيل وذريته لكونه الابن البكر: لم يكن خيمة والده ولا مواشيه، وإنما كان إخضاع كل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات وسكانها إلى الأبد [تكوين ١٥- ١٨/ ١٧-١٨] وبالفعل فإن تلك

البلاد لم تخضع قط لذرية إسحاق، ولكنها خضعت لذرية إسماعيل مما يُعتبر تَحقُّقاً حرفياً لأحد نقاط العهد" [٢١] .

٢١: محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى ص ٢٩ .

الفصل الثاني:

نزع النبوة من أهل الكتاب وعمومها للبشر كافة

إذا كان الأمر من دين ودنيا - أو نبوة ومُلك - سوف ينتقل من بني إسرائيل إلى أمم الأرض كافة؛ فلابد إذن أن تظهر شريعة جديدة عامة لبني آدم غير التي اختص بها بنو إسرائيل وكانت مقصورة عليهم، ولابد أن يُعرِّفَ الله أهل الكتاب ذلك حتى يتهيؤوا له من جهة، وتقوم عليهم الحجة من جهة أخرى إن لم يتبعوا الشريعة الجديدة والرسول الذي سيُرسَل بها حسب ما يعلمون من كتبهم التي أنزلت على أنبيائهم، وهذا بالفعل ما عرفهم الله إياه كما جاء في كثير من الإشارات والنصوص التي سنوردها فيما يلي ونوضحها.

فمن تلك الإشارات إلى ظهور دين عام لكل بني آدم ما يلي:

◈ **(أَنْصُتُوا إِلَيَّ يَا شَعْبِي، وَيَا أُمَّتِي اصْغِي إِلَيَّ: لأَنَّ شَرِيعَةً مِنْ عِنْدِي تَخْرُجُ، وَحَقِّي أُثَبِّتُهُ نُورًا لِلشُّعُوبِ، قَرِيبٌ بِرِّي، قَدْ بَرَزَ خَلاَصِي، وَذِرَاعَايَ يَقْضِيَانِ لِلشُّعُوبِ، إِيَّايَ تَرْجُو الْجَزَائِرُ وَتَنْتَظِرُ ذِرَاعِي)** {إشعياء ٥١-٤} .

هذا نداء من الرب على لسان النبي إشعياء لأمة بني إسرائيل حيث يبشرهم الله بخروج شريعة جديدة، وإذا كانت شريعة التوراة موجودة بين يدي بني إسرائيل من أيام موسى حتى أيام المسيح عليه السلام حيث لم ينقضها؛ فإن الشريعة التي ستخرج إلى كافة الشعوب في هذا النص هي شريعة جديدة مختلفة تظهر لاحقاً لأن شريعة التوراة كانت خاصة بشعب إسرائيل فقط، وعلى ذلك فالشريعة الجديدة ناسخة لما قبلها، أي لشريعة التوراة، وما دامت شريعة التوراة لم تنسخ حتى زمن المسيح كما قال لبني إسرائيل: **(لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ)** {متى ٥-١٧}؛ فالشريعة الجديدة ستكون بعد المسيح، وخروجها من عند الله يعني نزول الوحي بها من السماء وإعلانها على لسان المُرسَل بها، وما دامت شريعة من عند الله حقاً ؛ فإذاً سوف يثبِّتها أي يحفظها نوراً وهداية لكل الأمم، وعليه فلن تتغير أبداً لا بتحريف ولا بتبديل - كما حدث لما قبلها - ولا بنسخٍ بشريعةٍ لاحقةٍ ، وذلك يؤكد أن المرسل بها ليس من بني إسرائيل، لأن التوراة لم تنزل لكافة الشعوب، وإنما لبني إسرائيل فقط، ونزلت على أنبياء من بني إسرائيل، بل فضلاً عن ذلك فقد شُدِّدَ على اليهود في عدم اختلاطهم بمن حولهم من الشعوب وتأثرهم بعاداتهم أو دياناتهم حتى أنهم لما خالفوا أُخِذ ذلك عليهم واعتُبِر خطيئة: **(واختلط الزرعُ المقدسُ بشعوبِ الأراضِي)** {عزرا٩-٢} .

وعلى ذلك ؛ فليست تلك الشريعةُ وشيكةُ الخروج شريعةً لبني إسرائيل خاصةً، وإنما هي عامة لكل بني آدم بما فيهم اليهود إن دخلوا تحت رايتها.

....

ومنها أيضاً:

◈ **(غَنُّوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَتَهُ فِي جَمَاعَةِ الأَتْقِيَاءِ ... لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِمَجْدٍ، لِيُرَنِّمُوا عَلَى مَضَاجِعِهِمْ، تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ، لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الأُمَمِ، وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ، لأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقُيُودٍ، وَشُرَفَائِهِمْ بِكُبُول مِنْ حَدِيدٍ، لِيُجْرُوا بِهِم الْحُكْمَ الْمَكْتُوبَ، كَرَامَةٌ هذَا لِجَمِيعِ أَتْقِيَائِهِ)** { مزمور ١٤٩} .

فالترنيمة الجديدة ما هي إلا "وحي جديد" ، كتاب ترتله أمة الأتقياء، وسيفرح المتقون بهذا المجد والكرامة، وهم الذين يذكرون ربهم على كل حال قياما وقعودا وعلى جنوبهم في مضاجعهم، وذكر الله على ألسنتهم دائماً بكلمة التوحيد وترتيل الوحي الجديد.

أما كلمة "تنويهات" في الترجمة العربية فيتضح معناها بالرجوع إلى معاجم اللغة ، فمعنى "نوّه به تنويهاً : دَعَاهُ برفعِ الصوتِ، ورَفَعَ ذِكرَهُ ومَدَحَهُ وعَظَّمَهُ" [٢٢]، واللفظ بالإنجليزية (high praise) [٢٣] أي التمجيد أو التسبيح بصوت عالٍ، وبصيغة الجمع (praises) في ترجمة الملك جمس.

واللفظ أصلاً في التوراة: (רוממות אל = روممّوت إيل) ، ولفظ (روممّوت) يعني: "عَظَّمَ ، بَجَّل، أَجَلَّ، فَخَّم ، كَبَّر" [٢٤] ، و (إيل) أي الله، فهو مقابل لفظ الجلالة في العربية، وهنا يتضح المعنى المقصود: فالمراد تكبير الله تعالى على لسان آخر الأمم في الأذان خمس مرات كل يوم وليلة، بصوت يعلو في كل مكان يصل إليه هذا الدين الحنيف، ومما يدهشنا أن نجد هذا اللفظ الدال

---

٢٢ : بطرس البستاني: محيط المحيط مادة (ن و هـ).

٢٣ : The holy bible, published by The Church of Jesus Christ of Latter – day Saints , Salt Lake City, Utah, USA.

٢٤ : راجع : قاموس سجيف (٢٠ / ١٦٦٦).

على هذا المعنى بجلاء ووضوح من خلال ترجمة الكتاب المقدس للآباء الدومينيكان هكذا: "**<u>تكبيرات الله</u> في حناجرهم**" [٢٥]!

أما السيف فهو إشارة إلى القتال والجهاد، وذلك ربط واضح أيضاً بين الجهاد وتكبير المجاهدين في القتال، حتى ينتقم الله بهؤلاء المؤمنين به من الشعوب الكافرة، وليأسروا ملوكهم وكبراءهم - وكان من ذلك الكثير منذ ظهور الإسلام طيلة قرون عدة - ليُتِمّوا قضاء الله على الكافرين بأيديهم ، فهذا تكريم للمتقين لا غير.

ولا يصدق ما في ذلك المزمور على بني إسرائيل، إذ لم تكن لهم كتب أو شريعة غير التوراة التي نزلت على موسى، فضلاً عن أن التوراة ليست جديدة كما يظهر من النص، فالترنيمة في هذا المزمور كانت على لسان داود (١٠١٠- ٩٧٠ ق.م) بينما نزلت التوراة قبلها بحوالى ٢٥٠ عاماً !، كما أننا رأينا من قبل بعدهم عن التقوى بُعد المشرقين إلا أفراداً من الشعب، ولم يكن لهم قتالٌ ولا جهادٌ ولا أسرٌ لملوك، بل هم الذين سُبوا إلى أقصى الأرض وتشتتوا فيها، ولم يكن بعد داود من أنبياء بني إسرائيل من حمل السيف وحارب، فهذا النص جلي في إشارته إلى آخر الأنبياء عليه السلام.

....

ومنها قول داود أيضاً:

◈ (الْتَفَتَ إِلَى صَلاَةِ الْمُضْطَرِّ، وَلَمْ يَرْذُلْ دُعَاءَهُمْ، يُكْتَبُ هذَا لِلدَّوْرِ الآخِرِ، وشَعْب سَوْفَ يُخْلَقُ يُسَبِّحُ الرَّبَّ) {مزمور ١٠٢-١٧}.

فالدَور (وهو اللفظ الأصلي بالعبرية דוֹר = دُور) معناه الدهر، و هو أيضا بمعنى الجيل والدورة الزمنية في عمر البشر[٢٦]، فهذه المواهب والبشارات

---

٢٥ : طبعة الآباء الدومينيكان بالموصل ١٨٧٥م .

٢٦ : A Hebrew and English lexicon of the Old Testament page 218 ، ولا يفوتنا هنا أن نذكر ذلك اللفظ الدقيق الجلي الذي يدل على مرادف كلمة (דוֹר دور) - أي دورة زمنية - الذي ذكره نبينا ﷺ في خطبة

الإلهية لأهل الزمن الأخير والأمة الأخيرة، وإجابته تعالى لدعاء المضطرين (**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضطَّرَ إذا دَعَاهُ**) { النمل/٦٢} ودليل كون ذلك لغير بني إسرائيل قوله: (**شعب سوف يُخلق**) فهو لم يوجد حتى أيام داود صاحب هذه النبوءة، وفضلاً عن ذلك فإن الأجيال التي تلت داود لم يجب الله دعواتها ولا حتى دعوات الأنبياء لها كما رأينا من قبل إذ لم يكن لها من الاستقامة ما يجعل لها حظاً من تلك الميزة والأفضلية.

....

ومنها قول النبي إشعياء :

◈ (**هُوَذَا الأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ، وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا، قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ أُعْلِمُكُمْ بِهَا، غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ، لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ، مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا، لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ**){إشعياء ٤٢-٩}.

وتتكرر عدة مرات الإشارة إلى الأغنية أو الترتيلة الجديدة، أو الكتاب الجديد، وحتى لا تؤخذ كلمة أغنية بمعناها الحرفي المباشر؛ لِنَتَنَبَّهْ إلى أن الترانيم كانت موجودة في الأسفار المتقدمة من أيام موسى (سفر الخروج) إلى أيام سليمان بن داود (سفر نشيد الأنشاد) أما من سفر إشعياء هذا إلى آخر التوراة، بل الإنجيل: لا نجد أثراً لترنيمة جديدة ولا قديمة .

وزيادة على ذلك فالتسبيحة الجديدة تشمل سكان الجزائر التي تملأ البحر وهي أرض العرب وتحديدا الجزيرة العربية، فالنص يقول: المنحدرون في البحر وملؤه، وحسب الترجمة الإنجليزية:

حجة الوداع حين قال: "إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ" (صحيح البخاري برقم ٥٥٥٠، ومسند أحمد برقم ٢٠٣٨٦) فقد بدأ دور جديد أي زمن جديد بعد مبعثه ﷺ لأمته التي هي آخر الأمم .

"ye <u>that go down to the see</u> and all that is therein" ـ كما في نسخة الملك جمس ـ أي: "أيها الساكنون جنوبا نحو البحر وعامرو مدنه"، فالإشارة إلى بلاد العرب الواقعة جنوب المملكة الجنوبية (يهوذا) حيث كان إشعياء النبي يخبر بتلك النبوءة، وهي الصحراء العربية ومدُنها، والدليل ذكر "قيدار" وهو أحد أبناء إسماعيل كما عرفنا، وإليه ينتهي نسب نبينا ﷺ، والبرية التي كان بها استقرار إسماعيل وزواجه كانت في مكة، وانتشرت ذريته في برية الحجاز بجزيرة العرب، وقيدار بن إسماعيل مات قبل داود بقرون، وعلى ذلك فالمقصود هم ذريته من العرب.

ولما لم تكن التوراة منزلة على غير اليهود، فإن رفع البرية ومدنها وديار قيدار صوتها بالتسبيحة الجديدة إشارة إلى ظهور الشريعة الجديدة بين العرب وفي قلب جزيرتهم، وكان ذلك مما تيقنه اليهود وترقبوه ، فقد كان أكثر تجمعهم قبل البعثة بالمدينة وخيبر حيث أشار هذا الشاهد إلى المدينة المنورة من خلال ذكر اسم "سالع"، وهو ما سنوضحه في موضعه من الكتاب لاحقا إن شاء الله.

....

ومنها قول الرب لبني يعقوب في سياق التوبيخ مُبشراً بأمة بارة :

◈ (**لاَ تَذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ، وَالْقَدِيمَاتُ لاَ تَتَأَمَّلُوا بِهَا، هأَنَذَا صَانِعٌ أَمْرًا جَدِيدًا. الآنَ يَنْبُتُ، أَلاَ تَعْرِفُونَهُ؟ أَجْعَلُ فِي الْبَرِّيَّةِ طَرِيقًا، فِي الْقَفْرِ أَنْهَارًا، يُمَجِّدُنِي حَيَوَانُ الصَّحْرَاءِ، الذِّئَابُ وَبَنَاتُ النَّعَامِ، لأَنِّي جَعَلْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ مَاءً، أَنْهَارًا فِي الْقَفْرِ، لأَسْقِيَ شَعْبِي مُخْتَارِي، هذَا الشَّعْبُ جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِي، وَأَنْتَ لَمْ تَدْعُنِي يَا يَعْقُوبُ، حَتَّى تَتْعَبَ مِنْ أَجْلِي يَا إِسْرَائِيلُ**) {إشعياء٤٣-١٨}.

فالأمر الجديد هو الدين الجديد الذي يكرم الله به القفار وساكنيها، حيث ستكون هناك طرقٌ في الصحراء التي كان يندر ساكنوها، طرقٌ يسلكها المتوجهون إلى بيت الله في مكة، وفي هذه القفار جعل الله ماء زمزم سقيا لشعبه

الذي اصطفاه من الشعوب، فكانت زمزم كالنهر لا ينضب أبداً منذ أزمان بعيدة وإلى أن يشاء الله مهما كثر المستقون منه!، ولا يقصد من النص أي نهر عام ولو كان المراد نهرا معتادا فإنه لا يُعقل أن تقتصر السُقيا منه على شعب واحد وتُحظر على من سواه من الناس، إلا إن كان ذلك الماء لأهل دين محدد لا يدخل أرضهم غيرهم، ولا وجود لذلك الأمر إلا في (مكة)!، ولا تنصرف لفظة شعبي مختاري هنا إلى بني إسرائيل، لأن النبوءة تتحدث عن أمر جديد، وشعبٍ سيظهر (في البرية) أي بقلب الصحراء ـ حيث لم تكن موطناً لبني إسرائيل ـ وهذا الشعب هو الذي يُعظم الرب ويسبح بحمده (**يحدث بتسبيحي**) أو كما في الترجمة اليسوعية (**يحدثون بحمدي**)، أما شعب إسرائيل فلم يفعل كما تؤنبه النبوءة، فهما شعبان متغايران.

....

ومن ذلك أيضاً الرؤيا الشهيرة في سفر دانيال التي رآها الملك البابلي بُختنَصَّر ولم يجد حكيماً يخبره بها وبتعبيرها حتى عبَّرها له النبي دانيال [٢٧] (وكان فيمن سباهم الملك إلى بابل) ونسوق هاهنا الرؤيا وتعبيرها بالكامل، حيث قال دانيال :

◈ (**أنت أيها الملكُ كنتَ تنظرُ وإذا بتمثالٍ عظيمٍ، هذا التمثالُ العظيمُ البهيُّ وقف قِبالَتَكَ ومنظرُهُ هائلٌ، رأسُ هذا التمثالِ من ذهبٍ جيدٍ ، صدرُه وذراعاهُ من فضةٍ، بطنُه وفخذاهُ من نُحاسٍ، ساقاهُ من حديدٍ، قَدَماهُ بعضُهُما من حديدٍ والبعضُ من خزفٍ، كنتَ تنظر إلى أن قُطِعَ حَجَرٌ بغيرِ يدَينِ فَضَربَ التمثالَ على قدميهِ اللّتَينِ من حديدٍ وخزفٍ فسَحَقَهُمَا، فانْسَحَقَ حينئذٍ الحديدُ والخزفُ والنحاسُ والفضةُ والذهبُ معاً، وصارت كعُصَافة البَيدَرِ في الصَّيف فحملَتْهَا الريحُ فلم يوجد لها مكان، أما الحجرُ الذي ضربَ التمثالَ فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرضَ كلَها، هذا هو الحُلْم، فنُخبِرُ بتعبِيرِهِ قُدَّام المَلِك :**

٢٧ : وهو الذي تولى دفنه الصحابي أبو موسى الأشعري بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في أرض العراق بعد فتحها.

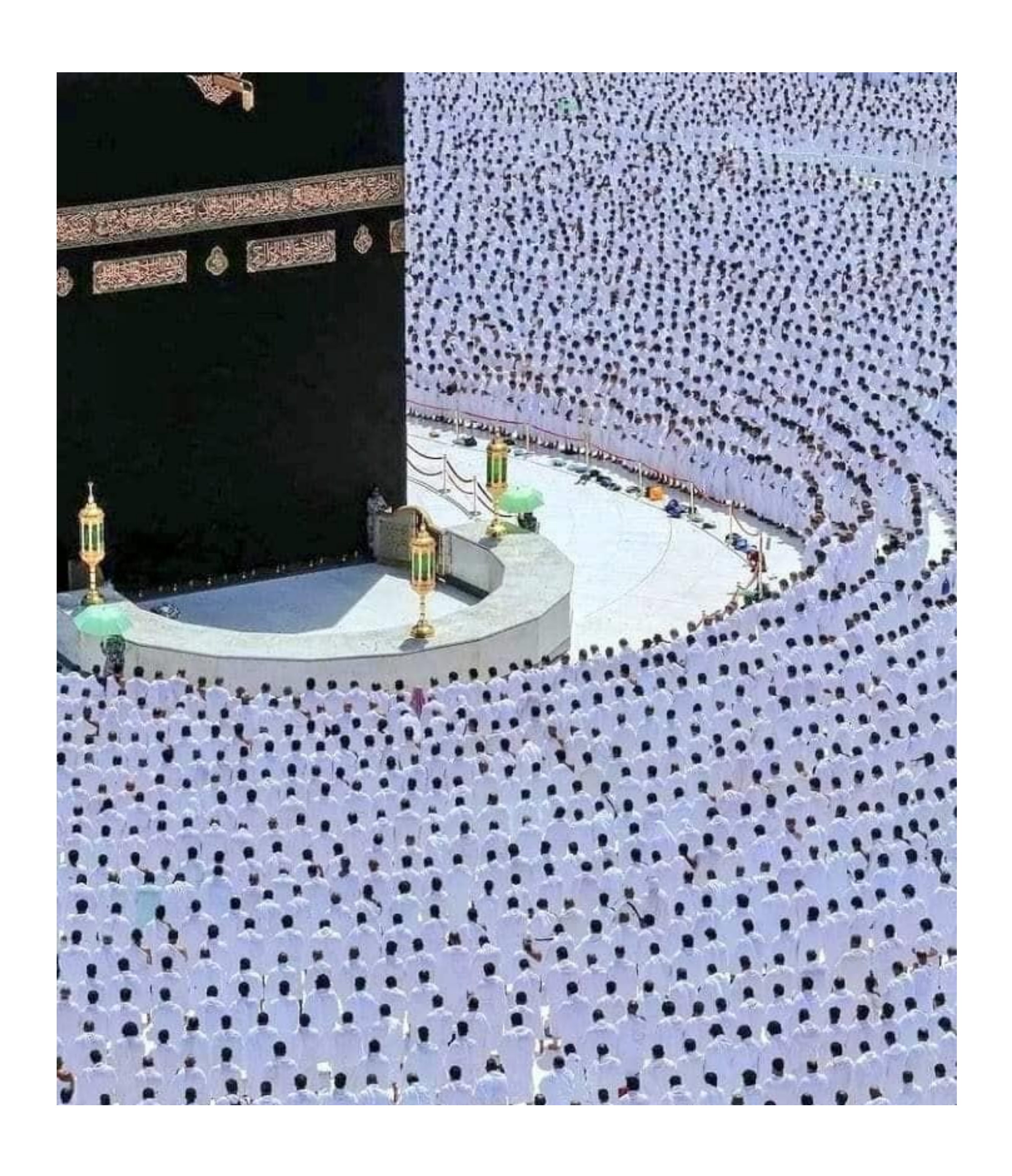
أنتَ أيُها الملكُ: مَلِكُ مُلوكٍ، لأن إلهَ السَّمواتِ أعطاك مَمْلكةً واقتداراً وسُلطاناً وفَخراً، وحيثما يسكنُ بنو البشرِ ووحوشُ البَرِّ وطيورُ السماء: دَفَعَهَا ليَدِكَ وسَلَّطَكَ علَيهَا جَمِيعاً، فأنتَ هذا الرأسُ من ذهبٍ، وبعدَكَ تَقُومُ مملكةٌ أُخرى أصغرُ منك، ومملكةٌ ثالثةٌ أُخرى من نُحاسٍ، فتَتَسلَّطُ على كل الأرضِ، وتكونُ مملكةٌ رابعةٌ صلبةٌ كالحديدِ لأنَّ الحديدَ يَدُقُّ ويَسْحَقُ كلَّ شيءٍ، وكالحديدِ الذي يَكْسِرُ: تَسحَقُ وتكسِرُ كلَّ هؤلاءِ، وبما رأيتَ القدمينِ والأصابعَ بعضُهما من خزف والبعضُ من حديد؛ فالمملكةُ تكون مُنقَسِمةً ويكونُ فيها قوةُ الحديد من حيثُ أنك رأيتَ الحديدَ مُختلِطاً بخزفِ الطِين، وأصابعُ القدمين بعضُهما من حديدٍ والبعضُ من خزفٍ، فبعض المملكة يكون قوياً، والبعض قَصِماً، وبما رأيتَ الحديدَ مختلطاً بخزف الطين؛ فإنهم يختلطون بِنَسْلِ الناسِ ولكن لا يتلاصقُ هذا بذاكَ كما أن الحديدَ لا يختلطُ بالخزفِ، وفي أيام هؤلاء الملوكِ يُقيم إلهُ السمواتِ مملكةً لن تنقرضَ أبداً، ومُلْكُها لا يُتركُ لشعبٍ آخر، وتسحقُ وتُفنِي كلَّ هذه الممالكَ، وهي تَثْبُتُ إلى الأبد، لأنك رأيتَ أنه قد قُطِعَ حجرٌ من جبلٍ لا بيدين، فَسَحَقَ الحديدَ والنُحاسَ والخزفَ والفضةَ والذهبَ، اللهُ العظيمُ قد عرَّف المَلِكَ ما سيأتي بعدَ هذا، الحُلمُ حقٌ وتعبيرُه يقينٌ) {دانيال٢-٣١:٤٥} .

فالمملكة الأولى هي المملكة الكلدانية مملكة بختنصر نفسِه صاحبِ الرؤيا، والتي بعدها هي مملكة (الفُرس) الذين تسلطوا بعد قتل بلْشاصَّر بن بختنصر على المملكة ـ كما قال دانيال لبلشاصر {دانيال ٥-٢٨} ـ والمملكة الثالثة هي الإمبراطورية اليونانية: مملكة الإسكندر الأكبر الذي قسم سلطنة الفرس على طوائف الملوك، أما المملكة الرابعة فكانت الإمبراطورية الرومانية، وهي التي سادت حتى ظهور الإسلام، والمملكة التي ظهرت ولم ينقرض ملكها منذ ذلك الحين هي الإسلام عندما أرسل الله النبي الأمي ﷺ "وأعطاه الله السلطنة الظاهرية والباطنية، وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقاً

وغرباً على جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقَيْن بها، فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي، ومُلكها لا يُعطى لشعب آخر، فهذا الحجر الذي انقطع لا بيدين من جبل وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب وصار جبلاً عظيماً وملأ الأرض بأسرها هو محمد ﷺ" [٢٨] . أو الدين والملك الذي أُعطي له ولأمته، فالواقع التاريخي أيد ذلك، "لقد أسس محمد (ابن الإنسان المنتظر) مملكة السلام (الإسلام) التي دخل فيها طواعية أكثرية اليهود في شبه جزيرة العرب والشام والعراق وغيرها كما أسس أُخُوّةً شاملة نواتها أسرة إبراهيم، ومن أغصانها: العرب والفرس والأتراك والأكراد والبربر والصين والزنوج والجاويون والهنود والإنجليز ..... إلخ فشكلوا أمة واحدة (أمثا ـ دا ـ شلاما) بالسريانية أي : الأمة الإسلامية " [٢٩]

....

٢٨ : حجة الله على العالمين (١/ ١٠٨) .
٢٩ : محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى ص ١٦٥ .



لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ {حجي٣/٩}

ومن ذلك أيضاً ما ورد في سفر صَفَنْيَا:

◈ **(لِذلِكَ فَانْتَظِرُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ ... لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ)** {صَفَنيا ٣-٩}.

هذه النبوءة توضح عموم الدين المُبَشَّرِ به لجميع الشعوب مما لم يكن من شأن الديانة اليهودية بالطبع لأنها كانت مقصورة على شعب إسرائيل، وعبادة الشعوب كلها في هذا الدين تتحد في لغة واحدة مشتركة هي اللسان العربي، وعبادتهم بكتف واحدة تعني توحد هيئتهم في العبادة وصلاتهم كتفا بكتف، كأنهم بنيان مرصوص مما لا يظهر في غير هيئة صلاة المسلمين، وقوله: (**انتظروني ... حينئذ**)، يبين أن تلك النبوءة لم تظهر بعد في زمن صفنيا المتنبئ بها (ق ٧ ق.م).

وفي عبارة (**أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة**) إذا تفحصناها كلمةً كلمةً في الأصل العبري[٣٠] لقرأناها كالتالي:

(אֶהְפֹּךְ אֶל עַמִּים שָׂפָה בְרוּרָה לִקְרֹא כֻלָּם בְּשֵׁם יְהוָה לְעָבְדוֹ שְׁכֶם אֶחָד)

فكلمة אֶהְפֹּךְ (أهفُك) تعني: أُحَوِّلُ، ولفظة אֶל עַמִּים (إلْ عَمِّيمْ) معناها: إلى الشعوب، وكلمة שָׂפָה (شفَه) معناها: (لسان بمعنى لغة)[٣١] ، وكلمة בְרוּרָה (برورَه) معناها: (ظاهر، مفهوم، مبين)[٣٢] ، أما كلمة לִקְרֹא (لقرو) ومعناها: ليقرؤوا، فهي من الجذر اللغوي קָרָא (قرا) بمعنى (قرأ، تلا، دعا)[٣٣]! ، وتعني لفظة כֻלָּם (كُلام): كلُّهُم، أما בְּשֵׁם (بشِم) فتعني: باسم، ولفظ יְהוָה (يَهوَه) فهو اسم الله في العبرية، وكلمة לְעָבְדוֹ (لِعَبدو) معناها ليعبدوا، مشتقة

٣٠ العهد القديم العبري: ترجمة بين السطور

٣١ : راجع قاموس سجيف ص ١٨٣٠.

٣٢ : قاموس سجيف ص ٢٠٨.

٣٣ : قاموس الأفعال العبرية ص ٥٩.

من الجذر (עָבַד أي عَبَد وخَدَم)، أما اللفظ שְׁכֶם אֶחָד (شْكِم إحَد) فتعني (كتفا إلى كتف، جنبا إلى جنب)[٣٤] ، فيكون المعنى الجلِيُّ لترجمة العبارة العبرية هو: **"سوف أحول الشعوب إلى لسان مبين ليدعوا (ليقرؤوا) جميعا باسم الله ويعبدوه كتفاً في كتف"!** وهو غاية التوضيح لتلاوة المؤمنين للقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين الذي يقرؤونه باسم الله في صلاتهم جنبا إلى جنب متكاتفين، وهي الهيئة التي انفرد بها أتباع النبي الأمي ﷺ في صلاتهم.

ولكننا نقرأ العبارة هكذا في الترجمة بين السطور: (بقلب واحد) !!

חֲרוֹן אַפִּי כִּי בְּאֵשׁ קִנְאָתִי תֵּאָכֵל כָּל־הָאָרֶץ׃ [9] כִּי־אָז אֶהְפֹּךְ אֶל־עַמִּים שָׂפָה
حُمُوِّ غضبي لأنْ بنارِ غيرتي تؤكَلُ كلُّ الأرضِ لأنْ حينئذ أقلبُ إلى شُعوب شفَة
בְרוּרָה לִקְרֹא כֻלָּם בְּשֵׁם יְהוָה לְעָבְדוֹ שְׁכֶם אֶחָד׃ [10] מֵעֵבֶר לְנַהֲרֵי־כוּשׁ
مُبَرَّرَة لدَعوَة كُلِّهم باسم يهوه لعِبادته كَتِفًا واحدَةً مِنْ عبْر أنهار كوش

كلُّها بنار غيرتي. [٩] ففي ذلك اليوم أجعلُ للشُّعوب شِفاهاً طاهرةً ليدعوا باسْم الرَّبِّ ويَعبُدوهُ بقلبٍ واحدٍ. [١٠] منْ عبْر أنهار كوش

---

٣٤ : قاموس سجيف ص ١٧٨٤.

هذه جملة من الإشارات التي وردت في أسفار التوراة التي يبين مجملها أن هناك ديناً عاماً لكل البشر سوف يظهر لاحقاً، وسيكون شعبُ الله حينَئذٍ مختاراً من جميع أمم الأرض، على أساس تمسكهم بعهود الله وطاعتهم له .

أما في الإنجيل فقد وردت أيضاً إشارات عدة تبين نفس المضمون مما يؤكد معرفة أهل الكتاب جيداً بحقيقة هذه النبوءات وسوف نتحدث عنها تباعا.

ومن هذه الإشارات التي وردت على لسان المسيح عليه السلام قوله مثالاً لبني إسرائيل :

⊙ (**يُشبِهُ ملكوتُ السموات (*) إنساناً مَلِكاً صنَعَ عُرساً لابنِهِ، وأرسَلَ عبيدَهُ ليَدعُوا المَدعُوّينَ إلى العُرسِ، فلم يُرِيدُوا أن يَأتُوا، فأرسَلَ أيضاً عبيداً آخرينَ قائِلاً: قُولوا للمدعوين: هُوَ ذا غَذائي أعددْتُه، ثِيرانِي ومُسَمَّناتي قد ذَبَحتُ وكلُ شيءٍ مُعَد، تعالَوا إلى العُرس، ولكنَّهم تهَاوَنُوا ومَضَوا واحدٌ إلى حقلِهِ، وآخرُ إلى تجارتِه، والباقون أمْسَكُوا عبيدَهُ وشَتَمُوهُم وقَتَلُوهُم، فلمّا سمع الملكُ غضِبَ وأرسَلَ جنودَه وأهلَكَ أولئك القَاتِلين وأحرَقَ مدينتَهم ثم قالَ لعبيدِه: أما العرسُ فمستعِد، وأما المدعوُّون فلم يكونوا مستحقين، فاذهبوا إلى مفارقِ الطرق، وكلُّ من وجدتمُوهُ فادعُوهُ إلى العرس**) {متى٢٢- ١:٩} .

فهذا النص واضح الدلالة على أن من دُعوا إلى دين الله ورضوانه بالأنبياء لم يستجيبوا لله، فغضب عليهم وأهلكهم ثم دعا غيرهم من أهل الأرض كافة، فامتلأ منهم العرس (دار الخلد).

ولمزيد إيضاح لمعني هذه النبوءة نقرأ حديثين لرسول الله ﷺ أَوضَحَ فيهما للمرسَلِ إليهم – خاصةً أهلَ الكتاب – أنه المقصود بما ذُكِرَ على ألسنة الأنبياء السابقين من البشارات به من جهة، ومن جهة أخرى أنه ﷺ المدخل إلى

* ـ يراد بملكوت السموات : ميراث الشريعة والدين الذي يتحصل من التمسك به السيادة في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة .

رضوان الله وجنته، ولا سبيل لأحد من الخلق إلى رحمة ربه إلا من طريق الإيمان به ﷺ:

الحديث الأول :

عن جابر رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقالوا: مثلُه مثلُ رجلٍ بني داراً وجعل فيها مأدُبةً وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يُجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أوِّلوها له يفقهْهَا، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان: الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس[٣٥] .

فهذا الداعي الذي جمع الله به المؤمنين من أقطارها هو رسول الله ﷺ ولم يكن المسيح، وإنما ضربه المسيح مثلاً لقومه، ثم أبان رسول الله عن نفسه بما عرفه أهل الكتاب من قبل .

الحديث الثاني :

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال : "**إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي ، يقول أحدهما لصاحبه : اضرِب له مثلاً ، فقال : اسمع سمِعت أذنُك ، واعْقِل عقِل قلبُك، إنما مَثَلُك ومَثَلُ أمتك كمثل ملِك اتَّخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ، ثم جعل فيها مائدة ، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه ، فالله هو الملك ، والدار : الإسلام ، والبيت : الجنة ، وأنت يا**

٣٥ : صحيح البخاري (٣٦٠/٤) كتاب الاعتصام بالسنة برقم : (٧٢٨١)

محمد : رسول الله ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها" [٣٦] .

....

ونزيد المعنى جلاءً بمثل آخر في الإنجيل قاله المسيح :

⊙ **(فَلَمَّا سَمِعَ ذلِكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ قَالَ لَهُ: طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزًا فِي مَلَكُوتِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْسَانٌ صَنَعَ عَشَاءً عَظِيمًا وَدَعَا كَثِيرِينَ، وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ، فَابْتَدَأَ الْجَمِيعُ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ، قَالَ لَهُ الأَوَّلُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ حَقْلاً، وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي، وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ، وَأَنَا مَاضٍ لأَمْتَحِنَهَا، أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي، وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ، فَلِذلِكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ، فَأَتَى ذلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذلِكَ. حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَقَالَ لِعَبْدِهِ: اخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا، وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدْعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ، فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا سَيِّدُ، قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ، وَيُوجَدُ أَيْضًا مَكَانٌ، فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أُولئِكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي)** { لوقا ١٤- ١٥} .

فالملكوت إذاً لن يدخله بنو الملكوت، أي بنو إسرائيل الذين أرسل الله إليهم كثيرين من رسله فرفضوا رسالاتهم فرفضهم الله، وإنما سيكون الملكوت لأُناس آخرين من كل الشعوب ، وهذا ما يزيد جلاءً بالشاهد التالي :

⊙ **(وَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَمِنَ الْمَغَارِبِ وَمِنَ الشِّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَيَتَّكِئُونَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ، وَهُوَذَا آخِرُونَ يَكُونُونَ أَوَّلِينَ، وَأَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ)** {لوقا ١٣- ٢٩} .

---

٣٦ : رواه الترمذي (١٣٤/٥) كتاب الأمثال ، باب ما جاء في مثل الله لعباده برقم : ٢٨٦٠ ، والحاكم في المستدرك (٣٩٣/٤) كتاب تعبير الرؤيا برقم ٨١٨٨ .

فالوارثون للملكوت دنيا وأخرى هم من أنحاء الأرض كافة، وعليه فليس ذلك لأتباع المسيح، أعني اليهود، لأنه لم يرسل لغيرهم كما يقول هو في الإنجيل عن نفسه: **(لم أُرسَل إلا إلى خِرافِ بيتِ إسرائيلَ الضّالّةِ)**{متى١٥-٢٤}، وكما يقول عنه القرآن أيضاً : **(ورَسُولاً إلى بنِي إسرائيل)** {آل عمران/ ٤٩}

فالمسيح إذن ليس رسولاً لكافة الناس .

....

ومن أبين الدلائل على عموم دين الله الذي سيشمل جميع بني آدم كافة أحدُ الأمثلة التي ضربها المسيح في الإنجيل حيث قال:

⊙ **(اِسْمَعُوا مَثَلاً آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ، وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ، فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا، ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ، فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ! فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ، فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ؟ قَالُوا لَهُ: أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا، قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ)** { متى ٢١-٣٣:٤٤} .

وللبيان نوضح الرمزية في المثل الذي ضربه المسيح فنقول : رب البيت - ولله المثل الأعلى - هو المولى عز وجل، والكرْم هو الأمانة التي حُمَّلها بنو إسرائيل (الشريعة التي كلفوا بالاستقامة عليها)، والسياج حوله هو قصر النبوة والشريعة عليهم طوال تاريخهم، والمعصرة والبرج هو ما أُعطي لهم من الدنيا

مُلكاً، والكرامون هم شعب إسرائيل، والعبيد هم رسله تعالى إليهم ليلزموهم بعبادته وتطبيق الناموس، وفعل الكرامين بالعبيد هو فعل اليهود بأنبيائهم كلما جاءوهم بما لا تهوى أنفسهم، وابنه في هذا المثل [٣٧] - سبحانه وتعالى - هو أحد خواص رسله إليهم وآخر أنبيائهم الذي حدثهم بما مكروا له، فلما سمع اليهود ذلك المثل حكموا على الكرامين بأنهم أشرار ولا يستحقون إلا الهلاك ثم تسليم الميراث - الذي لم يكن من نصيب الابن ولا الذين أُرسِل إليهم - إلى أمة أخرى تؤدي حق ربها كما أمر، فأعلن لهم المسيح أن ذلك هو حكم الله فيهم وأن الملكوت منزوع منهم أي يؤخذ قهراً عنهم وهم كارهون، وكان اليهود الذين يستمعون له يعلمون أنه قال ذلك فيهم حتى أنه (**لَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ**) {متى٢١- ٤٥} ودليل معرفتهم قوله (**أما قرأتم قط في الكتب؟**) مما يدل على سابق معرفتهم من كتبهم بما يحصل لهم من ذهاب ملكهم وانقطاع الوحي والأنبياء منهم، كما سبقت لهم معرفة ذلك في رؤيا دانيال من قبل على سبيل المثال .

والملكوت الذي نُزع من بني إسرائيل هو الدين والملك بسلطانه، والدين أكرمنا الله به عن طريق خاتم الأنبياء ﷺ، وتولدت من التمسك به السلطةُ والقوةُ بمرور الأيام رغم أنه بدأ بأفراد قلائل، فقد زاد عددهم وقوتهم رويداً رويداً، وقد ذكر الله تعالى مثالَ محمدٍ ﷺ وأتباعه المؤمنين في الكتاب المقدس فكما قال في القرآن: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِم وَرِضْواناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَوْرَاةِ <u>وَمَثَلُهُم فِي الإنْجِيل كَزَرعٍ أَخْرَجَ شَطأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلَى سُوقِه</u> ...**) {الفتح/٢٩}، ذكر مثلهم في الإنجيل، فيما يشير إليه قول المسيح عليه السلام: (**بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ؟ أَوْ بِأَيِّ مَثَل**

٣٧ : بنوة المسيح لله هنا بنوة مجازية لا بنوة نسب، وذلك كما تبين الأناجيل نفسها، ومن ذلك مثلاً: (أولاد الله أي المؤمنون باسمه) { يوحنا ١- ١٢} وكذلك : (طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ) {متى ٥-٩}.

نُمَثِّلُهُ؟ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل، مَتَى زُرِعَتْ فِي الأَرْضِ فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ، وَلكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلُعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ الْبُقُولِ، وَتَصْنَعُ أَغْصَانًا كَبِيرَةً، حَتَّى تَسْتَطِيعَ طُيُورُ السَّمَاءِ أَنْ تَتَآوَى تَحْتَ ظِلِّهَا) {مرقس٤-٣٠} .

والنصان يوضحان أمر الدين والسلطان الذي بدأ ضعيفاً ثم صار ينمي ويزيد ويرسخ بانتشار الإسلام حتى صار عظيماً كالحجر كما في رؤيا دانيال، أو كالحبة التي صارت شجرة عظيمة كما ضرب المسيح المثل، أو كالزرع الذي غلُظ على سيقانه واستوى كما بين القرآن .

....

ومن تلك الشواهد التي تبين أيضا انتقال الملك والنبوة إلى أمة غير بني إسرائيل وعرفها اليهود قول المسيح لهم :

⊙ **(وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِب وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ)** {متى٨-١١} .

وهذا يبين أن ميراث الملكوت سيكون من قِبَل عامة الشعوب، أما بنو الملكوت الذين أرسل إليهم الأنبياء والرسل ولم يؤمنوا ؛ فلا ميراث لهم .

وسبحان الله القائل: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** {آل عمران/٢٦} فقد ورد في تفسير هذه الآية: "عن قتادة: ذكر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له مُلْكَ فارسَ والرومِ في أمته، فأنزل الله عز وجل: **"قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء"** إلى **"إنك**

على كل شيء قدير"!، وعن مجاهد في قوله: **"تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء"**، قال: النبوّة." [38]

فهذه الآية مما يحقق تحول النبوة والسلطنة من أهل الكتاب إلى محمد ﷺ وأمته.

وفي مزيد إيضاح للأمة الفاضلة كان المسيح يوضح للحواريين الثواب والفضل لمن يؤمن به منهم، إلا أنه استدرك مبيناً أن هناك من يسبقهم إلى ملكوت السماء فقال: (**وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ، وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ**) { متى ١٩-٢٩/ مرقس ١٠-٣١ } .

فرغم أن من اتبع المسيح وآمن بالإله الواحد له جزيل الثواب والبشري بالنعيم الأبدي، إلا أن الأمة الأخيرة تسبقهم إليها، فالآخرون الذين يكونون أولين هم آخر الأمم التي تمسكت بعهود الله ولم تنقضْها فسبقت غيرها إلى ملكوتِ السمواتِ، المُلْكِ الذي لا يبلى، والأولون الذين يصيرون آخرين هم أهل الأمم الأولى الذين نقضوا عهود الرب ـ إلا قليلاً ـ فيدخل أولئك القليل الجنة بعدنا، فقد قال نبي الإسلام ﷺ: **"نحن الآخرون الأوّلُون، نحن آخرُ الأممِ وأولُ من يُحاسب"**[39]، وقال أيضاً: " **نحن الآخرون ونحن السَّابقون يوم القيامة**" [40] إلى غيرها من الأحاديث الواردة بمعناها، فهو ﷺ يبين لأهل الكتاب ما علموه وفهموه من كتبهم من أن أتباعه المؤمنين به ﷺ هم المقصودون في هذه النبوءات.

وإيضاحاً للمراد بالملك المنتقل إلى غير بني إسرائيل نقول: إن الملك المقصود لا يُراد كونه مختصاً بفرد واحد كالنبي ﷺ بحيث يحكم أمته ملكاً بقدر ما يكون مختصا بالأمةِ ذاتها؛ لأن ذلك أدوم للملك وأطول عمراً، وهو أيضاً من

---

٣٨ : تفسير الطبري (٦/ ٣٠٠) .
٣٩ : رواه احمد (٢٨٢/١) .
٤٠ : رواه البيهقي في السنن (١٧٠/٣) عن أبي هريرة .

مستلزمات معنى الميراث، إذ إن الملك إذا تعلق بفرد ما: زال بموته، كما زال من بني إسرائيل بعد موت داود وسليمان حينما انقسمت المملكة إلى مملكتين اطَّرد ضعفهما حتى آل إلى زوال، فالملك المراد لهذه الأمة هو في الغنى والسلطان وبسط النفوذ، وإن طرأ على الأمة ضعفٌ ما في ذلك أو زال سلطانها في بعض أنحائها ـ كما حدث في بعض العصور التاريخية في الشام أو الأندلس أو بغداد ـ فمرجعه الإخلال ببعض الشرائط الإلهية من التمسك بشرعه كما مر، يزيد ذلك ما زاد هذا **(سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)** {الأحزاب/٦٢}، لكن الملك والدين ثابتان لهذه الأمة أبداً بحمد الله كما تشهد الكتب الثلاثة، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: **"إنَّ الله زَوَى لِيَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقَهَا ومغارِبَهَا، وإنَّ أُمتِي سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لِي منها، وأُعطِيتُ الكَنزَينِ: الأحمرَ والأبْيَضَ"** [٤١] ، فهذا ميراثُنا أمَّةَ المسلمين.

ومع ذلك؛ فإن أُريد صرف الملك لشخصِ سيدِ هذه الأمة الأخيرة ﷺ فلا يبعد معنى كون الملك له ﷺ، فقد عُرض عليه الملك ﷺ ولو شاء لمَلك بأمر الله كأعظم مَلِكٍ ولكنه اختار ما هو أدعى للتواضع لملك الملوك، ونوال مقام العبودية الأكمل، فقد قال ﷺ: **"لقد هبط عليَّ ملك من السماء ما هبط على نبيٍّ قبلي، ولا يهبط على أحد من بعدي، وهو إسرافيل وعنده جبريل فقال: السلام عليك يا محمد، ثم قال : أنا رسول ربك إليك أمرني أن أخيرك: إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرتُ إلى جبريل فأومأ إليَّ أن تواضعْ، فقال النبي ﷺ عند ذلك: نبياً عبداً، فقال : لو أني قلتُ نبياً ملكاً ثم شئتُ: لسارت الجبال معي ذهباً"** [٤٢]، فلم يخرج الملك في كل الأحوال عن أن يكون لرسول الله ﷺ ولأمته من بعده .

---

٤١ : رواه أحمد (١٢٣/٤) ، ومسلم (٣٤٠/١٠) ، والترمذي (٤١٠/٤) كتاب الفتن برقم : ٢١٧٦، والبيهقي في السنن (١٨١/٩) ، وأبو داود ج ٤ كتاب الفتن والملاحم برقم ٤٢٥٢ .

٤٢ : رواه الطبراني (١٢/ ٣٤٨) برقم ١٣٣٠٩ .

ومن الإشارات الطريفة لهذه الأمة الوارثة قول الرب لبني إسرائيل متوعداً إياهم بعد ذكر بعض جرائمهم:

(لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هُوَذَا عَبِيدِي يَأْكُلُونَ وَأَنْتُمْ تَجُوعُونَ، هُوَذَا عَبِيدِي يَشْرَبُونَ وَأَنْتُمْ تَعْطَشُونَ، هُوَذَا عَبِيدِي يَفْرَحُونَ وَأَنْتُمْ تَخْزَوْنَ، هُوَذَا عَبِيدِي يَتَرَنَّمُونَ مِنْ طِيبَةِ الْقَلْبِ وَأَنْتُمْ تَصْرُخُونَ مِنْ كَآبَةِ الْقَلْبِ، وَمِنِ انْكِسَارِ الرُّوحِ تُوَلْوِلُونَ، وَتُخْلِفُونَ اسْمَكُمْ لَعْنَةً لِمُخْتَارِيَّ، فَيُمِيتُكَ السَّيِّدُ الرَّبُّ وَيُسَمِّي عَبِيدَهُ اسْمًا آخَرَ) { إشعياء ٦٥- ١٣} .

فهنا يفرق الرب بين شعب إسرائيل وعبيده تعالى ، فهما أمتان مختلفتان، والله يتوعد الشعب بالعقاب دون عبيده، ثم يترك اليهود اسمهم ـ أي بعد انتزاع الميراث منهم ـ ملعوناً على لسان الأمة التي يفضلها الله عليهم، وليس المختارون جيلاً آخر من بني إسرائيل، وإلا فإن الميراث بهذا لن يكون قد انتقل إلى أمة أخرى، فضلاً عن أن الأمة الواحدة لا يلعن بعضها بعضاً، ولم يحصل ذلك إلا على لسان بعض أنبيائهم كداود وعيسى كما تقدم، كما قال تعالى: **(لُعِن الذِين كَفَروا من بَني إسرائيلَ علَى لِسانِ دَاودَ وعِيسى بْنِ مَرْيمَ)** {المائدة/٧٨}، فهي بالتأكيد أمة أخرى، وسيسميهم الله اسماً آخر فما هو ؟!

(افتقد اللهُ أولاً الأممَ ليأخذَ منهُم شعباً على اسمِهِ، لِكَي يَطلُبَ الباقونَ من الناسِ الربَّ، "وجميعُ الأمم الذين دُعِيَ اسمِي عليهم" يقول الرب) {أعمال١٥-١٤}

هنا أراد الله تعالى أن يختار شعباً ويفضله على الشعوب ويسميه باسمه، لكن ذلك لم يكن للشعب اليهودي بعينه، فأكرم الله جميع الأمم ـ كما يقول النص ـ بشريعته العامة وجعل اسم المؤمنين بها على اسمه فقد اختار اللهُ السلامُ: أمةَ الإسلام، المسلمين ليكونوا شعبه أتباع نبيه الخاتم ﷺ، بل إن الله تعالى هو (المؤمن) ، وشعبه هم (المؤمنون) ، وبهذا ناداهم الله في القرآن الكريم!

....

أما وقد اتضح المقصود فلْنذكر شاهداً أخيراً من أمثلة المسيح عليه السلام لليهود:

(إن ملكوت السموات يشبه رجلاً ربَ بيتٍ خرج مع الصبح ليستأجر فَعَلَةً لكرْمِه، فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم، وأرسلهم إلى كَرْمه، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم، فمضَوْا، وخرج أيضاً نحوَ الساعةِ السادسةِ والتاسعةِ وفعلَ ذلك، ثم نحوَ الساعةِ الحاديةَ عشرةَ خرجَ ووَجَدَ آخرين قِيَاماً بطَّالين، فقال لهم: لماذا وقفتم هنا كل النهار بطالين؟ قالوا: إنه لم يستأجرنا أحد، قال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم، فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله: أُدعُ الفعَلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين: هؤلاء الآخِرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب! ما ظلمتك، أما اتفقت معي على دينار؟ فخُذ الذي لك واذهب ، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أوَما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي؟ أم عينك شريرة لأني أنا صالح؟ هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين، لأن كثيرين يُدعَون، وقليلين يُنتَخبون) {متى٢٠–١:١٦}.

حقاً إن كثيرين من الناس يُدعون للإيمان بالله والعمل بشريعته، ولكن المختارين للعمل وميراث الكرامة قليلون، ولكي نبين للأولين والآخرين معنى المثل، والمراد بالآخرين الذين يُبدأ بهم في الحساب وإجزال الثواب نذكر حديثا للرسول الكريم ﷺ حيث يقول:

"إنما مَثلكم واليهودِ والنصاري كرجلٍ استعمل عُمّالاً ، فقال: منْ يعملُ لي إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليهودُ على قيراطٍ قيراطٍ، ثم عَمِلَتِ النّصارَى على قيراطٍ قيراطٍ، ثم أنتم الذين تعملون من صلاةِ العصرِ إلى مغاربِ الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهودُ والنصارى وقالوا: نحنُ أكثر عَمَلاً وأقل عطاءً ؟! قال: هل ظلمتكم من حقّكم شَيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء" [٤٣] .

فهذا مثالُنا في الكتب السابقة وفي كلام خاتم الأنبياء ﷺ ، ونلاحظ أنه ﷺ لم يقل: ثم عملتم أنتم من العصر إلى مغارب الشمس، ولكنه قال : ثم أنتم الذين تعملون ...، والتعريف بالموصول يعنى: أنكم أنتم المعنيون في المثل الذي ضربه المسيح وفهمه أهل الكتاب، ووضحه النبي ﷺ كما يفهمون من خلال ما يقرؤون في كتبهم مما يوضح علمه ﷺ بكلام أخيه عيسى الذي أشار إليه قبل مبعثه بقرون، وهذه الإشارات التي بيناها وضَّحَتْ كلُها أن الأمر آيل إلى المسلمين، أمةِ محمد ﷺ التي لها السلطانُ والملكُ ولن تخرج الشريعة منها إلى آخر الزمان، فهذا الجزاءُ والثوابُ الذي أُعْطِيَ مُضَاعفاً لآخر العمال دنيا وأخرى كان بالشريعة التي أُعطيت لآخر الأمم، فتمَّت نعمة الله علينا ولله الحمد.

وكنا نحن الوارثين

* * *

---

٤٣ : أخرجه البخاري في كتاب الإجارة ، باب (الإجارة إلى صلاة العصر) برقم ٢٢٦٩.

لماذا انتقلت القبلة من مدينة الأنبياء ؟

إن تحويل القبلة في الصلاة من بيت المقدس إلى البيت الحرام كان إيذاناً فعلياً صريحا بتحول الملك والنبوة من أهل الكتاب نهائيا إلى أمة النبي ﷺ، وذلك أمام أعين أهل الكتاب الذين عايشوا ذلك التحويل والانتقال ليكون تصديقا لما في كتبهم، وقد تم ذلك التحويل بعد صلاة النبي ﷺ والمسلمين إلى بيت المقدس نحو عام ونصف تقريباً، فقد "صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة"[٤٤]، ولَئن كان اليهود يستطرفون الربط بين الحوادث والأرقام؛ فإن الرقم (١٨) عندهم يشير إلى إبطال النبوة والملك من بني إسرائيل التي استمرت ثمانية عشرَ قرناً، فإن موسى خرج بقومه من مصر كما تذكر التواريخ في الربع الأخير من القرن الثالث عشر ق.م (ما بين ١٢٢٥و١٢٣٠ق.م) إلى سيناء حيث نزلت عليه الشريعة في الألواح، فكان ذلك بداية عمر النبوة في بني إسرائيل، وقد وُلد نبينا الكريم ﷺ عام ٥٧١ م، فبينهما ١٨ قرناً، ولما أمر موسى قومه بدخول الأرض المقدسة رفضوا خوفاً من سكانها الجبارين (العماليق): (**فَحَمِيَ غضبُ الرّبِ عَلَى إسرائيلَ وأتاهَهُم في البَرّيّة أربعين سنةً حتى فَنِيَ كلُ الجيلِ الذِي فَعَلَ الشَّرَ في عَيْنَي الرب**) {عدد٣٢-١٣} إلا إن الجيل الثاني من الشعب دخل الأرض بعد ذلك وتملكها على يد يشوع بن نون، فكانت هذه بداية ملكهم، وكذلك أوتي محمد ﷺ النبوة بعد بلوغه أربعين سنة فنسخت ما قبلها من نبوات، فبينهما ١٨ قرناً بالتمام والكمال، وكان هذا عمر الملك والسيادة .

وقد وردت البشارة بهذا النبي الكريم ﷺ على لسان موسى في سفر التثنية الإصحاح ١٨، العدد ١٨ !.

٤٤ : السيرة النبوية لابن إسحاق (١٨١/٢)

" لَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ "

عبد الله بن عباس

(صحيح البخاري)

الباب الثالث

النــبيُّ الأمــيّ في الأسفار المختلفة

لقد أرسل الله الأنبياء في بني إسرائيل لهدايتهم إلى سواء السبيل، وأكرمهم على من عداهم من الناس في زمانهم بشريعة أثنى عليها غير مرة في القرآن الكريم، فقال تعالى: (**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَوْرَاةَ فِيهَا هُدَىً وَنُورٌ**) {المائدة /٤٤}، وقال تعالى: (**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً**) {الأنعام / ١٥٤}، وقال تعالى: (**وَلَقَد آتَينَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِياءً وَذِكْراً لِلْمُتقِينَ**) {الأنبياء/٤٨}، وقال تعالى: (**وآتَيْنَاهُما الكِتَابَ المُسْتَبِينَ**) {الصافات/١١٧}، ومنَّ الله تعالى كثيراً بإنزاله الكتاب والشريعة عليهم (**وَلَقَدْ آتَينَا مُوسَى الكِتَابَ**) {البقرة٨٧/هود١١٠/ المؤمنون ٤٩/ الفرقان٣٥ / القصص ٤٣ / السجدة ٢٣ / فصلت ٤٥} وقال عز وجل : (**ولَقَد آتَيْنا مُوسَى الهُدَى وَأَوْرَثْنا بَنِي إسْرَائيلَ الكِتَابَ**) {غافر/٥٣} .

وكثُر في بني إسرائيل الأنبياء حتى إنه كان يجتمع في الزمن الواحد أحياناً أكثر من أربعمائة نبي [٤٥]، ولو كانوا ذوي طبيعة سوية لآمنوا بالنبي موسى رسولِهم الأول واتبعوه واكتفوا به وبشريعته، إذ هو النبي الوحيد الذي لم يختلف عليه اثنان منهم [٤٦] ، ولكن بما أن خَبَثهم كثير، والفواحش عندهم غرائز، والخير ينافي طبائعهم؛ كثر دواؤهم بالأنبياء لترسُّخ الأدواء فيهم، ولأن عهود الرب - التي هي أوثق من عهود البشر - لم يحفظوها ؛ كان النبيُّ منهم يتلو النبيَّ ليأخذ الله به العهد عليهم ويجدد لهم الميثاق، إلا أنهم نقضوها جميعاً كما رأينا .

وحينما أُرسل إليهم آخرُ أنبيائهم المسيحُ وبين لهم غضَبَ اللهِ عليهم، وأن نعمته ستتحول عنهم إلى من هو أهل لها: اعتبروا كل ما مضى من عهود الله بأنبيائه (عهداً قديماً) أبلاه الدهر، وأن العهد الذي جاء المسيح ليأخذه عليهم بطاعة الله وحده (عهداً جديداً)، أو صفحة جديدة، عفا الله بها عن كل ما سلف

٤٥ : سفر الأخبار الثاني ، إصحاح ١٨ .
٤٦ : التثنية ٣٤- ١٠ ، وقد مر .

منهم، وصاروا يمنون أنفسهم بالباطل **(وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا)** {الأعراف/١٦٩}، ورغم ذلك اختلفوا في عيسى عليه السلام، فآمن به بعضهم اتقاءَ غضب الله تعالى، وأكثرهم رفضوه وكفروا به إذ لم يكن المسيح ملكاً، ولم يأتِ لهم بالسلطة الدنيوية التي لا همَّ لهم غيرها - كما كانت أيام داود وسليمان - ولأن المسيح تنبأ عليهم بالشر، ولم تحدث المغالاة فيه إلا بعد رفعه عليه السلام.

فكيف تتساوى تلك الأمة مع أمةٍ لم يُرسل إليها إلا رسول واحد ونزل عليها كتاب واحد - ليس بعدَهما غيرُهما - ولم تكفر بالأنبياء ولم تنقض العهود ؟! **(ذَلِكَ الفَضلُ مِنَ اللهِ)** { النساء /٧٠ } .

أما هذا النبي الأخير ﷺ فلجلال قدره وكمال شريعته: تمت البشارة به وبكتابه وقبلته ومحل هجرته على ألسنة الأنبياء جميعاً لا المسيح فقط كما يظن أغلب الناس، وقد تبينا ذلك من القرآن كما مر أول الكتاب: آل عمران آية ٨١، ويتبين ذلك من السنة أيضاً، فقد رُوي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، قال: **"نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم، وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم"** [٤٧] ، مما يعني أن كل من سبق عيسى من الأنبياء بشروا به ﷺ وإنما كان عيسى آخرهم بشارةً وأوضحهم بياناً له بإظهار اسمه لأمته.

وسنذكر ما ورد فيه ﷺ من بشارات في التوراة متدرجين في ذلك إلى أن نخلُص إلى ما في الإنجيل بإذن الله .

٤٧ : أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣٩/١) ط . بيروت .

الفصل الأول

نبوءة موسى :

أسلفنا من قبل أن إبراهيم قد دعا لولده إسماعيل بالبركة، وأن الله قد استجاب له في ذلك، وأوضحنا ما يُلمح إلى وجود نبيٍ من نسل إسماعيل مرسلٍ إلى الناس كافة، وذلك بعدما كان أبوه إبراهيم قد ذهب به وبأمه هاجر إلى برية فاران وتركهما فاستقرا هناك [٤٨] .

أما نسل إبراهيم من إسحاق - ونَعنِي بني يعقوب - فقد جاءوا إلى مصر بعد ذلك بسنوات (حوالي ١٦٦٠ ق.م) وذلك في فترة القحط والمجاعة حينما كان يوسف وزيراً للمَلِك على أرض مصر في الفترة التي حكم الهكسوس خلالها البلاد (١٦٨٠ – ١٥٨٠ ق.م) ثم طُرِدُوا منها (١٥٨٠ ق.م)، ولأن بني إسرائيل كانوا يساندون الغزاة الرعاة ضد المصريين؛ استذلهم المصريون بعد طرد الهكسوس من البلاد، إلى أن خرجوا مع موسى (١٢٣٠ ق.م) وذلك بعد بقائهم في مصر ٤٣٠ سنة [٤٩] .

وبعد ذلك ارتحلوا إلى سيناء حيث نزلت الشريعة على موسى وهو على جبل حوريب (الطور) وفي أثناء ذلك وردت النبوءة من قبل الله على لسان موسى بالنبي الخاتم سيد الأنبياء ﷺ، ثم أبلغها موسى لقومه، وذلك من قبيل أخذ كل نبي العهد على قومه أن يؤمنوا بمحمد ﷺ كما سبق وأشرنا من خلال كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تقول النبوءة على لسان الرب تبارك وتعالى :

(أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ، وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا

---

٤٨ : سفر التكوين { ٢١-٢١ } .

٤٩ : سفر الخروج { ١٢- ٤٠ } .

أُطَالِبُهُ، وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ، وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلاَمَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ) {التثنية ١٨-١٨}.

ولنوضح تلك النبوءة فيما يلي :

ـ فقول الرب لموسى : **أقيم لهم نبياً** ـ أي لقومك ـ يعني أن النبوءة واردة لبني إسرائيل على وجه البشارة، لأن ذلك النبي مرسل إلى الناس كافة بما فيهم بني إسرائيل، فهم بعض الناس المُرسَل إليهم.

ـ وقو له: **من وسط إخوتهم**، يعود الضمير (هم) في العبارة على قوم موسى، فهو من وسط إخوة قوم موسى عليه السلام، فالمعنى أن هذا النبي من أبناء إسماعيل عليه السلام، لأن بني إسماعيل هم أخوتهم كما تسميهم التوراة : **(وَهذِهِ سِنُو حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ: مِئَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ وَمَاتَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ، وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ... أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ)** سفرالتكوين {٢٥ـ ١٨}، ولم يقل من بينهم وإلا كان هذا النبي من اليهود، فتبين أن هذا النبي من أمة غير بني إسرائيل وتحديدا من العرب بني إسماعيل .

ومعنى **(من وسط أخوتهم)** أيضا أنه متوسط النسب في قومه من العرب، وكان أهل الكتاب يعرفون ذلك ويخبرون العرب به، وهو مشهور عنهم في التورايخ والسير، كما ورد عن أبي سفيان بن حرب أنه قال: "خرجتُ أنا وأمية بن أبي الصّلت إلى الشام، فمررنا بقرية فيها نصارى، فلما رأوا أمية عظّموه وأكرموه وأرادوه على أن ينطلق معهم، فقال لي أمية: يا أبا سفيان انطلق معي فإنك تمضي إلى رجل قد انتهى إليه علم النصرانية فقلت: لست أنطلق معك. فذهب ورجع وقال: تكتم عليّ ما أحدثك به؟ قال: نعم. قال: حدّثني هذا الرجل الذي انتهى إليه علم الكتاب: أن نبيّاً مبعوث، فظننت أنني هو، فقال: ليس منكم،

هو من أهل مكة. قلت: ما نسبه؟ قال: وسط قومه" [٥٠]، وفي الخصائص الكبرى: "قَالَ أبو بكر الصّديق كنت جَالِسا بِفنَاء الْكَعْبَة وَزيد بن عَمْرو بن نفَيْل قَاعد فَمر بِهِ أُميَّة بن أبي الصَّلْت فَقَالَ أما إِن هَذَا النَّبِي الَّذِي ينْتَظر منا أَو مِنْكُم أَو من أهل فلسطين قَالَ فقصصت عَلَيْهِ الحَدِيث فَقَالَ نعم يَا ابْن اخي أُخْبُرْنَا أهل الْكتاب وَالْعُلَمَاء ان هَذَا النَّبِي الَّذِي ينْتَظر من أَوسط الْعَرَب نسبا ولي علم بِالنّسَبِ وقومك أوسط الْعَرَب نسبا.."[٥١]

ـ **مثلك** ، أي مثل موسى، مما يوضح أن هناك مشابهة في الأحوال والصفات بين موسى وذلك النبي، ويتضح ذلك من الآتي :

فكلٌ من موسى ومحمد عليهما السلام متوسط النسب في قومه، وكلاهما نبي مُرسَل، وكلاهما صاحب شريعة وكتاب مُنزل، وكلاهما حارب عبادة قومه للأصنام، وكلاهما صاحب آيات ومعجزات تحدَّى بها، وكلاهما كان يتيماً، وكلاهما تزوج وأنجب، وكلاهما هاجر من موطنه، وكلاهما كانت هجرته الى الشمال : موسى إلى مَدْيَن ومحمد ﷺ إلى المدينة، وكلاهما كانت هجرته عشر سنين، وكلاهما اعتكف على الجبل، ونزل عليه الوحي هناك، وكان ذلك لكليهما في شبه جزيرة، وكلاهما مات في مُهاجَرِهِ بعيدا عن مولدِهِ ومنشئِه ..!!

وهذا النبي المبشر به لا يمكن أن يكون من بني إسرائيل وإنما من غيرهم، وذلك لأن التوراة نفسها تنفي مثلية أي نبي من بني إسرائيل لموسى: (**ولم يقم بعدُ نبيٌ في إسرائيلَ مثلُ موسى**) {التثنية ٣٤- ١٠}، فكلمة مثلك إذن لا تنطبق على أحد من بني إسرائيل، وفضلاً عن ذلك فلا مشابهة بين موسى وعيسى فيما سبق من صفات، وعليه فلا تنطبق النبوءة على المسيح كذلك إذا ما أُرِيد إسقاطها عليه [٥٢] .

---

٥٠ : سبل الهدى والرشاد (١/ ١٣٦)

٥١ : الخصائص الكبرى (٤٢/١)

٥٢: أما محاولة القس منيس عبد النور في كتابه (شبهات وهمية حول الكتاب المقدس) لنفي هذه النبوءة عن الرسول الكريم محمد ﷺ محتجاً في ذلك بقول موسى للشعب: (الذي يختاره الرب إلهك من وسط أخوتك : تجعلُ عليك ملكاً، لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك) { التثنية ١٧- ١٥}، فالواضح أن النص

وقوله : **أجعل كلامي في فمه** ، فيه معنيان :

الأول : أن هذا النبي يوحى إليه بشرع جديد وكتاب مقروء .

الثاني : أن هذا النبي يحفظ ما يُلقَى إليه، ويبلغه بالقول شفهياً لا التدوين، أي أنه نبي أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وهذه الصفة من أخص صفات الرسول ﷺ في التوراة كما ذكر القرآن: (**الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَسُولَ النَبِيَّ الأُمِّيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التَورَاةِ وَالإِنْجِيل ...**) {الأعراف/١٥٧}، وكذلك لا ينطبق هذا الوصف على المسيح، فقد كان قارئاً كاتباً: (**ودخل المَجْمَعَ حَسَبَ عادتِهِ يومَ السبتِ وقَامَ لِيَقرَأَ**) { لوقا ٤-١٦}، (**وأمّا يَسُوعُ فانْحَنَى إلَى أَسفَلَ وكَانَ يَكتُبُ**) {يوحنا ٨-٦}!

ومن طريف ما يُذكر في التواريخ عن معرفة اليهود بكون النبي الخاتم أُمياً من توراتهم ما ورد "عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ الْعَبَّاسُ: خرجت فِي تِجَارَة إِلَى الْيمن، فِي رَكْبٍ فيهم أبو سُفْيَان بن حَرْب، فَوَرَدَ كِتابٌ من حَنْظَلَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ فِيهِ: أَن مُحَمَّداً قام بِالْأَبْطح، فَقَالَ: أنا رَسُول الله، أدعوكم إِلَى الله، فَفَشَا ذَلِك فِي مجَالِس الْيمن، فجاءَنَا حَبْرٌ من الْيَهُود فَقَالَ: بَلغنِي أن فِيكُم عَمَّ هَذَا الرجلِ الَّذِي قَالَ مَا قَالَ؟! قال الْعَبَّاس: فَقلت: نعم، قَالَ: أنْشُدُكَ هَل كَانَت لابْنِ أخيك صَبوَةٌ وسَفْهَةٌ؟ قلت: لَا وإله عبد الْمطلب، وَلَا كَذَبَ وَلَا خَان، وَإِن كَانَ اسْمه عِنْد قُرَيْش الْأمين، قَالَ: فَهَل كتب بِيَدِهِ؟ قَالَ الْعَبَّاس: فَظَنَنْت أنه خير لَهُ أن يكْتب بِيَدِهِ، فَأَرَدْت أن أقول نعم، فَخَشِيت من أبي سُفْيَان

يوجب على الشعب اليهودي طاعة الرب فيمن يختاره عليهم ملكاً ولا يعترض ـ كما اعترض فيما بعد حينما ملك عليهم شاؤول (طالوت) ، أما أن يُملكوا عليهم أجنبياً ليس من الشعب ـ وهو ما نُهوا عنه ـ فذلك فيما لهم فيه إرادة واختيار ، ولا علاقة بين هذا وبين النبوة ، إذ لا اختيار للشعب فيمن يكون نبياً أو لا ، وعليه لا يدخل هذا الشاهد في النهي السابق الذي ذكره القس ، فاستشهاد القس في غير محله، واحتجاجه أيضاً بأن (النبي المنتظر موعود به أن يُرسل لبني إسرائيل، أما النبي الذي يقصده المعترض فأعلن رسالته بين غير اليهود) (شبهات وهمية ص ١٠٣)، ويعني القس بالنبي الذي يقصده المعترض هو محمد ﷺ، فالحق أن هذا النبي ـ لو كان هذا الرجل أقر بنبوته كما يقول ـ قد أعلن رسالته بين اليهود وغير اليهود في الجزيرة العربية لأن دعوته شملت كافة الناس بما فيهم اليهود، لذلك وردت النبوءة لهم على لسان موسى على وجه البشارة .

أن يُكذِّبَنِي وَيرد عَليَّ، قلت: لَا يكْتبُ، فَوَثَبَ الحَبرُ وَتَرَكَ رِدَاءَهُ وَقَالَ: ذُبِحَتْ يهودٌ وَقُتِلَتْ يَهُود" [٥٣] !.

ـ أما نسبة الكلام إلى الله بقوله **(كلامي)** فهو يعني كونَهُ بهذا الاعتبار: (كلامَ الله) وليس ذاك إلا القرآن، ويؤكد ذلك الوصف قوله :

ـ **فيكلمهم بكل ما أوصيه به،** ومعناه أيضاً أنه مُبَلِّغ عن ربه ما أمره به، ويقوله للناس كما أُنزِل، وكان ذلك مما تثبتت به اليهود منه ﷺ بعد مبعثه لأنهم يعرفونه من كتبهم، حتى إن أحد أحبارهم (وهو ورقة بن نوفل) سأله زيدُ بن عمرو بن نُفَيل عن هذا النبي المنتظر ـ وذلك قبل البعثة ـ فقال ورقة: "أخبَرَنا أهلُ الكتاب والعلماءُ أن هذا النبي الذي يُنتظر من أوسط العرب نسباً، ولي علمٌ بالنسب، فقومك أوسط العرب نسباً، قال : يا عم ؛ وما يقول النبي؟ قال: يقُولُ مَا قِيلَ لَهُ ، إلا أنه لا يَظْلِمُ ولا يُظالِمُ " [٥٤] .

أما المسيح فلم يكن له ذلك أيضاً؛ إذ لم يأتِ بشريعةٍ جديدة وإنما اتبع شرع من قبله: **(لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ)** {متى ٥ـ١٧}، وكان المسيح عليه السلام يبين لليهود كذلك اعتمادهم على موسى والناموس الذي أوتِيه: **(موسى الذي عليه رجاؤكم)** {يوحنا ٥ـ٤٥}. فبين المسيحُ لليهود أنه وإياهم من أمة واحدة تَتْبعُ شريعةً واحدةً، هي شريعة موسى.

ـ وقوله **: ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه** . فيه معانٍ :

فلفظة **الإنسان** عامة تشمل جميع بني آدم دون تخصيص لبني إسرائيل في النص، مما يشير إلى عموم رسالة هذا النبي إلى البشر كافة .

---

٥٣ : (الخصائص الكبرى للسيوطي) (١ / ١٦٧) ، و(دلائل النبوة للأصبهاني) (١ / ٢٠٤)
٥٤: سبل الهدى والرشاد (١٣٦/١).

ـ ومعنى **كلامي الذي يتكلم به** أن الشرع أو الوحي الجديد هو كلام لله تعالى الذي يبلغه هذا النبي إلى الناس كما هو بلفظه ويردده بنصه، وما أكثر كلمة "قُل" في القرآن !

ـ وقوله **باسمي** إشارة واضحة إلى أن كلام الله لا يبلغه هذا الرسول إلا بعد ذكر اسم قائله، وتلك هي البسملة التي شُرِعت قبل قراءة القرآن والتي أنزلت على هذه الأمة .

والذي لا يسمع لكلام الله الذي يبلغه هذا النبي (**أنا أطالبه**) أي أُدِينُهُ وأُعاقبه، مما يوضح وجوب اتباع ذلك النبي وشريعته دون سواه من الأنبياء والشرائع، بما فيها شريعة موسى صاحب هذه النبوءة، وهذا غاية التصريح بنسخ شريعة موسى على يد هذا النبي، ومعلوم أن نسخ شريعة موسى لم يقع حتى زمن المسيح الذي ما جاء لينقض ناموس موسى، فكان لزاماً أن تظهر هذه الشريعة بعد زمن المسيح وكذلك مبلغها [٥٥] .

ـ أما النبي الذي يفتري على الله كذباً وينسب إليه تعالى ما لم يَقُلْهُ، أو يدعو لعبادة غيره فإنه يموت، أي أن الله يهلكه ويقتله، وقد يكون المعنى أنه يجب أن يموت أي عليكم أن تقتلوه، كما في ترجمة الآباء اليسوعيين وترجمة الآباء الدومينيك: **(فليُقتلْ ذلك النبي)** .

وقد حدث ذلك على سبيل المثال حينما تنبأ كثيرون من بني إسرائيل باطلاً للبعل، فجمعهم الملك (ياهو) وقتلهم جميعاً في بيت البعل [٥٦] .

وبحسب المعنى الأول وهو الموت فقد بين الله تعالى ذلك أيضاً في القرآن دلالة على صدق رسوله بما يدركه أهل الكتاب فقال: (**ولو تقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنا مِنْهُ بِاليَمينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتينَ * فمَا مِنْكُم مِنْ أحَدٍ عَنْهُ**

٥٥: أما عن تعسف القس منيس وأمثاله واجتهادهم في إثبات أن هذه النبوءة لا تشير إلى نبي إلا المسيح مستشهدين لذلك بما في سفر الأعمال { ٣ـ ٢٢} ؛ فإنه بذلك يهدم العقيدة التي تأسست عليها الكنيسة لأنه يخالفها ويقول بنبوة المسيح وبشريته! .

٥٦: سفر الملوك الثاني إصحاح (١٠) .

حاجِزِينَ) {الحاقة /٤٤-٤٧}، أي "لو قُدِّر أن الرسول تَقَوَّلَ على الله لعَاجَلَهُ بالعقُوبةِ وأخذَهُ أخْذَ عزيزٍ مُقتدرٍ"[٥٧] ، "فالرسولُ الأمينُ لا يُمكِنُ أن يتقوَّلَه، إذ لو فَعَلَ ذلكَ لأخذنا منه بيمينِه وقَطَعنَا منه نِيَاطَ قلبِهِ فيمُوتُ حَالاً، فَلا يستَطِيعُ أحدٌ مِنكُمْ مَهمَا بَلَغَتْ قوَّتُه أن يَحجِزَ عِقَابَنَا عَنْهُ"[٥٨].

فكانت حياته ﷺ وسلامته بأن لا يُقتل ولا يمُوت قبل أداء رسالته ورسوخها برهاناً على صدق نبوته ﷺ وأنه لم يتنبأ باطلاً، فلا عذر إذن لأهل الكتاب ولا حجة لهم في ترك اتباعه ﷺ، وحينما ظن به بعض اليهود خلاف ذلك وحاولوا قتله لم يُفلحوا فبان لهم صدقه نبوته، وذلك عندما حاولت زينب بنت الحارث اليهودية قتله عندما أهدت إليه وإلى أصحابه شاة مسمومة، فلما تناول منها ﷺ قال: "**إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم** ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال: **ما حملكِ على ذلك؟** قالت : بلغتَ من قومي ما لم يخفَ عليك، فقلتُ: إن كان ملكاً استرحتُ منه، وإن كان نبياً فسيُخبَر" [٥٩] ولم تتمكن من قتله، فكانت تلك الحادثة من أبين الأدلة لليهود على صدق نبوته ﷺ.

والفيصل أيضاً في تحقيق صدق هذا النبي هو نبوءاته، فإن لم تتحقق فهو مُدَّعٍ وليس بنبي، أما نبوءات رسولنا الكريم ﷺ فإن ما تحقق منها سواء في حياته أو بعد موته وحتى الآن فكثير جداً لا يكاد يحصى وأشهر من أن يُشهر مما ورد في الكتاب والسنة، ومازال ذلك في زيادة إلى الآن، وألفت في ذلك كتب عدة ، مثل كتب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أو كتب النبوءات والفتن والملاحم وأشراط الساعة الصغرى التي تحققت تباعا منذ وفاته ﷺ وحتى اليوم، وغير ذلك كثير فليرجع إليها من شاء .

فهذا بيان نبوءة موسى التي هي من أوضح النبوءات عنه ﷺ في التوراة وملخص صفاته فيها : أنه نبيٌّ مرسلٌ كموسى، من بنِي إسماعيل (عربيّ) ، أُمِيّ

---

٥٧ : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٨٤/١)
٥٨ : تيسير التفسير للقطان (٣٦٨/٣)

لا يقرأ ولا يكتب، صاحب شريعة جديدة، تُنسخ به الشرائعُ وتبطُل الدياناتُ، لا يُقبلُ إيمانٌ إلا عن طريقِ الإيمان به واتباعه، والوحي المنزل عليه هو كلام الله، لا يدعو لعبادة غير الله، يتنبأ بغيبيات كثيرة تتحقق مستقبلاً ، وقد اجتمع ذلك كله فيه ﷺ وفي رسالته .

---

٥٩ : سيرة ابن إسحق (٣/ ٢١٨).

الفصل الثاني
ترنيمة داود

ومن البشائر الأخرى به ﷺ ما ورد في زبور داود، أو ما يسمى بالمزامير.

ففي أحد المزامير يقول داود: (**أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ، تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ، وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ، ارْكَبْ، مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ وَالْبِرِّ، فَتُرِيَكَ يَمِينُكَ مَخَاوِفَ، نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ، شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ، كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ، قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ، أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ، كُلُّ ثِيَابِكَ مُرٌّ وَعُودٌ وَسَلِيخَةٌ، مِنْ قُصُورِ الْعَاجِ سَرَّتْكَ الأَوْتَارُ، بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ حَظِيَّاتِكَ**

... عِوَضًا عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ، أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ) {مزمور ٤٥} .

فالمزمور يبدأ بنعت المذكور الممدوح بأنه الأجمل من بين البشر، وهذا وصف لإنسان ميزه الله عن غيره من الناس بمزيد حسن، والنصارى يزعمون أن هذه النبوءة خاصة بالمسيح، لكن في الواقع لا يخص ذلك الوصفُ المسيحَ لسببين:

أولا: أنه عند النصارى إله وليس بشرا.

ثانيا: أن المسيح عندهم لا يوصف بالجمال ولا حتى بأنه فيه حتى مسحةٌ من الحُسْن كما يزعمون، ففي وصفه الوارد كما يقولون على لسان النبي إشعياء: "**مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ**

فَنَشْتَهِيَهُ، مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ، لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا.."! {إشعياء ٥٣-١}، وإن كان المسيح عليه السلام يتحاشى عن ذلك.

لكن هذا الوصف بالحسن من صفات خاتم الأنبياء ﷺ، وقد كثر وصفه بالحسن في عدة أحاديث ممن رآه ﷺ، فقد سأل رجلٌ البراء بن عازب: أكان وجهُ رسول الله مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر [٦٠] .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إضْحِيان، وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر" [٦١].

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: "كان رسول الله أحسن الناس وجها وأحسنه خلقا" [٦٢]

وقد انسكبت النعمة على شفتيه بذكره لها دوماً وشكره ربه عليها، والنعمة العظمى هي النبوة : والكتاب الذي أنزل عليه الذي يتلوه باستمرار .

وتقلُّده للسيف إشارة إلى جهادِه في سبيل الله وقتال أعدائه دفاعاً عن الحق ونشر الدين، وضربِه بالسهام في قلوب أعداء الملك (الله عز وجل)، وما كان ذلك القتال والجهاد لأحد بعد نبي الله داود كما بينت التوراة، وسقوط الشعوب تحته يعني هزيمتهم أمامه، وقد سقطت أمامه ﷺ أمم وشعوب أكبرها فارس والروم، ولم يكن للمسيح شيء من ذلك إذ لم يؤمر بقتال، بل كان يتنقل من الناصرة إلى الجليل إلى أورشليم هارباً من اليهود الذين كانوا يحاولون قتله .

أما الكرسي المنسوب إلى الله فالمقصود به ملكه تعالى وتسلطه على عبيده بشرعه، وهذا المُلك الإلهي لا يُمنح إلا لمن يستقيم على الشريعة ويلتزم بها، وهو ما مُنح لهذه الأمة بحمد الله وهو تابع لشرط حفظ العهود والعمل بها .

٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه (٥١٦/٢) (٦١) كتاب المناقب (٢٣) باب صفة النبي حديث رقم (٣٥٥٢) .
٦١ : أخرجه الترمذي في كتاب الأدب رقم (٢٨١٢)، وليلة إضحيان أي: مضيئة مقمرة

ومعنى **أحببت البر وأبغضت الاثم** أنه يحب البر أي يعمله ويأمر به ، وكراهيته للإثم نهيهُ الناسَ عنه وتنزهه هو عنه وهذا المعنى الذي عرفه أهل الكتاب من كتابهم هو ما ذكَّرهم الله به في القرآن إذ يقول: (**النَبِيَّ الأُمِيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التَوْراةِ وَالإنْجِيلِ يَأمُرُهُمْ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ**) {الأعراف/١٥٧}، ومسحه بدهن الابتهاج أكثر من رفقائه - ويقصد بهم سائر الأنبياء - دلالة على تفضيله عليهم جميعاً حتى وردت على ألسنتهم البشارات به لأقوامهم وأخذوا عليهم العهود باتّباعه، فهي مفاضلة بين واحد من الناس وسائر الناس ليس إلا، ومعنى أن كل ثيابه مر وعود وسليخة - وهي أنواع من الطيوب - يراد به طيب رائحته وعَرفِه ﷺ ، وقد اشتُهر ذلك عنه، كما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان في رسول الله ﷺ خصال: لم يكن في طريق فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عَرَقِهِ أو عَرْفِه، ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له [٦٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما شمَمْتُ مسكاً قط ولا عطراً أطيب من عَرَقِهِ ﷺ [٦٤] .

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي فقال عندنا، فَعَرِقَ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تَسْلُتُ العَرَقَ فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: يا أم سُلَيم، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب [٦٥] .

وعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: مسح رسول الله خدي، فوجدتُ لِيَدِهِ بَرْداً ورِيحاً كأنما أخرجها من جُؤنَةِ عطّار [٦٦] . إلى غيرها من الأحاديث .

---

٦٢ "صحيح البخاري برقم: ٣٥٤٩، وصحيح مسلم برقم: ٢٣٣٧، وصحيح ابن حبان برقم: ٦٢٨٥.

٦٣: أخرجه الدارمي ، باب في حسن النبي (٣٢/١) .

٦٤: شرح شمائل الترمذي (١٩٢/٢) .

٦٥: رواه مسلم ، كتاب الفضائل (١٨١٥/٤) برقم ٢٣٣١ .

٦٦: رواه مسلم ، كتاب الفضائل (٤/ ١٨١٤) برقم ٢٣٢٩. و(جؤنة) بالهمزة وبدونها هي السَفَط أو الإناء الذي فيه متاع العطار.

ثم "**بنات ملوك بين حظياتك**" أي : (نسائك المفضلات) [*] ، فهن بنات ملوك الشعوب الذين سقطوا تحت قدميه ﷺ سبايا من الروم وغيرهم بل ومن بني إسرائيل أنفسهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما وقع لبعض كبراء بني إسرائيل وسادتهم بعدما غلب النبي ﷺ على حصونهم بخيبر، فقد "أصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا، منهن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب ـ وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ـ وبنتَيْ عمٍ لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه" [٦٧] حتى جاء الحجاج بن عِلاط إلى العباس بن عبد المطلب بمكة وأخبره بخبر النبي ﷺ قائلاً: "والله لقد تركتُ ابن أخيك عروساً على بنت مليكهم، يعني صفية بنت حييّ" [٦٨] .

وقبل ذلك أيضاً لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة إلى خيبر أخذ لنفسه ريحانة بنت زيد بن عمرو من يهود بني النضير، وكان زواجه بهما بعدما أسلمتا رضي الله عنهما.

وعِوضاً عن آبائه ﷺ الذين لم يكن فيهم مُلك ولا سلطنة **يكون بنوه** ـ أي أتباعه المؤمنون ـ رؤساء، أي خلفاء له يحكمون بشرعه في أنحاء الأرض حيث انتشر الإسلام، وذلك مما تضمنته البشارة من قبل لإبراهيم بأن إسماعيل يلد اثني عشر رئيساً، ولا يُراد بهم أولاد إسماعيل الاثنا عشر المذكورون سابقاً، فلا يمكن أن تنحصر الرياسة فيهم وإلا كانوا رؤساء لجيل واحد فقط تنتهي رياستهم بموتهم جميعاً، بل الظاهر والحق أنهم رؤساء على الأمم كلها بالتعاقب لأن ذلك أدوم لسلطنة أمتهم .

ورُوِيَ في الحديث عن مسروقٍ رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يُقرِئُنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمةَ من خليفة ؟ فقال عبد الله : ما سألني عنها أحد

(*) ملحق الكتاب المقدس ص٩٩ ط١٩٩٩م .

٦٧: ابن إسحاق (٢١٣/٣) .

منذ قدمتُ العراق قبلك ، ولقد سألْنَا رسول الله فقال : "**اثنا عشر كعِدَّة نقباء بني إسرائيل**" [٦٩] .

وعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول: "**لا يزال أمر الناس ماضياً ما وَلِيَهم اثنا عشرَ رجلاً**، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليَّ فسألت أبي : ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ قال: "**كلهم من قريش**" [٧٠] .

"ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفةً صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابُع أيامهم، بل قد وُجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة، وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره"[٧١].

وهكذا تكون رئاسة أبنائه في الأرض إلى آخر الدهر، وبهذا أيضاً يصح معنى أنهم أبناؤه، فكلهم من قريش، وهم من آل البيت، ويدل عليه قوله ﷺ لعمه العباس: "**فيكم النبوة والمملكة**" [٧٢] أي في بني العباس، وقد سميت الدولة باسمهم أيام أن وصلت إلى أقصى اتساعها وقوتها.

وذِكْرُ اسمه في كل دور فدور أي في كل زمان، زمنا بعد زمن إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولذلك فإنه (محمود) من الشعوب إلى الأبد لأنها تصبح كلها أمة واحدة حينئذٍ ، تذكره ﷺ كلما ذكرت ربها في التشهد والأذان، بالصلاة والتسليم عليه ﷺ .

لقد كثرت الإشارات إليه ﷺ في أسفار الكتاب المقدس ليس على أنه مجرد واحد من الأنبياء، ولكن كتاجٍ لهم ورئيسٍ وكمخلصٍ ومنقذٍ لمن يؤمن به من أدناس

٦٨: ابن اسحق (٢٢٤/٣) .
٦٩: رواه أحمد في المسند (٣٩٨/١)، وحسن إسناده الحافظ بن حجر العسقلاني في فتح الباري: (٢١٢/١٣)
٧٠: مسلم، كتاب الإمارة (١٤٥٢/٣) برقم ١٨٢١، ومسند أحمد ج ٥ ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٨، ١٠١ .
٧١: تفسير ابن كثير (٣٢/٢) .
٧٢: أخرجه البزار عن أبي هريرة ، كتاب الإمارة (٢٢٩/٢) برقم ١٨٥١ ، والسنن الواردة في الفتن للداني ، باب ما جاء أن الأئمة من قريش برقم ١٩٧ ، ومعجم الطبراني الكبير باب ما جاء في فساد الناس عند إظهار الخمور برقم ٣٦٨.

الكفر وظلماته، وبابٍ للسيادة والغلبة على سائر الشعوب، وباب لملكوت السموات .

....

وما زلنا في سفر المزامير، حيث نقرأ في أول المزمور ١١٠:

(قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ، يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ، تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ، شَعْبُكَ مُنْتَدَبٌ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ، فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ، لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ) .

في هذا الشاهد يتحدث داود عن سيدٍ متسلط على أعدائه، وهناك اختلاف حول معنى العبارة تبعا لترجمتها؛ فالعبارة مترجمة في الإنجليزية :

{110:1} The LORD said unto my Lord,

كما في نسخة الملك جمس وغيرها، ونرى فيها تكرار كلمة Lord حيث كتبت المرة الأولى في النسخ الإنجليزية بحروف كبيرة والثانية بحروف صغيرة للتمييز بينهما في المعنى مما يحير القارئ، إذ مدلول الكلمتين واحد فكيف يفرق بينهما ؟

تكلم كثير من علماء الكتاب النصارى في تلك العبارة، قائلين إن المراد من لفظة الرب الأولى: الله، ومن لفظة الرب الثانية التي أضافها داود لنفسه: المسيح على أساس أن كليهما أقنوم إلهي! ، فتكون العبارة بهذا المعنى خطاب من أقنوم الآب إلى أقنوم الابن فيكون المعنى المفهوم إذن: قال الله لعيسى، وهذا المعنى يتضح لنا خطؤه إذا رجعنا للَّفظتين الأصليتين اللتين ترجم عنهما لفظ Lord، فكلمة الرب الأولى دونت في العبرية : (יהוה) (يَهْوَهْ) وهو اسم الله تعالى في العبرية، والكلمة الثانية التي أضافها داود لنفسه (אדני): (أدوناي) وتعني: سيدي (وهو لَقَبٌ)، والعبارة هي: (נְאֻם יְהוָה לַאדֹנִי) (نوُم يَهْوَه لِأَدُونِي) ومعنى נְאֻם هو: كلام أو خطاب [٧٣]، فالمعنى على ذلك: "كلام الرب لسيدي"، وورد في الترجمة بين السطور: **"قال الرب لسيدي الملك"** (مع أنه لا وجود لكلمة ملك في أيٍّ من النسخ العبرية ولا التراجم الإنجليزية!)، وفي الترجمة

اليسوعية: "**قال الرب لسيدي**" فالخطاب إذاً ليس موجها إلى إله ولكن إلى بشرٍ، اعتبرَهُ داود سيداً له، وليس سيد داود وسيد الأنبياء هذا ممن سبقوا داود وإلا كان ذكره داود بالاسم، بل هو تالٍ لداود وآتٍ بعده، وله السيادة على داود وكل الأنبياء حتى نال من الله هذه المكانة من التقريب والتعظيم التي لم ينلها نبي غيره، أما القول بأن المعنى من وراء ذلك اللفظ هو أن الله قال للمسيح أو أن المقصود "بالسيد" هنا هو المسيح ؛ فخطأ أيضاً ، لأن المسيح نفسه نفى أن يكون سيداً لداود الذي ذكره في ترنيمته، فإذا كان داود أباً للمسيح، فكيف يصير الابن سيداً لأبيه ! وهو ما نفاه المسيح نفسه وهو يخاطب اليهود: (**قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا؟ قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ، فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ**) {متى٢٢-٤٤ }

"إن الاعتقاد بمجيء المخلص الأخير ليس إلا تطويراً متأخراً للنبوءات القديمة عن آخر أنبياء الله الذي بشر به يعقوب وأنبياء آخرون، ولم يرد هذا الادعاء بأن هذا المخلص سوف يأتي من نسل داود إلا في الكتب الأبوكريفية المشكوك بصحتها، وفي أسفار الرؤى اليهودية، ومخطوطات الحاخاميين" (٧٤).

أما بقية العبارة في الشاهد السابق: [**يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ. تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ، شَعْبُكَ مُنْتَدَبٌ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ، فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ، لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ**] والنص العبري في المزمور كالتالي :

(מַטֵּה עֻזְּךָ יִשְׁלַח יְהוָה מִצִּיּוֹן רְדֵה בְּקֶרֶב אֹיְבֶיךָ עַמְּךָ נְדָבֹת בְּיוֹם חֵילֶךָ בְּהַדְרֵי־קֹדֶשׁ מֵרֶחֶם מִשְׁחָר לְךָ טַל יַלְדֻתֶיךָ)

ولأن هذه العبارة غير واضحة المعنى في لفظها العربي؛ علينا أن نمحص معاني ألفاظها.

---

٧٣ : قاموس سجيف (ص ٩٣)
٧٤ : محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى ١٦٨ .

فالكلمات: מַטֶּה (مَطِه) معناها: عصا أو صولجان، أو تأتي بمعنى قيادة في الجيش [٧٥]، עֻזְּךָ (عُزْكَ) أي: قوتك وجلالك وعزتك، وتأتي أيضا بمعنى ملاذ أو حصن [٧٦]، יִשְׁלַח יְהוָה (يِشْلَح يَهوَه) أي: يبعث الله، מִצִּיּוֹן (مِصيون): من صهيون، فمعنى العبارة: يبعث الله قوتك (أو قادة جيشك) من صهيون! أما ألفاظ العبارة الثانية: רְדֵה (ردِه) أي (انتصِرْ) فهي من الجذر اللغوي רָדָה (رَدَه) يمعنى قَهَر، وأَخضَعَ، وانتصر على[٧٧]، בְּקֶרֶב (وتنطق بكِرِب أو bikerev) أي: بقرب أو في وسط، وبنفس الحروف لكن بتغيير الحركات (تنطق bikrav) فيصبح معناها حينئذٍ: في القتال[٧٨]، أما אֹיְבֶיךָ (تنطق oyveka) معناها أعدائك، فيكون معنى العبارة: اغلِبْ وتسَلْطَنْ وسَطَ أعدائِك، أو(اقهر في القتال أعداءك).

עַמְּךָ (عَمْكَ) أي: شعبك، נְדָבֹת: (نَدَبُوت) أي الواهبون أنفسهم للجهاد، وتعريف لفظ (נְדָבֹת نَدَبُوت) في معجم ألفاظ التوراة متعدد اللغات كالتالي:

(to show oneself willing, to offer voluntarily, specially of soldiers to volunteer, so of those who volunteered for the sacred military service) [٧٩]

وتعني "إظهار المرء إرادته للتضحية طواعية، وخاصة من الجنود، وكذا أولئك الذين تطوعوا من أجل الجهاد".

وهذا وصف شعب ذلك النبي، أي قومه المؤمنون وصحابته وهم الذين لا يرغبون بأنفسهم عن نفسه ويهِبّون للجهاد متى دعوا إليه.

---

٧٥ : قاموس سجيف (ص٩٦)
٧٦ : سجيف (ص٢٩)
٧٧ : سجيف (ص٢٣)
٧٨ : سجيف (١٦١٢/١٩)
٧٩ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Edward Robinson, 23rd edition, 1882 (page 669)

בְּי֣וֹם חֵילֶ֑ךָ (بِيوم حِيلِك) أي: في يوم بأسك وحربك.

בְּהַדְרֵי־קֹ֭דֶשׁ (بهَدرِي قُدِش) وتُرجِمَتْ (في زينة مقدسة)!، بينما تعني هدري: "جلال وهيبة" [٨٠]، وقدش تعني "قُدْس أو طهارة" [٨١]، واللفظ الأول مضاف والثاني مضاف إليه، فالمعنى الواضح: (بجلال القدس)! ، لكن المعنى مازال غير تام الوضوح، فإذا دققنا في معنى لفظ (هَدِر) وجدناه في معجم ألفاظ التوراة يعني التالي:

(the swelling (raised) places .. a low hill)[٨٢]

أي الأماكن المزدهرة المتعاظمة، أو تل منخفض، وهو أيضاً:

(In neuter sense, of hills, swelling places of land)[٨٣]

فهو بمعنى لغوي محايد وصفٌ للمرتفعات، ولمواضع جليلة من الأراضي، يظهر جلالها بمرور السنين إلى أن يأتي اليوم الذي تعلو قداستها فيه على كل بقعة وأرض.

وهذا المعنى الذي يخص أرضا أو جبالا مقدسة هو ما نراه في الترجمة الأميركية أكثر وضوحا من التراجم العربية التي تُعَمّي المعنى:

"Your people will offer themselves willingly on the day you lead your forces on the holy mountains" [٨٤]

(وسوف يجود قومك بأنفسهم طواعية في اليوم الذي تقود فيه قواتك، على الجبال المقدسة) وليس (شعبك منتدب في يوم قوتك) !

---

٨٠ : سجيف (ص٣٥٧)

٨١ : سجيف (ص١٥٤٨)

٨٢ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Edward Robinson, 23rd edition, 1882 (page 245)

٨٣ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Francis Brown, Boston and New York 1907 (page 213)

وهذا الوصف في ذلك النص ينطبق على صحابته ﷺ المؤمنين الذين قادهم في الغزوات والمعارك صابرين محتسبين، خاصة عند الفتح الأكبر، فتح مكة، حين وقفوا على جبال الحرم المقدسة استعدادا لدخوله مقبلين غير مدبرين.

وليس في عبارات هذا المزمور ما يصدق على أحد من الأنبياء بعد داود كما علمنا حيث انتهى أمر مملكتي يهوذا وإسرائيل، وكان من أمر السبي ما كان، إلى أن احتل الرومان كل فلسطين قبل المسيح.

فهذه البشارة إذن يخبر فيها داود بزعامة من يراه داود سيدا له، وسيكون منشأ سلطانه وجنوده من صهيون! وهو موصوف بالغلبة على أعدائه، وأصحابه حريصون على الجهاد بأنفسهم في سبيل الله، خاصة في الأرض المقدسة التي سيفتحها الفتح الأكبر بقواته.

ولفظ صهيون هنا هو وصف لموطن النبي المبشَّرِ به، حيث ينطبق معناها كما سنرى لاحقا على موضع نزول الوحي على النبي الخاتم، ولم يعد يقصد بها ذلك الحصن أو التل الذي بنى عليه داود حصنه ثم لم يعد له دور أو ذكر تاريخي تالٍ خاصة في العهد الجديد.

وأخيرا عبارة: (**مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ، لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ**): فماذا تعني هذه العبارة ؟

لو رجعنا لعدة تراجم لها لقرأنا التالي :

في الترجمة بين السطور:

בְּיוֹם חֵילֶךָ בְּהַדְרֵי־קֹדֶשׁ מֵרֶחֶם מִשְׁחָר לְךָ טַל יַלְדֻתֶיךָ׃

في يومِ بَأسِكَ في بَهاءات قُدْسٍ مِنْ رَحِمِ سَحَرٍ لَكَ طَلُّ حَداثَتِك

تقودُ جنودَكَ على الجِبال المُقدَّسةِ، فَمِنْ رَحِمِ الفَجْرِ حَلَّ كالنَّدى شبابُكَ. [4] أقسَمَ الرّبُّ ولن

في الترجمة اليسوعية :

فِي بَهاءِ القَداسةِ مِنَ الرَّحِمِ ، مِنَ الفَجرِ وَلَدتُكَ[٤].

---

٨٤ The Bible, new revised standard version Zaine Ridling copyright 1989, Division of Christian Education of the national council of the churches of Christ in the United States of America.

وفي ترجمة الآباء الدومينيك:

فِي مَحَاسِنِ القُدْس. مِن رَحِمِ الفَجرِ لكَ طَلُّ وُلودِيَّتِكَ *

وفي ترجمة الكتاب المقدس الأميركي الجديد **"مثل النَّدى ألِدُكَ"**:

[3]Yours is princely power from the day of your birth. In holy splendor before the daystar, like the dew I begot you."
New American Bible

وفي الترجمة القياسية **"من رحم الفجر، مثل الندى سيأتيك شبابك"**:

From the womb of the morning,
like dew, your youth will come to you.
NEW REVISED STANDARD VERSION

وفي توضيح المعجم لها[٨٥]: **"من انبثاق الفجر ستكون لك نداوة(طراوة) شبابك"**:

So Ps. 110, 3 *from the womb of the morning* shall be *to thee the dew of thy youth,*

والنص في الأصل هكذا: (מֵרֶחֶם מִשְׁחָר לְךָ טַל יַלְדֻתֶיךָ)

מֵרֶחֶם (مِرِحِم): من رحم، מִשְׁחָר (مِشحار): الفجر לְךָ טַל (لَكا طَلْ): لك نداوةُ، יַלְדֻתֶיךָ (يَلْدوتِيكَا): ولادتك أو طفولتك [٨٦]

فالمفهوم من العبارة بوضوح أن وقت ولادة المبَشَّرِ به في النبوءة سيكون عند الفجر، وهو ذات الوقت الذي وُلِدَ فيه النبي ﷺ كما يتبين لنا من كُتب التواريخ والسير.

٨٥: Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Edward Robinson page 365

٨٦: A concise dictionary of the words in the Hebrew Bible page 49 ، وسجيف (٦٨٥)

فقد "وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ، وَسُمِّيَتْ قُرَيْشٌ «آلَ اللَّهِ» وَعَظُمَتْ فِي الْعَرَبِ، وُلِدَ لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول وَقِيلَ: مِنْ رَمَضَانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ". [٨٧]، "وجمهور المؤرخين وعلماء السيرة يجمعون على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل، حين طلع الفجر" [٨٨].

ما أعلمَ أهلَ الكتابِ بالنبي الخاتم الذي أُرسِل إليهم !

---

٨٧ : تاريخ دمشق لابن عساكر(٧٠/٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٥/١)، وإمتاع الأسماع للمقريزي(٦/١)، والخصائص الكبرى للسيوطي (٨٧/١) .

٨٨: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (ص١٧٢).

الفصل الثالث

خبر إشعياء :

من أبين ما ورد فيه ﷺ من البشارات وعرفها اليهود: بعض ما ورد في سفر إشعياء، وفيه نقرأ:

(اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا، الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ، أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ، عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ، يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ، كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً، لأَنَّ نِيرَ ثِقْلِهِ، وَعَصَا كَتِفِهِ، وَقَضِيبَ مُسَخِّرِهِ كَسَّرْتَهُنَّ كَمَا فِي يَوْمِ مِدْيَانَ، لأَنَّ كُلَّ سِلاَحِ الْمُتَسَلِّحِ فِي الْوَغَى وَكُلَّ رِدَاءٍ مُدَحْرَجٍ فِي الدِّمَاءِ، يَكُونُ لِلْحَرِيقِ، مَأْكَلاً لِلنَّارِ، لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ) {إشعياء ٩-٢: ٦}.

فهذه النبوءة تتحدث عن الشعب الذي كان سائرا في חֹשֶׁךְ (حُشِك) أي الظلام كما يظهر في نص "الترجمة بين السطور":

[1] הָעָם הַהֹלְכִים בַּחֹשֶׁךְ רָאוּ אוֹר גָּדוֹל יֹשְׁבֵי בְּאֶרֶץ צַלְמָוֶת
الشعبُ السائِرُونَ في الظلمَةِ رَأَوا نُورًا عَظيمًا ساكِنُونَ في أَرضِ ظِلِّ مَوتٍ

وليس المراد ظلام الليل وانعدام الضوء ولكن ظلمة الضلال، فلفظة חֹשֶׁךְ تعني أيضا [٨٩] "ignorance" أي الجاهلية أو الضلال، فذلك الشعب الذي أشرق عليه فجأة نور الهداية كان غارقاً في ظلمة الكفر وسالكاً في ضلال الجاهلية، الذين كانوا يسكنون أرض צַלְמָוֶת (صَلْمَوت) أي كما تقول الترجمة: "ظل الموت" أي الصحراء القفر كما يقول معجم ألفاظ التوراة :

٨٩: Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Francis Brown, Boston and New York 1907 (page 365).

"the desert as being pathless"[٩٠] أي "الصحراء التي لا يسلكها أحد"، ويصح أيضا أن تكون لفظة צלמות جمع كلمة צלם (صِلِم) بعد إضافة (ות:وت) وهي علامة الجمع للتأنيث في العبرية، ولفظة צלם تعني "الصنم أو الوثن" [٩١]، وعليه فيكون معنى العبارة : "الشعب السائر في الجهالة والضلال أشرق عليهم نور الهداية، الذين يسكنون في أرض الأصنام" وفي كلتا الترجمتين للعبارة ينطبق المعنى على العرب الذين كانوا يقطنون الصحراء الموحشة القاحلة ويعبدون من جهالتهم الأوثان والأصنام، وهم الذين أرسل الله إليهم رسوله بالهدى ودين الحق ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

والذين آمنوا به واتبعوه هم الذين فرحوا وسُرُّوا بمبعثه ﷺ، (**يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ**) خاصة أهلَ المدينة الذين استقبلوه بالفرح والغناء حاملين سعف النخيل لما أتاهم مهاجراً ﷺ، وهذا النور الذي أبصروه هو نور الهداية، إذ لم يُبعث لهم نبي من قبل، ففي القرآن الكريم : (**لتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِير مِنْ قَبْلِكَ**) {السجدة/٣}، وهذا النور الوارد في البشارة قد وصف به ﷺ، وكذا القرآن الذي أنزل عليه، قال تعالى: (**يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيراً مِمَّا كُنْتُم تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِير قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيْهِمْ إلى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ**) {المائدة/١٤، ١٥}، وقد وصف الله رسوله ﷺ في كتابه أيضاً بقوله : (**سِرَاجاً مُنِيراً**) {الأحزاب/٤٦} .

وتكثير الأمة يعني كثرة أتباعه المؤمنين أكثر من أتباع سائر الأنبياء جميعاً، فقد جاءت كلمة (الأمة) بلفظ הגוי (هَجُويْ) وتعني كلمة גוי أمة أو

---

٩٠ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Edward Robinson, 23rd edition, 1882 (page895) :

٩١ : Hebrew And English Lexicon of the old testament (page895) : وقاموس سجيف (١٥١١/١٨)

شعب غير يهودي[٩٢]، فلو كانت تقصد بني إسرائيل لذكرتهم كالعادة بلفظ الشعب (עַם عَمْ)، فالكلام هنا عن أمة كانت قليلة غير ذات شأن حتى أوان بعث هذا النبي الذي كثر أتباعه فصارت أمته أمة عظيمة.

أما عبارة : نِيرَ ثِقْلِهِ، وَعَصَا كَتِفِهِ، وَقَضِيبَ مُسَخِّرِهِ كَسَّرْتَهُنَّ

فالنير هو الخشبة التي تكون فوق رقبة الثور حين يحرث الأرض، وكسرها هنا كناية عن وضع الثقل والأغلال والتشديد الذي كان على من كان قبلنا من أهل الكتاب في الشريعة، فصارت شريعةُ الإسلام هي الشريعةُ الوسط التي خفف الله بها كثيرا عن هذه الأمة، وعن بني إسرائيل لو آمنوا به ﷺ وصاروا من أمته، فكان أهل الكتاب ينتظرون من هذا نعته - قبل أن يكفروا به - وذلك ما يذكرهم الله به في القرآن الكريم حيث يقول: (**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَبِيَّ الأُمِيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التَوْراةِ وَالإنْجِيلِ يَأمُرُهُمْ بِالمَعْروفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ التِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتَبَعُوا النُّورَ الذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أولَئِكَ هُمْ المُفلِحُونَ**) {الأعراف/١٥٧}.

وكل سلاح ومتسلح للحرب ضده ، وكل قتيل أمامه لا يكون إلا وقوداُ للنار أبد الآبدين ، فهكذا إذاً من كفر به وقاتله .

أما قوله: **يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ،** فالولد في العبارة هنا يشبه ما ذُكر في مثال الكرم في الإنجيل من حيثُ رمزية البنوة لله تبارك تعالى، فهو أحد خواص الرسل المكرمين بل هو أفضلهم ﷺ، أما كونه يحمل הַמִּשְׂרָה (هَمِسْرَه) على كتفه فمعنى اللفظة: "السطوة أو السلطة أو الجاه"[٩٣] يعني يحمل سلطته على كتفه، أي أي أن علامة رياسته على جميع الأنبياء والبشر على كتفه؛ وتلك الإشارة الواضحة الجلية إلى خاتم النبوة الذي كان على كتفه ﷺ، والذي كان علماء أهل

---

٩٢ : سجيف ص ٢٣٦.

الكتاب يخبرون به قبل مبعثه ليستوثق الناس منه بتلك العلامة متى بعث، والأخبار في تواريخ السير في ذلك عديدة، فمن ذلك أن سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما ترك بلادَ فارس وخِدمَةَ نار المجوس ودخل النصرانية وصار يتنقل من صحبة أسقف إلى آخر: أخبره أحدهم بقرب مبعث نبي في بلاد العرب ومن علاماته وجود خاتم النبوة بين كتفيه، ويحكي سلمان أنه جاء إلى المدينة للقاء النبي ﷺ للتأكد من شخصه فيقول: "ثم استدرتُ أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وَصَفَ لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله استدبرتُه: عرف أني أسْتَثْبِتُ من شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته" (٩٤).

وكذلك لما أرسل رسولُ الله ﷺ دِحيةَ الكَلبِيّ برسالة إلى هِرَقْلِ يدعوه فيها إلى الإسلام وعاد دحية: بعث هرقلُ بعد ذلك برسالة مكتوبة إلى النبي ﷺ مع رسوله المسمى التَنوخيّ- وكان من نصارى العرب قبل أن يسلم - وكان مما أوصاه به هرقل قوله: "وانظر في ظهره هل فيه شيء يَرِيبُك؟ ، فلما جاء التنوخيّ إلى النبي ﷺ وأدَّى الرسالة وهمَّ بالانصراف؛ ناداه رسول الله ﷺ وقال: "تعالَ يا أخا تنوخ" ، قال: فأقبلت أهوي حتى كنت قائما في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحلَّ حَبْوَتَه (٩٥) وقال: هاهنا، امضِ لما أُمرتَ له، قال : فجلتُ في ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة في موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة" (٩٦) ، وكان أهل الكتاب خاصةً اليهودَ يعرفون أن خاتم النبوة على كتف النبي الأخير منذ ولادتهﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَكَنَ يَهُودِيٌّ بِمَكَّةَ يَبِيعُ بِهَا تِجَارَاتٍ. فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ وُلِدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ: هَلْ كَانَ فِيكُمْ مِنْ

---

٩٣ : سجيف (١٤/ ١١٠٥)
٩٤: ابن إسحاق (٢/٢٠٢) .
٩٥: أي أرخى ثوبه .
٩٦: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٦٥٩) .

مَوْلُودٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ قَالُوا: لا نَعْلَمُهُ، قَالَ: أَخْطَأْتُ وَاللَّهِ حَيْثُ كُنْتُ أَكْرَهُ، انْظُرُوا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَأَحْصُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ نَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحْمَدُ الآخِرُ، فَإِنْ أَخْطَأَكُمْ فَبِفِلَسْطِينَ، بِهِ شَامَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ سَوْدَاءُ، صَفْرَاءُ، فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ، فَتَصَدَّعَ الْقَوْمُ مِنْ مَجَالِسِهِمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْ حَدِيثِهِ، فَلَمَّا صَارُوا فِي مَنَازِلِهِمْ ذَكَرُوا لأَهَالِيهِمْ. فَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: وُلِدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اللَّيْلَةَ غُلامٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا، فَالْتَقَوْا بَعْدُ مِنْ يَوْمِهِمْ فَأَتَوْا الْيَهُودِيَّ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالُوا: أَعَلِمْتَ أَنَّهُ وُلِدَ فِينَا مَوْلُودٌ؟ قَالَ: أَبَعْدُ خَبَرِي أَمْ قَبْلَهُ؟ قَالُوا: قَبْلَهُ وَاسْمُهُ أحمد. قال: فاذهبوا بنا إليه، فخرجوا معه حتى دخلوا على أمه، فأخرجته إليهم، فرأى الشَّامَةَ فِي ظَهْرِهِ، فَغُشِيَ عَلَى الْيَهُودِيِّ ثُمَّ أفاق، فقالوا: وَيْلَكَ! مَا لَكَ؟ قَالَ: ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَرَجَ الْكِتَابُ مِنْ أَيْدِيهِم" [٩٧].

....

ويدعى اسمه عجيبا مشيرا، وقد كان بنو إسرائيل يرغبون في معرفة اسمه، لكنه لم يُعلَن لهم إلا على لسان المسيح، إذ دل على الإنسان الكامل الذي امتدحه الله والأنبياء في الأسفار، وما تسمى به أحد قبله، ويتوالى وضوح نعوته بكونه (**مشيراً**) أي صاحب مشورة لمن حوله غير مستبد برأيه، وكذلك كان النبي مع المؤمنين يستشيرهم ويشير عليهم، وكان ذلك مما أوجبه الله تعالى عليه في كتابه العزيز حين قال: (**وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْر**) {آل عمران/٥٩} والشورى من أصول الحكم بشريعة هذه الأمة .

أما وصفه بكونه (**إلهاً قديراً**) فيجب أن نتنبه إلى أن تلك الكلمة قد وردت بصيغة التنكير: אל (إيل) أي إله، فلا تنصرف هنا تلك الكلمة النكرة إلى معنى اسم الخالق تبارك تعالى دون غيره من المعاني، لأن الاسم العلم الذي لا يدل إلا على

---

٩٧ : الطبقات الكبرى (١٢٩/١)، ومستدرك الحاكم (٦٥٧/٢) .

الخالق تبارك وتعالى هو אֱלֹהִים (إلوهيم)، ولكن على حد تفسير الكتاب المقدس وأهله تدل لفظة آلهة أحياناً على الأنبياء الأجلاء، كما دلت على النبي صموئيل، وذلك حينما طلب الملك شاؤول من المرأة صاحبة الجان أن تُصعد له صموئيل (أي روحه) (**فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِشَاوُلَ: رَأَيْتُ آلِهَةً يَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ، فَقَالَ لَهَا: مَا هِيَ صُورَتُهُ؟ فَقَالَتْ: رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطًّى بِجُبَّةٍ. فَعَلِمَ شَاوُلُ أَنَّهُ صَمُوئِيلُ**) {صموئيل الأول ٢٨-١٣}، ويقول القس منيس: "يتحدث الله إلى القضاة ودعاهم آلهة لأنهم يحكمون على الشعب فيطلقون سراح واحد ويحكمون على الثاني بالموت، و(آلهة) في صيغة النكرة أما الله فهو المعرف بأل الذي لا إله سواه" [٩٨]، وعلى ذلك فهذا الوصف يصدق طبعا على رسولنا لأنه أفضل الأنبياء، وفي ذات الحال كان حاكماً قاضياً، مقيماً للشريعة والحدود، وله أن يقتل أو يعفو حسب تلك الشريعة.

وأما أن يكون (**أباً أبدياً**) فهو أن يصبح معلماً يعلم الناس شريعة الله ويعلمهم دينهم ، ومعنى أبديتِه أبديةُ شرعه إذ ليس بعده من يبلغنا شيئاً عن الله بوحي، وأبوة هذا النبي للناس كلهم رمزية كرمزية البنوة لله في الكتاب المقدس بعهديه، فالرسول ﷺ بهذا المعنى معلم، قال تعالى: (**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُم يَتْلو عَلَيْكُم آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**) {البقرة/١٥١}، وليس في ذلك التأويل شطط، فقد قال ﷺ عن نفسه: "**إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم**" [٩٩] .

٩٨: شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ص ١٩١ .
٩٩: رواه أحمد في المسند برقم ٧٤٠٩، وأبو داود في كتاب الطهارة برقم ٨ ، والنسائي في السنن برقم ٤٠، والبيهقي في السنن برقم ٤٣٥، والدارمي في السنن برقم ٧٣٥، وروى مثله ابن ماجه برقم ٣١٣، وابن حبان برقم ١٤٣١، .

ومن كُناه ﷺ : أبو المؤمنين "وَفِي قراءة عبد الله ابن مسعود، أو أُبي بن كعب ـ: (**النَّبِيّ أولى بالمؤمنين من أنفُسِهِم وهو أبٌ لَهُم**) [100] وذلك "مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَالْأَبِ لَهُمْ فِي الْإِشْفَاقِ عَلَيْهِمْ وَتَحَرِّي مَصَالِحِهِمْ" [101]

وقطعاً لا يمكن للنصارى القول بانطباق هذه النبوءة على المسيح ، فالمذكور فيها موصوف بأنه أب ولا يوصف المسيح بهذا مطلقاً لأنه ليس له عندهم إلا أقنوم الابن، فالمقصود في هذه النبوءة نبي آخر بلا جدال، فكان ﷺ رئيس السلام؛ فبه كانت تحيته ، وإليه كانت دعوته ، والإسلام ملته .

*   *   *

وما زلنا في سفر إشعياء حيث نجد في نهاية الإصحاح الحادي والأربعين أن الرب يعنف بني إسرائيل ويأمرهم - مُعَجِّزاً لهم - أن يخبروه بالآتيات والمستقبليات حتى يبرهنوا على صدقهم في علم الغيب، ثم يخبرهم بالآتيات بعدما وبخهم قائلاً :

(**هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ، لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ، قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ، إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ، لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ، هكَذَا يَقُولُ اللهُ الرَّبُّ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا، بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا، مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا: أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ، لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ**) {إشعياء٤٢–١:٧}.

---

١٠٠ : معاني القرآن (٢/٣٣٥).
١٠١ : أحكام القرآن (٥/٢٢٣) .

فهذا الإصحاح يبدأ بالنعت الذي شرُف به رسول الله ﷺ هنا وفي القرآن وهو العبودية لله عز وجل، وهو ﷺ الذي يعضُدُه الله، أي يؤيده وينصره على من عانده وكفر به، وهو مختاره من بين الأنبياء الذين شرفه الله تعالى عليهم وفضَّله كما تبين في المزمور٤٥ السابق بلفظ (**مسحك الله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك**)

وقول الرب **وضعتُ روحي عليه**: فالروح ترد أحياناً بمعنى القوة وأحياناً بمعنى الوحي كما ورد مثلا في قول موسى: (**يَا لَيْتَ كُلَّ شَعْبِ الرَّبِّ كَانُوا أَنْبِيَاءَ إِذَا جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَهُ عَلَيْهِمْ**) {العدد١١-٢٩} أي وحيه، وبحسب المعنى الأول وهو القوة؛ فهو موافق للمعنى السابق عليه من المساندة والتأييد (**أعضده**)، وبحسب المفهوم الثاني وهو المقصود (أي الوحي) فيوافقه ما يليه من أنه يُخرج الحقَّ للأمم، فالمعنى أن الله يُنزل عليه الروحَ (جبريل) بوحيٍ جديدٍ وشريعة، فيُبطِلَ بها ما سبقها من شرائعَ، ويذيع هذه الشريعةَ للأمم، مما يُشير مجدداً إلى عموم رسالة هذا النبي إلى كافة البشر.

وقد بين ﷺ ذلك عن نفسه فقال: "**أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلِي: نُصِرتُ بالرعبِ مسيرَةَ شهرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، وأُحِلَّت لِيَ الغنائمُ ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطِيتُ الشفَاعةَ، وكان النبيُّ يُبعث إلى قومِهِ وبُعِثتُ إلى الناسِ عامةً**" (١٠٢) .

ومن صفاته أيضاً أنه (**لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ**)، وذلك كان حاله ﷺ، وقد ورد في الحديث عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: "لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخَّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويصفح" (١٠٣). فجاء وصفه ﷺ على ألسنة المؤمنين كما جاء

١٠٢: رواه البخاري (١/١١٩)، ومسلم : كتاب المساجد ، الباب الثالث .
١٠٣: رواه الترمذي في سننه كتاب التبرج: برقم ٢٠١٧، ورواه في الشمائل المحمدية .

على ألسنة الأنبياء السابقين على بعثته بأكثر من ثلاثة عشر قرناً (كان إشعياء في القرن السابع ق.م) .

وكونه لا يقصف قصبة مرضوضة - أي مدقوقة - ولا يطفئ فتيلة ضعيفة، فهذا كناية عن حلمه ورأفته بأمته ولين جانبه لهم رغم نشأته بين سكان البادية أهل الجفوة والغلظة، وكما قال عز وجل في القرآن الكريم: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك**) {آل عمران/١٥٩}.

وهو (**يخرج الحق إلى الأمان**) أو كما نرى في الترجمة بين السطور :

לֶאֱמֶת יוֹצִיא מִשְׁפָּט:
إلى الحَقِّ يُخرِجُ قَضاءً

فكلمة (אֱמֶת إمِت) تعني الحق والاستقامة، وتعني (מִשְׁפָּט مِشباط) قضاء أو عدالة.

أي يظهر الله على يديه في الدنيا شريعته التي يقضي بها ويحكم شعوبا حيث تخرج هذه الشريعة إلى الثبات والاستقرار، فلا نسخ لها ولا تحريف ولا زوال.

وهو (**لا يكل**) أي لا يفتُرُ أو يتوَانَى عن نشرِ الدين والدعوة له، (**ولا ينكسر**) - بموت أو قتل - حتى يضع الحق في الأرض أي يثَبِّتُ الدين ويُقِرُّه ويتم بلاغ الرسالة، وقد كان ذلك والحمد لله كما أخبرنا تعالى في الكتاب العزيز : (**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينَاً**) {المائدة /٣} ، أما الآن - وقت النبوءة - فإن الجزائر تنتظر شريعته!.

قد تردد ذكر الجزائر في النبوءات كثيراً وما أراها إلا الجزيرة العربية إيماءً لمحل ظهوره ﷺ، وما خُصَّت بالذكر إلا لأنها موضع مولده ومخرج رسالته ﷺ، وإذا دققنا في اللفظ المترجم "الجزائر" وجدناه كُتب: אִיִּים (إيِـيم) وبحذف

علامة الجمع يصبح المفرد אִי، وليس مقابله العربي الدقيق جزيرة وإنما كما يقول معجم ألفاظ التوراة [١٠٤]

2. *terra maritima*, land adjacent to the sea, *sea-coast*, whether on the shore of the main land, or an island; like the

والمعنى كما يظهر من النص: "الأرض الموازية للساحل سواءٌ أكان ساحلَ قارةٍ أم جزيرة"، وهو ما ينطبق تماما على موضِعَي مكة والمدينة القريبتين من ساحل البحر الأحمر والموازيتين له، حيث نزلت الشريعة فيهما، وكانت آيات الكتابِ المُنزَّل ما بين مكية ومدنية!

ثم تقول العبارة التالية على لسان الرب: קְרָאתִיךָ בְצֶדֶק "**قد دعوتك بالبر**"، وفي الترجمة اليسوعية: "**دعوتك في البر**"!

لكن لفظة קְרָאתִיךָ (قراتيكَ) تعني دعوتك أو سميتك من الفعل קָרָא بمعنى نادى أو سمَّى [١٠٥]، ولفظة בְּצֶדֶק (بصِدِق) تعني الصدق، أو الصادق كما نري في المعجم [١٠٦]:

*צָדַק fut. יִצְדַּק pr. *to be right, straight*, i. q. יָשַׁר, as if spoken of a way, comp. צֶדֶק Ps. 23, 3, also Is. 33, 15. Arab. صدق to be true, sincere. Syr. ܙܕܩ to be right, just.—Hence

فالمعنى الواضح من العبارة: سميتك الصادق أو دعوتك الصادق، وهي الصفة التي عرف بها النبي ﷺ من قبل بعثته بالرسالة حيث كان يسمى بالصادق الأمين!، وهو نفس الوصف الوارد في سفر الرؤيا (آخر نبوءات الكتاب المقدس) حيث يقول يوحنا اللاهوتي: (**ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ، وَعَيْنَاهُ**

---

١٠٤ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, 1882 (page 40)

١٠٥ : قاموس الأفعال العبرية ص ٥٩ ، قاموس سجيف (١٦١١)

كَلَهِيبِ نَارٍ.. وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ) {رؤيا١٩-١١} فالنبي الذي جاء بعد المسيح وحارب، وحكم بالعدل، وسماه قومه من قبل نزول الوحي عليه بالصادق الأمين هو محمد ﷺ.

ومن دقيق صفاته التي كانوا يعرفونه بها هنا أيضا تلك الحمرة التي كانت في عينيه ﷺ، والتي أُشِير إليها في العبارة السابقة بلفظ (**عيناه كلهيب نار**).

فقد ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلِيعَ الْفَمِ، **أَشْهَلَ الْعَيْنَيْنِ** ....." [١٠٧]، وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَشْكَلَ الْعَيْنِ**" [١٠٨]، "ومعنى "الشُّهَلة: حُمرة في سواد العين، والشُّكْلَة حُمرَة في بياض العين" [١٠٩]، وهذه الصفة المذكورة عند أهل الكتاب كانت دائمة له ﷺ ولم تكن عارضة، وذلك ليستوثق منها كل من يراه ﷺ، خاصة أهل الكتاب الذين وعوها وتناقلوها حتى أخبروا بها من يليهم من العرب قبيل ظهور الإسلام، فقد رُوِيَ "عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي مَالِكَ بْنَ سِنَانٍ، يَقُولُ: جِئْتُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَوْمًا، لِأَتَحَدَّثَ فِيهِمْ، وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ فِي هُدْنَةٍ مِنَ الْحَرْبِ، فَسَمِعْتُ يُوشَعَ الْيَهُودِيَّ يَقُولُ: أَظَلَّ خُرُوجُ نَبِيٍّ، يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ، فَقَالَ لَهُ خَلِيفَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْأَشْهَلِيُّ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِهِ: مَا صِفَتُهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ لَيْسَ بِقَصِيرٍ، وَلَا بِالطَّوِيلِ، فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ ..." [١١٠]، وكذلك لما ذهب النبي ﷺ في تجارة إلى الشام قبل الإسلام ببضاعه لخديجة بنت خويلد مع قوافل مكة التجارية، "فَخَرَجَ مَعَ غُلامِهَا مَيْسَرَةَ، وَجَعَلَ عُمُومَتُهُ يُوصُونَ بِهِ أَهْلَ الْعِيرِ حَتَّى قَدِمَا بُصْرَى مِنَ الشَّامِ، فَنَزَلا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ. فَقَالَ نُسْطُورٌ الرَّاهِبُ: مَا نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. ثُمَّ قَالَ لِمَيْسَرَةَ: أَفِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لا

---

١٠٦ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, 1882 (page 883)

١٠٧ : صحيح ابن حبان (١٤/ ٢٠٠) برقم ٦٢٨٩، مسند أبي داود الطيالسي (١٢٦/٢) برقم ٨٠٢.

١٠٨ : صحيح مسلم (١٨٢٠/٤) برقم ٢٣٣٩ / ومسند أحمد برقم ٢٠٨١٢/ وسنن الترمذي برقم ٣٦٤٧.

١٠٩ : المعلم بفوائد مسلم (٢٢٣/٢).

تُفَارِقُهُ. قَالَ: هُوَ نَبِيٌّ وَهُوَ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ.." [111]!، والروايات في كتب السير والتواريخ في ذلك عديدة.

ونعود إلى تكملة عبارات النبوءة:

(وأمسك بيدك) أي أساندك وأؤيدك، وهو بمعنى **(أعضده)** السالف، وأقويك وأحفظك من كل كيد يكيدك به أعداؤك، **(وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم)**، فالمراد بالشعب في هذا السياق بنو إسرائيل، والمعنى أنهم قد أُخِذَ عليهم العهد باتباعه والإيمان به كما أُخِذَ على أسلافهم الذين كانوا مع موسى، ولكن هذا النبي في ذات الوقت نور للأمم أي لكل الناس من غير بني إسرائيل، مما يؤكد مجددا أن محمدا ﷺ رسول الله لجميع بني آدم، كما قال القرآن الكريم: **(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعَاً)** {الأعراف/١٥٨} وإنما أُفرِد بنو إسرائيل بالذكر قبل الأمم لكثرة المواثيق التي أُخذت عليهم فيه، ولتمام معرفتهم بصفاته دون غيرهم، ولانضواء من آمن منهم به تحت لوائه ﷺ .

أما فتح عيون العمي وإخراج المأسورين من الظلمة فهو هدايتهم وإخراجهم من ظلمة الكفر والضلال إلى نور الإيمان، حيث إن لفظة الظلمة هنا חֹשֶׁךְ المراد بها الجاهلية والضلال كما ذكرنا من قبل، وذلك ما خاطبهم الله به في القرآن حتى يفهموه ويتدبروه كما مرَّ في سورتي المائدة ١٤,١٥ والأعراف ١٥٧ .

*   *   *

ولكن عند النظر في الجزء الأول من هذه النبوءة أو البشارة يتبين لنا أنه مغير عن النص الأصلي الذي قرأه اليهود ودرسوه حتى زمن بعثته ﷺ، وبعدما ظهرَ الإسلامُ وسادَ وتبينَ لهم الحقُّ؛ موَّهوا وشوهوا ما يشير إليه ﷺ إمعانا في إنكاره

---

١١٠ : دلائل النبوة للأصفهاني (٧٩/١)
١١١ : الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٤/١)

ورفضه، لا لشيء إلا كِبراً أن يكونوا تبَعاً - وهم بنو الحرة سارة - لنبيٍّ جاء من نسل (**جارية مصرية اسمها هاجر**) { تكوين ١٦-١} .

وأصل النص هذا كان عبد الله بن عمرو بن العاص قد نقله في صحيفته المسماة بالصادقة كما قرأه في كتب أهل الكتاب التي حصل عليها منهم بعد فتح الشام وهي الرواية التي نقلها عنه الإمام البخاري في صحيحه، فعن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن هذه الآية التي في القرآن: **(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)** {الأحزاب٤٥} **قال في التوراة: (يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرزاً للأُمِّيينَ، أنتَ عبدِي ورسُولِي ، سمَّيتُك المتوَكِّل ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا سَخّابٍ بالأسْواقَ ، ولا يَدفَعُ السيئةَ بالسيئةِ ولكنْ يَعفُو ويَصْفَح، ولن يَقْبِضَهُ اللهُ حتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلّةَ العَوجَاءَ بأَنْ يَقُولُوا لا إله إلا الله، فيَفتَحُ بهَا أَعيُناً عُمياً وآذاناً صُمَّا وقُلوباً غُلفاً)** [١١٢] وفي هذا النص شبه بحديث السيدة عائشة السالف .

١١٢: أخرجه البخاري في باب (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا) ، برقم٤٨٣٨.

الفصل الرابع
النبوءات لا تنطبق على المسيح

هذا النص السابق الوارد في سفر إشعياء نجده منقولاً في الإنجيل أيضا مع بعض الاختلاف، وهو في الحقيقة لم يكن إلا تكراراً للبشارة بالنبي الأخير ﷺ، يقول النص: (**فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ، فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ، وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعًا، وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي، أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ، لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ، قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ، وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ**) {متى ١٢-١٤} فما نقله كاتب السفر على لسان المسيح هنا كان بشارة بمحمد ﷺ أيضاً، ومن يخصص المسيح بهذه البشارة فقد أخطأ، وذلك لوجوه نتبينها برجوعنا لنص إشعياء الأصلي والذي قرأنا فيه :

هوذا عبدي: وهذا الوصف لا يمت للمسيح بصلة عند النصارى، فهم لا يقولون بعبوديته مطلقاً .

الذي أعضده: أي أعينه وأسانده، بينما بين الإنجيل أن المسيح كان يتنقل بين البلاد والمدن هرباً من اليهود الذين أرادوا قتله، حتى تمكنوا منه - كما يقولون - لما سلمه إليهم يهوذا الإسخريوطي فصلبوه بين لصين ولم يجد له نصيراً حتى قال: (**إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟**) {متى٢٧– ٤٦}.

الذي يخرج الحق للأمم: فالمفهوم هنا أنه مرسل لكل الأمم، بينما علمنا من قبل أن المسيح نفى عن نفسه أن يكون مرسلاً لغير بني إسرائيل (**لم أُرسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**) {متى١٥-٢٤}

لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته: ولم يكن ذلك للمسيح تبعاً لما يقوله أهل الكتاب، إذ انكسر بخيانة اليهود وقتلهم له، ولم ينتظر أحد شريعته إذ لم تكن له شريعة مستقلة أصلاً، وإنما عمل بشرع من كان قبله من الأنبياء كما أخبرهم بذلك: (**لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل لأكمل**) {متى٥-١٧}، فقد التزم ناموس موسى الذي وصفه لليهود بقوله: (**موسى الذي عليه رجاؤكم**) {يوحنا ٥-٤٥} وألزم المسيحُ اليهودَ بذلك الناموس.

وكذلك في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: (**ومُصدِّقاً لما بينَ يدَيَّ منَ التوْراة**) {آل عمران/٥٠} وإنما كانت رسالة المسيح عليه السلام أن يبشر بقرب مبعث النبي الذي طالما أشار إليه الأنبياء السابقون وأخذوا على أقوامهم العهد باتباعه، وأيضاً ليحل لهم بعض الذي حُرم عليهم (كالعمل يوم السبت) .

لا يصيح ولا يُسمع في الشارع صوته: تبينا هذه الصفة في النبي محمد ﷺ من بعض الأحاديث كما سبق، فهل انطبقت علي المسيح وقد (**صرخ يسوع بصوت عظيم**) {مرقس ١٥-٣٣} ؟! .

وإذا نظرنا إلى قول المسيح (**لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي**) ؛ أدركنا أن ذلك الأمر لم يتم حتى زمن المسيح، بل حتى زمن كتابة الإنجيل أيضاً، وعليه: فكل ذلك كائن بعد المسيح .

أما ما ورد على لسان المسيح مما ليس في إشعياء من قوله : **وعلى اسمه يكون رجاء الأمم**، فهو يشير فيه بضمير الغَيْبة إلى غيره لا إلى نفسه لأنه ليس مرسلاً لكل الأمم كما أخبر عن نفسه، ومعنى تعليق رجاء الأمم على اسم هذا النبي أن جميع الناس على اختلاف مللهم وأجناسهم لا يصح لهم إيمان إلا إن آمنوا بهذا النبي بعينه وباسمه، وبالدين الذي جاء به، حتى لو كان لهؤلاء الناس شرائع سابقة (كما بينت نبوءة موسى)، وهذا أيضاً ما بينه رسول الله ﷺ عن نفسه حينما قال: "**والذي نفس محمد بيده ؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ يهوديٌ ولا**

نصرانيٌ ـ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار" [١١٣]، ومعنى يسمع بي أي بمبعثي أو باسمي (محمد) مما يدل كذلك على معرفة أهل الكتاب جيداً باسم نبينا من كتبهم وبوضوح تام، ولذلك لم تكْفِ بعد بعثته ﷺ شهادة أنَ لا إله إلا الله لبرهنة الإيمان إلا أن تُلحق بها شهادة أنَ محمداً رسول الله، حتى إنهما صارتا شهادة واحدة، وهو الركن الأول الذي بُني عليه الإسلام .

١١٣: رواه مسلم ، كتاب الإيمان برقم ٢٤٠ .

الفصل الخامس

محل نبوته وهجرته ﷺ

وردت في الكتب السابقة إشارات إلى ذلك النبي المبجل المقدم على سائر الأنبياء والرسل، وإلى بعض صفاته ﷺ، وكذلك إلى محل ظهوره وانتشار ديانته، حتى يهتدى إلى اتباعه من كان حريصا على الهدى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وسنوضح قدر استطاعتنا ما يشير إلى ذلك إن شاء الله.

ولنقرأ النبوءة في سفر إشعياء :

(أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ، وَلاَ تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ، هُوَذَا الأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ، وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا. قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ أُعْلِمُكُمْ بِهَا، غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا، لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ، لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ، مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا، لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ) {إشعياء٤٢ـ ٨: ١٢}.

إن المجد والعظمة لله، ولا تكون تلك العظمة لمخلوق فيُعبد أو يُسبح، كالمنحوتات أو الأصنام التي كان المشركون الضالون يعبدونها، فلزم أن يظهر دين التوحيد الذي يقضي على هذه المظاهر الوثنية، وهنا يخبرنا الله بالحديثات أي الغيبيات قبل أن تكون، حيث تظهر العبادة الجديدة والتسبيح وتلاوة الكتاب الجديد من الأرض البعيدة، من بين أهل الجزائر (אִיִּים) أي سواحل الجزيرة كما مر، الذين تنحدر بلادهم إلى داخل البحر .

إنَّ رفعَ البريّةِ أي الصحراء ومدنها لصوتها إشارة لظهور الشريعة الجديدة منها وارتفاع النداء بكلمة التوحيد كل يوم خمس مرات، وهي الديار أو

المواطن التي سكنها قيدار بن إسماعيل كما تقول النبوءة، وقيدار هو جد النبي ﷺ، وهذا الشاهد من أقوى الشواهد المبينة لموقع بزوغ الدين الجديد على يد نبينا الكريم ﷺ ومحل هجرته وانتشار دعوته.

فالمعروف أن إبراهيم لما ترك هاجر وإسماعيل في البرية كان ذلك في صحراء مكة حيث استقرا هناك، وتذكر التوراة أن إسماعيل ما استقر إلا في صحراء فاران: (**وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ**) [التكوين٢١/٢١]، وفاران هذه كما نري في معجم ألفاظ التوراة:[١١٤] "اسم علم على منطقة صحراوية تسكنها قبائل بدوية"

פָּארָן (prob. region with caverns, r. פָּאַר II) *Paran*. pr. n. of a desert region inhabited by nomadic tribes 1 K. 11, 18;

والقبائل البدوية التي كانت تسكن الصحراء هم العرب، وقلب أرضهم عبر التاريخ هي مكة!

ومعنى لفظة فاران العبرية: (موضع المغائر) كما توضح قواميس الكتاب المقدس[١١٥]، أي الجبال ذات الكهوف والمغارات، وموقع الحرم تحيط به الجبال بمغاراتها كغار حراء، وليس الأمر كما يزعم بعض أهل الكتاب من أن فاران التي سكنتها هاجر وإسماعيل كانت بشبه جزيرة سيناء فيما يسمى وادي فيران الآن؛ يقول قاموس ألفاظ التوراة كما نرى: "**وادي فاران جهة أرض أدوم، وبه كثير من المغائر، وبالطبع فإنه لا علاقة بين فاران هذه وفاران التي ذكرها يوسيبيوس التي تبعد مسيرة ثلاثة أيام شرق**

1. Josephus mentions a valley Pharan, apparently towards Idumea, with many caverns, B. J. 4. 9. 4.—This Paran has of course no connection with the Pharan of Eusebius, three days east of Ælana, Onomast. art. Φαράν; nor with the Faran or Feiran in the peninsula of Sinai; though it has often been confounded with them. See Bibl. Res. in Palest. I. p.

١١٤: Hebrew And English Lexicon of the old testament, 1882 (page 833)

١١٥: جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس(٢/١٤٦) .

خليج إيلانا[١١٦]**، ولا فيران التي في شبه جزيرة سيناء، رغم التباسها بهما غالبا"**[١١٧] !!، فيظهر من ذلك أن هناك أكثر من منطقة سميت فاران، أو وُصِفَت بأنها موضع المغائر، إذن فاران المقصودة مختلفة عن سَمِيَّتِها في سيناء أو شرق خليج العقبة، وأرض أدوم بالنسبة لبني إسرائيل وأنبيائهم الذين كانوا يقطنون مملكتي إسرائيل ويهوذا تقع في الجنوب، وعلى امتداد أرض أدوم تقع أرض الحجاز ساحل الجزيرة العربية الغربي!

ويذكر معجم سترونج [١١٨] صراحةً أن فاران هي "صحراء الجزيرة العربية" :

פָּארָן **Pâʼrân**, *paw-rawn'*; from 6286; *ornamental*; *Paran*, a desert of Arabia:—

ومما يبرهن أيضا على أن سكنى إسماعيل لم تكن في فيران التي بسيناء هو وصف التوراة لها: (**الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، الَّذِي سَارَ بِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضِ قَفْرٍ وَحُفَرٍ، فِي أَرْضِ يُبُوسَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ، فِي أَرْضٍ لَمْ يَعْبُرْهَا رَجُلٌ وَلَمْ يَسْكُنْهَا إِنْسَانٌ**) {إرميا ٢-٦} فلو كانت سكنى إسماعيل وذريته في سيناء كما يزعمون فكيف تصفها التوراة بأنها لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان عند خروج بني إسرائيل من مصر؟! رغم أنه كان بين مُستقر إسماعيل فيها ومرور بني إسرائيل بها لما خرجوا من مصر خمسة قرون تقريباً! ورغم كون أولاد إسماعيل رؤساء لقبائلهم في أرضهم كما ذكرت التوراة، بينما تلك الفترة تكفي لزيادة عدد بني إسماعيل عدة أضعاف على ما كانوا عليه!، فإذاً أرض التيه القفر التي نزل بها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر غير تلك التي سكنها إسماعيلُ وبنوه وذرياتُهم وصارت محل ظهور الدين الجديد، وقد كان ذلك بجزيرة البدو الرعاة: (**العربُ وكلُ رُؤَساءِ قِيدار هُم تُجّارُ يدِك بالخِرفَانِ والكِبَاشِ**) {حزقيال٢٧-١١/إشعياء ١٦-١}، فالعرب من نسل قيدار بن

---

١١٦ : خليج العقبة

١١٧ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, 1882 (page 833)

١١٨ : A concise dictionary of the words in the Hebrew Bible page 93

إسماعيل كما يوضح النص، وهم الذين يرفعون صوتهم بالتسبيحة الجديدة (التلبية في شعيرة الحج في مكة والآذان في كل أنحاء المعمورة) بعد ظهور الدين الجديد، وذكر الخرفان والكباش يشير إلى شعيرة ذبح الأضاحي والهَدْي في منى بموسم الحج.

أما عبارة: **(لتترنمْ سكان سالع)** فبالنظر المتفحص لكلمة سالع (סלע) يتبين لنا أنه اسم للجبل الموجود بالمدينة المنورة المجاور للمسجد النبوي من جهة الغرب، تلك المدينة التي كانت إليها هجرته ﷺ، ولذا أقام كثير من اليهود بها قبل بعثته ﷺ ترقباً له، وقد ورد ذكر هذا الجبل في بعض الأحاديث النبوية الشريفة :

فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **ويحَكَ بعدي**، فبكيتُ وقلتُ: يا رسول الله، إني لباقٍ بعدك؟! قال: **"نعم، فإذا رأيت البناء على جبل سلع فالحِقْ بِالْمَغْرِبِ أرضِ قضاعة"** (١١٩) .

وعن أم ذرٍّ قالت: والله ما سَيَّر عثمانُ أبا ذر ولكن رسول الله ﷺ قال: "إذا بلغ البناء سَلْعاً فاخرج منها" (١٢٠) . أي من المدينة .

والاسمان (سالع وسلع) في الحقيقة واحد ولا فرق بينهما، فقد "كانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ ق.م ، ثم دخلت هذه الحروف فأصبحت كلمة יהוה (يهوه): ياهوفا (Jehova)" (١٢١). ومن هنا صارت مَدْيَن : مَدْيَان، وحِيرَم (ملك صور) : حِيرَام، وإيلَة: إيلات، وسَعِير: ساعير، وكذلك سَلع: سالِع، وغير ذلك كثير، فهذه الألف ما هي إلا ما يسمى بإشباع الحركة حتى صارت حرف علة .

١١٩: معجم ابن الأعرابي (٧٥/١).
١٢٠: أخرجه الحاكم (٣٤٤/٣) . والبيهقي في دلائل النبوة .
١٢١: اليهودية : د / أحمد شلبي ص ١٧٦.

وهناك بعض الترجمات التي ترجمت معنى هذا الاسم (سالع) فكتبته (الصخرة) كالترجمة اليسوعية حيث نجد العبارة: **"ليهتف سكان الصخرة"** وكأنها نقلت عن نسخة الملك جمس نفس اللفظ كما نرى:

let the inhabitants of the rock sing,

وهذا لا يعطينا دلالة واضحة على مكان محدد، فأيُّ صخرةٍ تلك من صخور الأرض التي يترنَّم ساكنوها أو يهتفون؟!

أما في غيرها من الترجمات الإنجليزية فنرى في بعضها أن الكلمة كتبت كما هي بلا ترجمة (Sela) وبحرف أولي كبير كما في الترجمة الأميركية كما نرى:

let the inhabitants of Sela sing for joy,

مما يوضح أنها اسم علم دال على موضع بعينه، بل لو رجعنا للترجمة السريانية البشيتا (البسيطة) لوجدنا اللفظة كتبت أيضاً سالع كما نرى:

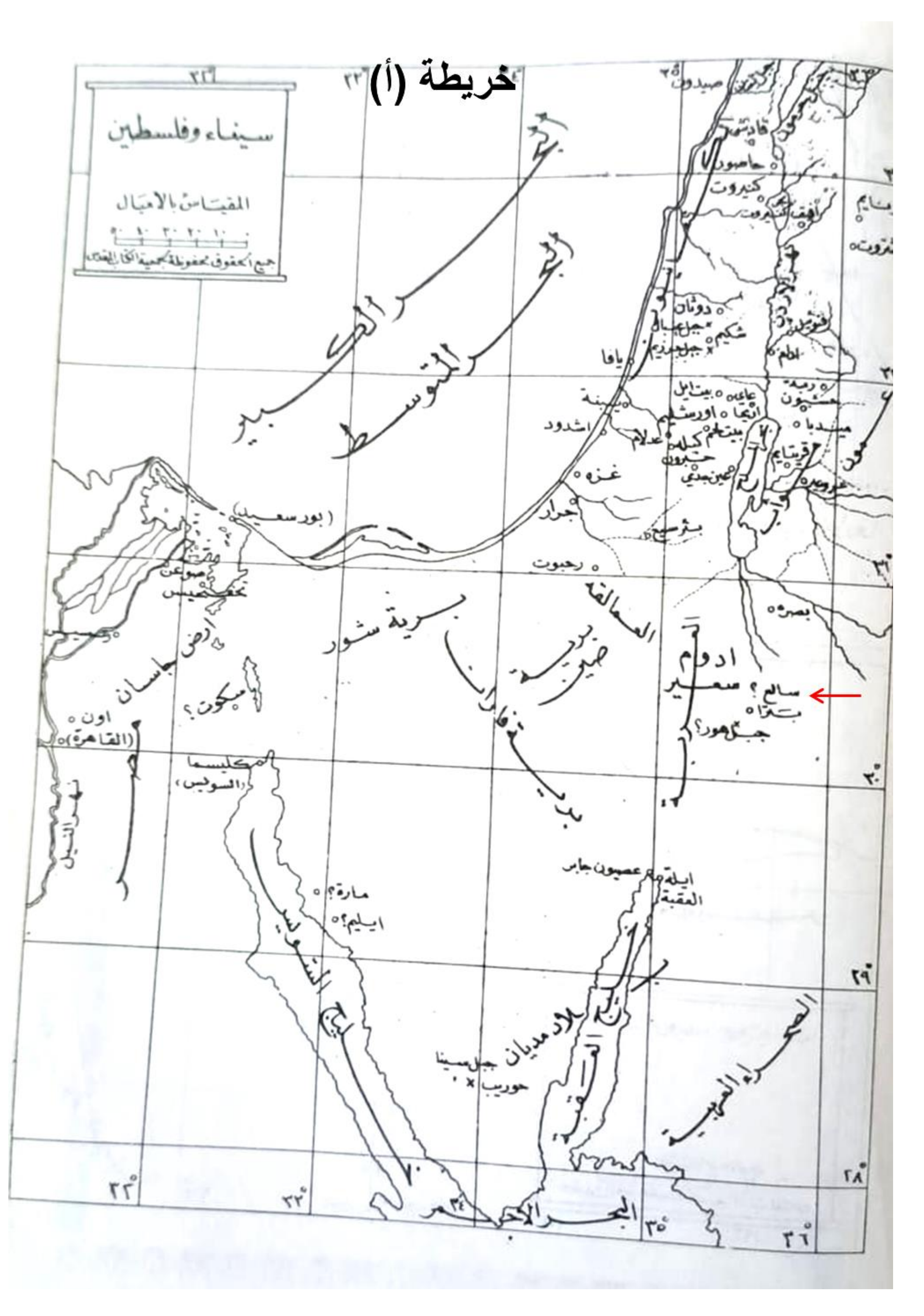
ܫܒܚ ܥܡܪ̈ܝܐ ܕܣܠܥ:

(شَبْحِ عَمْرِيا دِسَلِع) أي : (سَبِّحوا يا عَامرِي سلع) ، أي الساكنون بها.

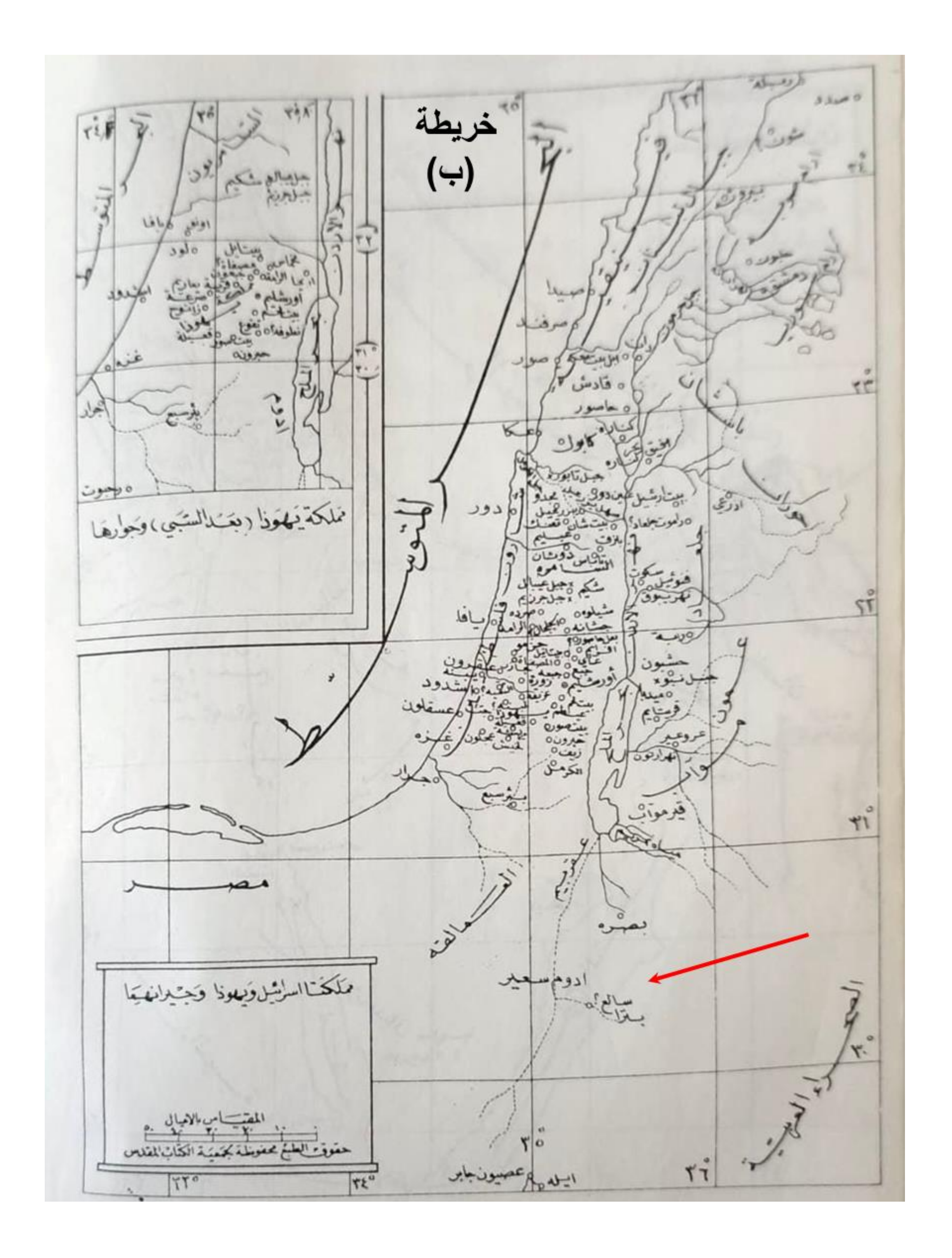
ولم تُترجم طبعا (صخرة) لأن الأعلام لا تترجم!

وعليه فاللفظة تدل على ذلك الموقع العربي الأصيل الذي يرجع له هذا الاسم، وقد آثرنا إيراد الخرائط لمزيد إيضاح، مع ملاحظة ما عليها من بيانات .

خريطة (أ)

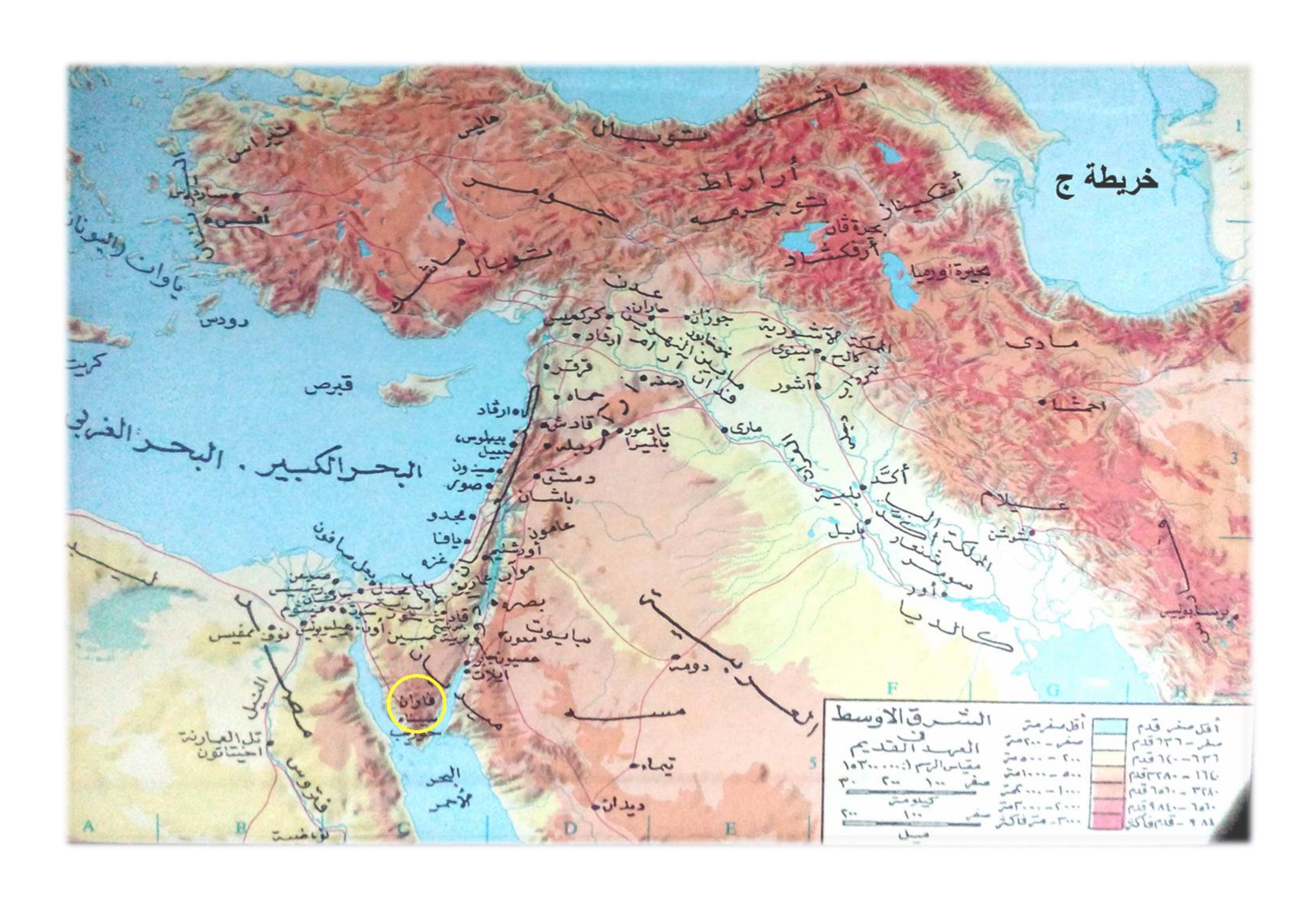


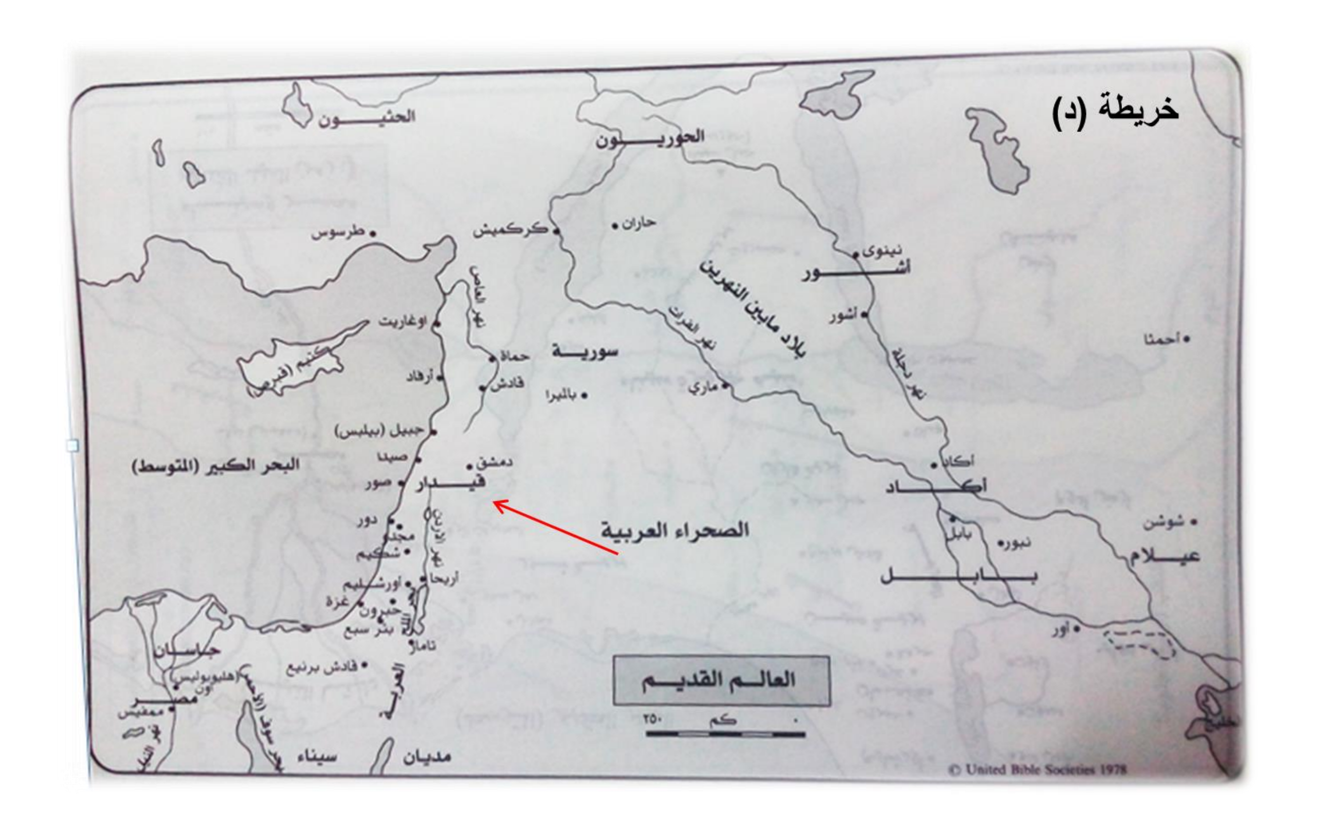
سيناء وفلسطين
المقياس بالأميال
البحر الأبيض المتوسط
صيدون
قادش
حاصور
كنيروت
دوثان
شكيم
جبل عيبال
جبل جرزيم
يافا
بيت ايل
عاي
اريحا
اورشليم
بيت لحم
عدلام
حبرون
عين جدي
اشدود
غزه
جرار
بئر سبع
رحبوت
حشبون
ميدبا
قريتايم
بور سعيد
صوعن
تحفنحيس
ارض جاسان
سكوت ؟
اون
(القاهرة)
نهر النيل
برية شور
برية صين
برية فاران
العمالقة
ادوم
سعير
سالع ؟
بصرة
جبل هور ؟
مكليسما
(السويس)
مارة ؟
ايليم ؟
ايلة
عصيون جابر
العقبة
بلاد مديان
جبل سينا
حوريب
الصحراء العربية
البحر الأحمر



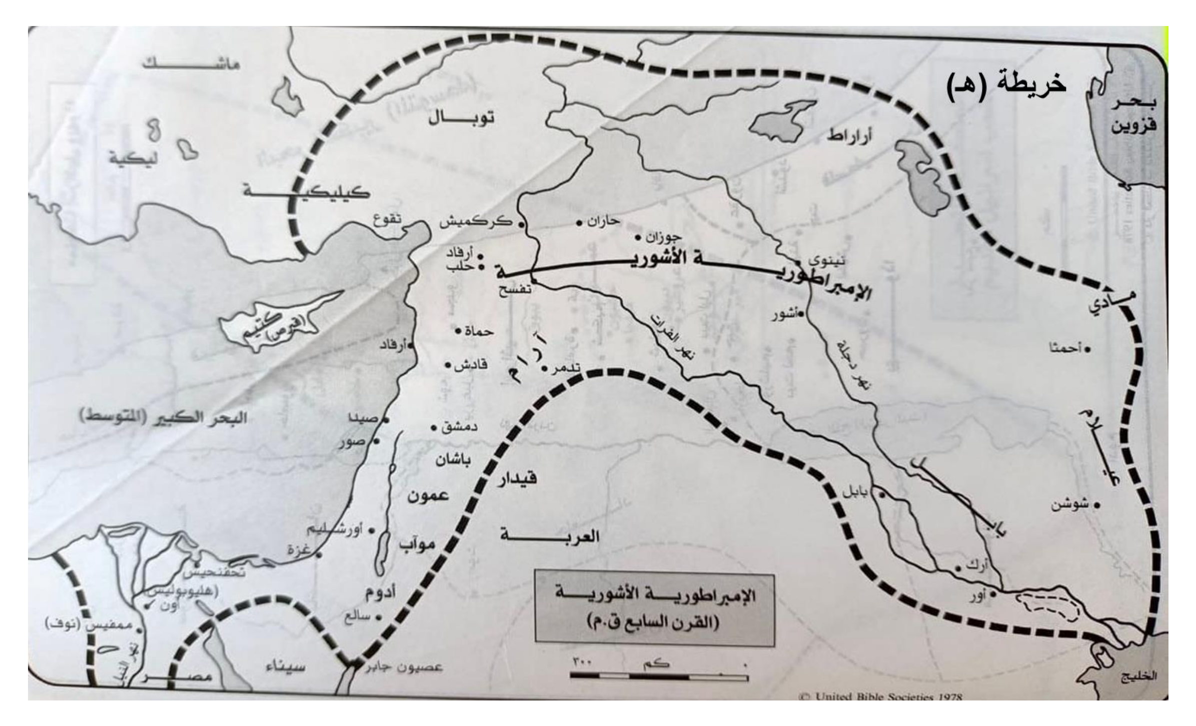
هاتان الخريطتان (أ ، **ب**) (ملحق الخرائط بالكتاب المقدس ط ١٩٧٠) نرى في أولاهما برية فاران موضوعة في شمال سيناء، وفي كلتيهما نجد اسم جبل سلع جنوب البحر الميت وشرق برية فاران، وبجانب اسم سلع نجد علامة استفهام مما يدل على عدم تأكيد دقة موضعه على الخريطة !

أما في الخريطة (ج) (ملحق الخرائط بالكتاب المقدس ط ١٩٨٣) نجد فاران موضوعة في جنوب سيناء (وادي فيران) بينما لا نجد أثراً لبيان اسم سالع !!





وفي الخريطتين **د** ، **هـ** (ط١٩٩٩) نجد بياناً لم يظهر على الخرائط من قبل وهو اسم قيدار على الخريطة **(د)**، ورغم أن قيدار بن إسماعيل كان يسكن فاران في الجنوب إلا أننا نجده قد ارتفع على الخريطة إلى أعلى عليين حتى حاذي مدينة صور، وما زال وادي العربة شمال خليج العقبة مكانه لم يتقلقل .



أما في الخريطة (**هـ**) نجد قيدار قد هُجِّر من أرضه وسمائه إلى جهة الشرق ، وكذلك سيقت العربة إلى الشمال الشرقي مئات الأميال، وكل ذلك إخفاء وتضليل.

أما الموقع الصحيح لجبل سلع فنتبينه في الخريطة (**و**)[١٢٢] في المدينة المنورة شمال غرب المسجد النبوي، وهو المعلم الوحيد الموجود في الأرض بهذا الاسم ،وما زال هذا الاسم حيا حتى الآن شاهدا قائما لأهل الكتاب.



فالبلدان و الأماكن تُنقَلُ إلى مواقع أخرى بعيدة لا علاقة لها بها في الحقيقة، كوادي العربة على سبيل المثال الذي هو أصلاً "ناحية قرب المدينة وأقامت

١٢٢ : أطلس المدينة المنورة ص ٤٥.

قريش بعربة فنُسب العرب إليها"[١٢٣] لكنه وضع في الخرائط شمال خليج العقبة جنوب البحر الميت، ولكن ماذا يعني ذلك؟ يعني أن أي مَعْلَمٍ بأرض العرب ورد ذكره في التوراة مما يتعلق بالدين الجديد ونبيِّه قد نقله أهل الكتاب من اليهود إلى موضع آخر بمنأى عنه إمعاناً في الإضلال، وإنكاراً لوجود نبوة بين العرب أو في أرضهم.

....

١٢٣: بطرس البستاني، محيط المحيط (عرب) .

الفصل السادس
بشارة عيسى

إذا كانت كلمة (إنجيل) معَرَّبة عن اللفظة اليونانية εὐαγγέλιον (EVANGILION) بمعنى البشارة أو الخبر السار، فإن تسمية الإنجيل بذلك لم تكن إلا لتضمنه بشارة المسيح بدنو عهد النبي الذي طالما ذكرته الكتب والأنبياء منذ القدم، وما كانت رسالة المسيح إلا لأجل البشارة به ﷺ والتهيئة لقدومه: قال تعالى في القرآن الكريم: (**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**) {الصف/٦}، وفي الإنجيل: (**فَقَالَ لَهُم: إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضًا بِمَلَكُوتِ اللهِ، لأَنِّي لِهذَا قَدْ أُرْسِلْتُ**) { لوقا ٤-٤٣} .

وكانت اللفظة التي وردت وتعني شرعه ودينه ﷺ هي [ملكوت الله] أو [ملكوت السموات] كما مر من قبل ، ولمزيد من التوضيح نعرض لنقطتين:

أولا:

مجيء الملكوت بعد المسيح

لقد كان يحيى بن زكريا عليهما السلام صاحب بشارة نادى بها في أورشليم وهي قرب مجيء الملكوت: (**وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ، قَائِلاً: تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ**) {متى٣-١}، وكذلك لما أُرسل المسيح لبني إسرائيل كان مضمون بشارته نفسَ ما بشر به يحيَى من قبل: (**مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ**) {متى ٤-١٧}، (**وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ**) {متى٤-٢٣}، (**جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا**

وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ) { مرقس ـ١٤ }، **(وَعَلَى أَثَرِ ذلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ)** {لوقا ٨ـ١} .

وبعد ذلك حينما أَرسَلَ المسيحُ حوارييه الاثني عشر أمَرَهم أن يبشروا بما بشر به هو: **(هؤلاء الاِثنَا عَشَرَ أَرسَلَهُم يَسُوع وأَوصَاهُم قَائِلاً : ... اكرِزُوا قَائِلِين: قَد اقتَرَبَ مَلَكُوتُ السَمَواتِ)** {متى١٠ـ٥ : ٧ }، **(وَدَعَا تَلامِيذَهُ الاثنَيْ عَشَرَ ... وَأَرسلَهُم لِيَكرِزُوا بِمَلَكُوتِ الله)** { لوقا ٩ـ ١ : ٢} ، وكذلك حينما اتخذ المسيح سبعين آخرين من التلاميذ وأرسلهم للمدن الأخرى قائلاً: **(قُولُوا لَهُم: قَد اقتَرَبَ مِنكُمْ مَلَكُوتُ الله)** { لوقا ١٠ـ٩}

فيظهر لنا إذن من هذه النصوص أن كلاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين اتفقوا في شيء واحد بشروا به، وهو اقتراب ملكوت الله، فتبين أن ملكوت الله الذي لم يظهر في زمن يحيى لم يظهر كذلك في زمن المسيح ولا الحواريين ولا التلاميذ السبعين من بعده، وهذا يعني أن ملكوت الله كائن بعدهم جميعاً وأنهم كلهم مُترَقّبون له، وفضلاً عن ذلك فإن بني إسرائيل لما طلبوا من المسيح أن يعلمهم الصلاة كان تعليمه إياهم كتعليم يحيى لهم: **(عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضًا تَلاَمِيذَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ...)** { لوقا ٢١ـ١ } .

فأمرهم المسيح أن يدعوا الله بأن يأتي ملكوته، وأيضاً لما كان يزهدهم في ملذات الدنيا ويرغبهم في الأمور الدينية قال لهم: **(اطْلُبُوا أولاً مَلَكُوتَ اللهِ وبِرَّهُ)** {متى٦ـ٣٣ }، وعلى هذا لم يكن الملكوتُ هو المسيحُ كما يُزعَمُ، ولا حتى جاء في زمنه، فلفظ ملكوت الله دال على السيادة الدينية والدنيوية بالنبوة والملك، وهي المملكة التي أخبر عنها دانيال عليه السلام كما سلف، وهي التي ذكرها المسيح لقومه حين قال لهم: **(لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى**

لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ) {متى ٢١-٤٣} ، فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوة محمد ﷺ.

ثانيا :

المسيح ليس خاتم الأنبياء

كان طول ترقب بني إسرائيل للنبي المبشر به منذ القدم دافعاً لهم لأن يتبصروا فيمن يظهر فيهم من الأنبياء، لعلهم يتعرفون هذا النبي فيتبعوه، ولما قام فيهم يحيى بن زكريا نبياً سألوه: (**النبيُّ أنتَ؟ فقال: لا**) { يوحنا ١-٢١ }، فكلمة "النبي" بالتعريف تعني واحداً من الأنبياء محدداً بعينه دون غيره، فمعنى استفسارهم هو: هل أنت النبيُّ الموعودُ المبشَّرُ به؟ فأجاب بالنفي، ولا يُقصد بسؤالهم طبعاً أنهم كانوا يريدون أن يعرفوا إذا كان يوحنا نبياً أم لا وذلك (**لأنهُمْ وَاثقونَ بأنَّ يُوحنَّا نَبِيٌّ**) {لوقا ٢٠-٦} فضلاً عن أن يوحنا لا يمكن أن يتبرأ من النبوة أو ينكر فضل الله عليه بها.

وكان سبب السؤال من اليهود ليحيى ليعرفوا إذا ما كان هو النبي أم لا؛ هو إعظامهم الشديد ليحيى عليه السلام الذي كانوا يتوبون على يديه بتعميده إياهم في مياه نهر الأردن، وقد ذكر المسيح هذه المكانة العظيمة ليحيى حينما قال: (**اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ**) {متى ١١- ١١} .

"فحسب شهادة عيسى لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى ولكن أقل من في مملكة السماء أعظم من يحيى، إن المقارنة هي بين يحيى وجميع الأنبياء في مملكة السماء، وحسب الترتيب الزمني: فإن آخر الأنبياء هو أصغرهم جميعاً، وكلمة (زعورا ܙܥܘܪܐ) الآرامية مثل كلمة (صغير) العربية تعني الصغير أو اليافع، وتستخدم نسخة

Matthew 11:11 Truly, I say to you, among those born of women there has arisen no one greater than John the Baptist. Yet the one who is least in the kingdom of heaven is greater than he.

Matthew 11:11 ܐܡܝܢ ܐܡܪܢܐ ܠܟܘܢ ܕܠܐ ܩܡ ܒܝܠܝܕܝ ܢܫܐ ܕܪܒ ܡܢ ܝܘܚܢܢ ܡܥܡܕܢܐ ܙܥܘܪܐ ܕܝܢ ܒܡܠܟܘܬܐ ܕܫܡܝܐ ܪܒ ܗܘ ܡܢܗ܀

الكتاب المقدس الآرامية (البشيتا) كلمة (زعورا) مقابل كلمة (ربّا) التي تعني الكبير، أو كبير السن، إن محمداً بلا شك هو الأصغر سناً في سلسلة الأنبياء ومع ذلك فهو صفوتهم وسلطانهم وسيدهم" [١٢٤]، فالنبوءة تخص نبينا ﷺ، وبشهادة المسيح هو أعظم من كل الأنبياء.

وكذلك حينما أوتِي عيسى معجزةً بإطعامه خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين فأكلوا وفضل عنهم: (**فلمّا رَأَي الناسُ الآيةَ التِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: هَذا هُوَ بالحقِيقَةِ النبيُّ الآتِي إلى العَالَمِ)** { يوحنا ٦-١٤ } .

فهذا مما يؤكد معرفة بني إسرائيل بأن واحداً من الأنبياء سيبعث إلى الناس كافة (العالم)[١٢٥] إلا أن بني إسرائيل اختلفوا في المسيح لما وقع على يديه من معجزات عظيمة: (**فكَثيرُونَ مِن الجَمعِ لمّا سَمِعُوا هَذَا الكَلامَ قَالُوا: هَذا بالحقيقةِ هُو النبيُّ، آخرُون قالُوا: هَذا هُوَ المَسيحُ)** { يوحنا ٧-٤٠ }.

ويتبين لنا بوضوح في هذا النص أن النبي المبشر به شخص، والمسيح شخص آخر، فهما اثنان متغايران اختلف فيهما بنو إسرائيل، وما دام المذكور في هذه الحوادث التي بالإنجيل معلوم يقيناً أنه المسيح، فليس هو إذن ذلك الشخص الآخر (**النبي المرسل إلى العالم**) وما دام هذا النبي المرسل إلى العالَمِ لَمْ يُرسَل في زمن المسيح فهو آتٍ بعده لا محالة .

*　　*　　*

١٢٤: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص ١١٧ .

١٢٥: المراد بالعالم: كل الناس كما هو مفهوم، وكما يقول علماء النصارى أيضاً: "العالم: اليهود والأمم" (تفسير إنجيل يوحنا، متّى هنري (١٧/٤)، أما صاحب الشبهات فيقول في ص٣٥٢: [المراد بقوله العالم هو الأمة اليهودية] فهو يخالف بذلك ما هو معقول ومنقول، وهو بهذا يهدم أساس عقيدته التي يُزعَم أنها عامة لكل البشر!.

أوضحنا من قبل أن المسيح بيَّن لليهود أن ملكوت الله يُنزع منهم ويُعطى لأمةٍ أُخرَى كما حكموا هم على أنفسهم من خلال المثل: (**قَالُوا لَهُ: أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا، قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ، وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!**) {متى٢١-٤١: ٤٤} فالحجر الذي رفضه البُنَاةُ وصار حجرَ البناءِ الأساسيَّ هو النبي الذي رفضه بنو إسرائيل مع من رفضوا من الأنبياء ونقضوا عهودهم معهم، وكان منها الإيمان به ﷺ واتِّبَاعُهُ، وما فعلوا ذلك إلا لعدم كونه من نسل أسباط إسرائيل، فبين لهم المسيح أن كراهيتهم لانتقال الملكوت منهم وإنكارهم لذلك لا يمنع وقوعه رغما عنهم، وأن النبي المبشر به صار مقدَماً على الأنبياء، ولم يرض اليهود بما قاله لهم المسيح حين قال: (**يَأْتِي وَيُهْلِكُ هؤُلاَءِ الْكَرَّامِينَ وَيُعْطِي الْكَرْمَ لآخَرِينَ، فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: حَاشَا! فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: إِذًا مَا هُوَ هذَا الْمَكْتُوبُ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ**) { لوقا٢٠- ١٦: ١٨} فلما اعترضوا على إخباره بانتقال النبوة والملك إلى غيرهم وقالوا حاشا؛ بين لهم المسيح أن ذلك الأمر كائن ولابد، وهو تفسير ما قالته الأنبياء من قبل [١٢٦] من أن الحجر الذي رفضه البناؤون قد أصبح أهم ركن في البناء وتَتِمَّتُهُ، أي به تُختَمُ النبوّةُ.

فانتقال الملك والنبوة إلى أمة أخرى غير بني إسرائيل، أو كون الحجر الذي رفضه البناؤون الركنَ المتمم للبناء هو في الحقيقة النبي الذي رفضه أهل

١٢٦: كما قال داود في مزمور ١١٨- ٢٢ ، وكما ورد في سفر زكريا ٤-٧ .

الكتاب لكنه صار متمماً للأنبياء وخاتَماً لهم ومقدَماً عليهم، وهو الحجر الذي أخبر عنه دانيال في رؤيا بختنصر، صاحب المملكة الأبدية .

ورغم أن هذا النبي الكريم لم يكن قارئاً ولا كاتباً ولا تعلم علي يد أحد من البشر شيئاً، إلا أنه بين للناس ـ بما علَّمه الله له ـ ولأهل الكتاب أنه هو المرموز له في كتبهم بالحجر، وذلك في مثال ضربه لهم ﷺ، وله روايات عدة نذكر إحداها وهي كافية للإيضاح :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وُضِعت هذه اللبنة ! ـ قال ـ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"** (١٢٧)

ـ ومعنى قوله: **(من سقط على هذا الحجر يترضض)** (أي ينكسر) أن من عاداه وناوأه لا يغلبه أبداً بل يندحر أمامه ، والمراد بأن **(من سقط هو عليه يسحقه)** أي من يقاتله هذا النبي يهلكه الله لا محالة ، فهو إذن غالب لا يُغلَبُ بتثبيت الله له ، وهذا مماثل لنعته ﷺ الوارد في نبوءتي موسى وإشعياء المتقدمتين من أن كل من حاربه وكفر به سيكون مأكلا للنار.

أما عن كلام المسيح الصريح عن النبي الآتي بعده فقد ورد في إنجيل يوحنا حينما قال المسيح للحواريين قبل أن يرحل من بينهم: **(إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصايَايَ وأنا أطلبُ من الآبِ فيُعطيَكُم مُعزِّياً آخرَ ليَمْكُثَ معَكُم إلى الأبَدِ روحُ الحقِ الذِي لا يستطيعُ العَالم أن يقبَلَهُ لأنَّه لا يَراهُ ولا يعرَفُهُ، وأما أنتُمْ فتعرِفونَهُ لأنّهُ مَاكِثٌ معَكُمْ ويَكُونُ فِيكُم)** {يوحنا ١٤ـ ١٥ : ١٨} .

فهنا يطلب المسيح من حوارييه أن يحفظوا وصاياه ويعملوا بها حتى يكون لهم حظ في اتّباع النبي الآتي الذي يدعو المسيح ربه ليرسله إليهم من بعده، وهو المعزي الآخَر، وما دام هناك مُعَزٍّ آخَر، فقد كان قبله من يوصف بالمعزي

أيضاً، وهو المسيح، فالمسيح مُعَزٍّ، وسيأتي بعده معزٍ آخر، أي لأن كلاً منهما نبيٌّ مرسل، ومعنى أنه يطلب من الله إرساله أي يدعوه تعجلاً لبعث هذا النبي من أجل الخير المرتجى منه والذي سيعم البشرية كلها، وهو كدعاء إبراهيم له تعالى ببعثه ﷺ حين قال: (**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [البقرة /١٢٩]، ومُكثُه معهم إلى الأبد معناه أبدية شريعته، إذ لا شريعة ولا نبوة بعده، وشريعته هي التي يتعين العمل بها دون سواها إلى نهاية الدنيا، حتى المسيح نفسه سيعمل بها عند نزوله آخر الزمان فيكون واحدا من أتباع هذا النبي الأخير، فكلام المسيح هنا تأكيد لكلام من سبقه من الأنبياء .

والروح هو الوحي، فهو صاحب الوحي الإلهي الحق، فالوحي بتلك الشريعة باقٍ وماكث إلى الأبد وذلك يوضح معنى أبدية شرعه ﷺ .

وهذا الآتي بعد المسيح لا يستطيع العالم - غير أهل الكتاب - أن يقبله أو يؤمن به دون أن يتردد، وذلك لأنهم لا يَعرِفُونه ولا سَمِعَوا به من قبل، ولأنهم يعتبرون دعوته وشريعته بدعة ما كان عليها آباؤهم الأولون، أما أهل الكتاب الذين يخاطبهم المسيح فيعرفونه جيداً من دون العالم لسابق معرفتهم بصفاته التي قرؤوها في كتبهم ، ولذلك قال لهم: (**وأما أنتم فتعرفونه**)، وكما قال تعالى في القرآن الكريم: (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم**) {البقرة/١٤٦}، وسوف يستوثقون منه لأنه سيمكث معهم ويكون بينهم "فالمكث يكون مستقبلاً أيضاً على معنى يمكث معكم بشريعته ويكون فيكم، وعبر عيسى بصيغة الحال ولم يعبر بصيغة المستقبل ليدل على أن ذلك آتٍ لا ريب فيه" [١٢٨] ، ثم قال لهم المسيح بعد ذلك: (**والكلامُ الذي تسمعونه ليس لي، بل للآبِ الذي أرسَلَنِي، بهذا كَلّمْتُكُم وأنَا عِندَكُم، وأما المُعَزِّي الروحُ القدسُ الذي**

١٢٧: رواه البخاري برقم (٣٥٣٥) ، ومسلم كتاب الفضائل برقم ١٧٩٠ ، ١٧٩١ .

١٢٨: اسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عليه السلام ص ٤١ .

سيرسِلُه الآبُ باسمِي فهو يُعَلِّمُكُم كلَّ شيءٍ ويُذكِّركم بكلِّ ما قلتُه لَكُم) {يوحنا١٤-٢٤} .

وكون الكلام ليس للمسيح لكن للذي أرسله، يعني أن البشارة بهذا المعزي أو النبي الآتي واستدامة شرعه لم يعلنها المسيح مُتقوِّلاً لها من قبل نفسه، وإنما قالها الذي أرسله رسولاً، فالمسيح بهذا الاعتبار مبلغ عن ربه عما سيقع بعده، أما المعزي الذي سيرسله الله للناس بعد المسيح فسوف يعلم الناس كل شيء من أمور الدين والدنيا، وذلك من علم الله الذي أنزله عليه، قال تعالى: (**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**) {البقرة/١٥١}، وقال: (**وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيءٍ**) {النحل/٨٩}، وكانت سنته مبينة للناس النهج الصحيح لكل أمور المعاش والمعاد، ومتى يبعث ذلك النبي سيُذكِّر أهل الكتاب بما قاله لهم المسيح، وذلك لأنهم نسوا حظاً مما ذُكروا به.

وقول المسيح لهم: (**ومتى جَاء المُعَزِّي الذي سأُرسِلُهُ أنا إليكم مِن الآبِ، روحُ الحق الذي مِن عِند الآب ينبثِقُ: فهو يَشهَدُ لِي، وتشهدون أنتُم أيضاً لأنكُم مَعِي مِن الابتداءِ**) {يوحنا١٥-٢٦} يعني أنه حينما يأتي هذا الرسول ويظهر شرعه بنزول الوحي عليه سيشهد للمسيح أنه قد بلغ رسالة ربه وما أمره الله من الدعوةِ إلى التوحيد، واتّباعِهِ شريعةَ من كان قَبلَه، والتبشيرِ بقرب مبعث النبي الذي طال ما أشار إليه الأنبياء السابقون، قال تعالى : (**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**) {الأحزاب٤٥} والمعنى "**شَاهدا على إبلاغ الرُّسُل رِسَالَة رَبهم**" [١٢٩] فالنبي ﷺ يشهد للمسيح كواحد من الرسل أنه أبلغ قومه ما أُرسِل به إليهم.

١٢٩: تفسير السمعاني (٢٩٣/٤) ، وتفسير الخازن (٤٣٠/٣) ، وتفسير البغوي (٦٤٨/٣)، و تفسير ابن عطية (٣٨٩/٤) وغيرها.

وقد شهد القرآن فعلا بذلك: (**وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرِيَمَ يَا بَنِي إسْرَائِيلَ إنِّي رَسُولُ اللهِ إليكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ**) {الصف/٦}، ومعنى (**تشهدون أنتم أيضاً**): أن الأمم سوف تسألكم عن هذا النبي: هل ذكره الأنبياء من قبل وتجدون نعته في كتبكم وبين المسيح اسمه ؟ فتشهدون حينئذ أني قد بلغت وبشرت به، وأنه هو النبي الموعود به، وقد كان بعض العرب أول البعثة يتثبتون من صدق نبوته ﷺ بسؤال أهل الكتاب من اليهود عنه، فيخبرونهم بأنه هو الذي يجدون نعته في التوراة كما أشرنا من قبل.

وقبل أن يُرفع المسيح من بين قومه أخبرهم قائلاً: (**لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ، وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي، وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا، وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ.**) {يوحنا ١٦-٧ : ١١}.

وهنا أوضح المسيح أن مجيء المعزي بعده مرهون برحيله هو، والحق أن هذا النبي الآتي بعد المسيح أفضل منه، لأن المسيح بين لقومه أن ذهابه من بينهم خير لهم من مكثه، لأن ذلك يترتب عليه مجيء المصلحة والفائدة الكبرى بمجيء النبي ﷺ، وإذا ذهب المسيح وانقضت السنون وانقطع الوحي والأنبياء جاء المعزي صاحب الشريعة الأبدية على حين فترة من الرسل، فإذا جاء فإنه يُبَكِّتُ العالمَ.

وهذا التوبيخ والتبكيت للناس بالجواب المسكت يكون على ثلاثة أشياء:

أ ـ على خطية ، وفسرها المسيح بقوله: (**لا يؤمنون بي**) أي لأن بني إسرائيل لا يؤمنون بالمسيح نبياً ورفضوه حتى حاولوا قتله والتخلص منه، ولأن بعضهم غالى فيه وجعله نداً لله ونسبه إليه نسب الولد إلى صلب أبيه، وهذ النبي الذي

نزل عليه القرآن يشهد للمسيح أنه عبد الله ورسوله وأنه أدى رسالته وبلغها إلى بني إسرائيل.

ب ـ على بر ، أي خير، وهو انطلاق المسيح من بين أظهر بني إسرائيل برفع الله له، وكان ذلك خيراً للناس لأنه سيكون سبباً لأن يأتي من بعده المعزي: **(وَلِيُؤْتَى بِالْبِرِّ الأَبَدِيِّ، وَلِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ، وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ)** {دانيال٩ـ٢٥}،أي تنصيب وتكريم أقدس العباد المقدسين الأطهار، وهو محمد ﷺ، وانطلاق المسيح خير له أيضاً مما أراده به اليهود فنجاه تعالى منهم، وإفحامه ﷺ إياهم على البر هو إظهار الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على ثبوت نبوته، وأنه هو النبي المبشر به منذ القدم حتى لا يمكن لأحد إنكار ذلك، ومع ذلك كفروا به عنادا واستكبارا.

ج ـ على دينونة ، لأن رئيس هذا العالم (الشيطان) قد دين ، أي: **(قد صدر عليه الحكم بالدينونة)** [١٣٠] ، فالنبي "سيوبخهم أيضاً لأنه إذا كان الشيطان لم يستطع إخفاء حقيقة هذا النبي ـ وقد أدين الشيطان لتعمده الإخفاء والضلال ـ فأنتم يا من تخفون صدق هذا النبي وتتعمدون الإضلال كان ينبغي أن تعتبروا بإدانة الشيطان فلا تدينوا أنفسكم" [١٣١] ، ولأنه قد افتضحت أساليب غوايته وحذرنا الله منه وبين طرائق غروره وخداعه، ولأن هذا النبي يعرف بنبي الساعة ونبي آخر الزمان: تكون قد أتت نهاية إنظار الشيطان واقترب تنفيذ الدينونة الأبدية فيه وفيمن اتبعه.

وأخيراً قال المسيح لبني إسرائيل: **(إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ، وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ، ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ)** {يوحنا ١٦ـ ١٢ : ١٦} .

١٣٠: الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة) .

١٣١: اسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عليه السلام ص ٢٢ .

أي متى بعث هذا النبي ونزل عليه وحي الحق فهو يهدي الناس إلى الحق والصراط المستقيم ويبين للناس ما نزل إليهم، وكل ما يقوله حق لأنه لا يقوله من تلقاء نفسه، لكنه يسمع من الله ما أوحى إليه به ثم يبلغه للناس، وهذا يعني كون وظيفته رسولاً مبلغاً عن الله، وسوف يخبر الناس أيضاً بأمور آتية، مما يعني أن له نبوءات عديدة مستقبلية، ويكون تحققها علامة على صدقه، (وهذا يوافق ما مر في نبوءة موسى) .

وهو يمجد المسيح لأنه يأخذ مما له من الصفات والحقائق والمواهب التي وهبه الله إياها ثم يخبر الناس بذلك ليبين قدره عند الله، ويخبر بأن المسيح نبي مرسل، وأنه أحد الرسل أولي العزم، وأنه كلمته تعالى ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنه كان صاحب آيات كبرى، من إبراء الأكمهَ، والأبرصَ، وإحياء الموتى، وإحياء الطين الذي شكَّله على هيئة الطير بنفخه فيه، ونطقِهِ في المهد ونبوتِه منذ ذلك الحين، وتعليمِه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ وغير ذلك، وهذا ما للمسيح عند الله من الرتبة والمكانة التي اختصه الله بها ولم يُذكر كله في الإنجيل.

هذا ما أخبر به المسيح عن نبينا الكريم ﷺ ، المشار إليه في إنجيل يوحنا بلفظ: (المُعَزِّي)، وبعد أن بَشّرَ المسيحُ بما أُمِرَ أن يُبشِرَ به؛ ناجَي المولى تعالى قائلاً: (**الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ**) {يوحنا ١٧-٤}، وهكذا أبلغ المسيح الرسالة، وقبل أن يترك قومه قال لهم: (**وها أنا مُرسِلٌ إليكُم مَوعِدَ أَبِي**) {لوقا٢٤-٩} أي ما وعدكم الله به أن يرسله إليكم حتى تؤمنوا به وتتبعوه .



"مَجْدُ هذَا الْبَيْتِ الأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الأَوَّلِ"، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، "وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ"، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ). {حجي٢-٦}

الفصل السابع

اسم النبي ﷺ في التوراة والإنجيل

تختلف ترجمات الإنجيل كثيراً حول كلمة (المعزي) : **PARCLET** أو **Παράκλητος** **(PARACLYTOS)** كما في الأصل اليوناني، أو **(COMFORTER)** كما في نسخة الملك جيمس، فتترجم أحياناً: المؤيِّد أو الوكيل، أو المُعِين كما في الترجمة التفسيرية، أو المحامي **(ADVOCATE)** كما في التراجم الإنجليزية ، أو المدافع: **(DEFENSEUR** و**CONSOLATEUR)** كما في الترجمة الفرنسية، إذ "تتضمن الكلمة التي تُرجمت لفظة المعزي عنها معنى المُحاجِّ أيضاً" [١٣٢] ، وكلها لا تخرج عن كونها صفات لنبي الإسلام، فمعنى المدافع أو المحامي موافق كمرادف لوصف الشفيع، والشفاعة هي المنزلة التي أعطيها رسول الله ﷺ إكراماً من الله له ولأمته وهي المقام المحمود الذي سيرغب الخلق فيه إليه ﷺ راجين رحمة الله عن طريقه، والمعزي أو الراحم هي صفته الوثقى التي لأجلها أرسله الله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ)** {الأنبياء/١٠٧}.

"إن الكلمة اليونانية التي تقابل معنى المعزي ليست **(PARACLYTOS**) بل (**PARAKALON**)، وقد وردت هذه الكلمة الأخيرة في الترجمة السبعينية اليونانية مقابل كلمة مِناحِم מְנַחֵם العبرية التي تعني مُعَزِّي، وهناك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة معزي وهي باريجوريتِس **parygorytys** مشتقة من أنا أعزي" [١٣٣]، وعليه فلفظة باراكليتوس لا تعني المعزي .

١٣٢: قاموس الكتاب المقدس (١٠١/٢) .

١٣٣: عبد الأحد داود : (محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى) ص ١٣٩ .

وإذا كان أهل الإنجيل يقولون إن لفظة **paraclet** أو (**periqlytos**) المقصود بها الروح القدس ليس إلا، فمعنى ذلك أنه يجوز لنا ببساطة أن نحذف من النص لفظ (المعزي) ونُبقِي بدلاً منه لفظ (الروح القدس) ما دام اللفظان مترادفين، ولكن إذا عدنا لعبارة يوحنا ١٤ـ ٢٦ وقرأناها: (**وأما المعزي: الروح القدس الذي سيرسله الآب ..**) لوجدنا اللفظ مكرراً، فيكون المعنى إذن: (وأما الروح القدس: الروح القدس الذي سيرسله الآب ...) وهذا لا يصح**!**، فالواضح هنا أن لفظة الروح القدس أقحمت في النص بعد كلمة المعزي لتفسيرها قهراً بالروح القدس حتى لا ينصرف ذهن القارئ إلى غيرها أو إلى التفكير في معناها الصحيح .

وهم يفسرون كلمة **paraclet** الذي وعد المسيح بإرساله على أنه الروح القدس الذي نزل على التلاميذ يوم الخمسين بعد الصعود، إلا أننا لو عدنا لتلك الوقعة وتفرسنا في تفصيلاتها لوجدنا أن الروح القدس الذي نزل على التلاميذ (أعمال الرسل إصحاح ٢) قام بتغيير ألسنتهم فصاروا يتكلمون بلغات عدة، هذا كل ما في الأمر ولم يحدث شيء مما أخبر به المسيح :

فما مكث الروح معهم إلى الأبد، ولا علمهم كل شيء، ولا حتى شيئاً واحداً، ولا ذكَّرهم بشيء مما قاله لهم المسيح، ولم يشهد للمسيح بشيء، ولا شهد له التلاميذ بشيء أيضاً، ولم تأتِ منه فائدة حتى يكون مجيئه خيراً لهم من ذهاب المسيح، ولم يبكت العالم على دينونة ولا غيرها، ذلك أنه لم يظهر للعالم أصلاً بل للتلاميذ الذين كان عددهم (**نحو مائة وعشرين**) {أعمال ١-١٦} ولم يرشدهم الروح إلى حق ولا إلى باطل، ولم يتكلم بما سمع، ولا تكلم بأمور آتية، ولا مجَّد المسيح بحرف واحد ولا نطق أصلاً، ولم يشهد للتلاميذ بأن عيسى كان بينهم لأنهم لا يحتاجون لمثل هذه الشهادة لأنهم عرفوا المسيح شخصياً وعاش بينهم .

وفضلاً عن ذلك، إذا كان المسيح (الابن) والروح القدس، والآب عند النصارى متساوين في اللاهوت ومتحدين (والكل في واحد) فما الفائدة والخيرية في أن ينطلق المسيح من بين التلاميذ ليرسل إليهم الروح القدس مع أنهما متساويان في اللاهوت بل إن المسيح مقدم على الروح القدس في صلاتهم؟!

بل إن الروح القدس كان معهم ولم يفارقهم أصلا حتى يعود إليهم مرة أخرى، لأن المسيح قبل أن يترك الحواريين جعل الروح القدس معهم: (**فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا، وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ**) {يوحنا٢٠-٢٢}، فكيف يرسله لاحقا وهو لم يزل معهم؟!.

فلفظة المعزي إذن تنصرف إلى غير الروح القدس، إلى إنسان مخلوق يأتي بعد المسيح له شريعة أبدية أوجبَ المسيحُ على أتباعه - كما فعل موسى من قبل - أن يلتزموا بها لأنهم يعرفون صفات من تأتي على يديه، وهو نبي مرسل من الله يعلم الناس ما لم يعلموا (**لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به**)، حتى إن بعض الناس في القرون المسيحية الأولى ادعى أنه نبي وأشار إلى نفسه أنه هو الباراكليت [١٣٤] ، وبذلك "نستطيع أن نستنتج باطمئنان من ادعاء الباراكليت المزيف أن النصارى الأوائل كانوا يتوقعون أن يجيء (روح الحق) على صورة رجل يكون خاتم الأنبياء والرسل" [١٣٥] .

وما دام هذا الباراكليت يتكلم فهو ليس روحاً، لأن "فعل يتحدث هو فعل λαλσήει (**laleo**) باليونانية، ومعناه العام إصدار أصوات وخاصة صوت الكلام، ويتكرر هذا الفعل كثيراً في النص اليوناني وذلك للإشارة إلى التصريح الجليل للمسيح في أثناء تبشيره ، يبدو إذن أن الاتصال بالناس المقصود هنا لا يكمن مطلقاً في إلهام من عمل الروح القدس، إنما هو اتصال ذو طابع مادي

١٣٤: راجع اسم نبي الإسلام ص ٣٠ .

١٣٥: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص ١٤٥ .

واضح وذلك بسبب مفهوم إصدار الصوت، وهو المفهوم المرتبط بالكلمة اليونانية التي تعرِّفه .

الفعلان اليونانيان: λαλσήει- ἀκούσει (laleo و akouo) - أي يسمع ويتكلم - يعنيان فِعلينِ ماديَّيْنِ لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهازٍ للسمع وآخر للكلام، وبالتالي فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن، إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا كما تسلمه لنا المخطوطات اليونانية غير مفهوم بالمرة إذا ما قبلناه في تمامه مع كلمتي: الروح القدس في {١٤-٢٦} وهي: (PARACLET الروح القدس الذي سيرسله الآب) إنها الجملة الوحيدة في إنجيل يوحنا التي تثبت تطابقاً بين ال PARACLET والروح القدس، ولكن إذا حذفنا كلمتي الروح القدس من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح، ويضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً وذلك من خلال نص آخر ليوحنا وهو نص الرسالة الأولى حيث يستخدم نفس هذه الكلمة "PARACLET" للإشارة البسيطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله ، وعندما يقول المسيح حسب إنجيل يوحنا (وأنا أطلب من الآب فيعطيكم PARACLET آخر) فهو يريد بالفعل أن يقول إنه سيرسل إلى البشر وسيطاً آخر كما كان هو وسيطاً لدى الله وفي صالح البشر أثناء حياته على الأرض، ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في الـ PARACLET عند يوحنا كائنا بشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع، إذن فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرَّفه يوحنا، ولنقل باختصار إنه دور نبي يسمع صوت الله ويكرر على البشر رسالته .

ذلك هو التفسير المنطقي لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي، إن وجود كلمتي الروح القدس في النص الذي نملكه اليوم قد يكون نابعاً من إضافة

لاحقة إرادية تماماً تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض - بإعلانها بمجيء نبي بعد المسيح - مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة، التي أرادت أن يكون المسيح هو آخر الأنبياء" (١٣٦) .

"إن الرسالة المحددة التي بعث بها المسيح كانت هداية اليهود وإعادتهم عن ضلالهم وانحرافهم وتصحيح اعتقادهم الخاطئ عن مسيح منحدر من سلالة داود، ولإقناعهم بأن ملكوت الله على الأرض الذي كانوا ينتظرونه لم يكن ليأتي بواسطة مخلص من سلالة داود، ولكن من نسل إسماعيل، واسمه أحمد، وهو الاسم الصحيح المطابق للاسم الذي نصت عليه الأناجيل اليونانية بصيغة يودكسوس (Eudoxos)، وبركليتوس (Periqlytos)، وليس باراكليت (Paraclete) كما شوهته الكنائس" (١٣٧) .

أما لفظ (periqlytos) فبالإضافة إلى تضمنه معنى الدفاع أو الشفاعة أو الإعانة ؛ فإن معناه مرادف لاسم نبي الإسلام ﷺ لأن "كلمة برِكليتوس تعني من الناحية اللغوية البحتة: (الأمجد والأشهر والمستحق للمديح)، وهو اسم مركب من مقطعين : الأول: Παρά (peri) والثاني:κλητος (kleitos) مشتق من التمجيد أو الثناء ويُكتب (periqleitos) أو (periqlytos) مما يعني تماماً اسم أحمد في اللغة العربية، أي أكثر ثناءً وحمداً" (١٣٨) ، "وفي إنجيل يوحنا الذي كُتب باليونانية ورد اسم (باراكليتوس paracletos) وهو صيغة غير معروفة في الأدب الإغريقي ، لكن كلمة (بيريكليتوس periqlytos) هي التي تطابق وتوافق تماماً اسم (أحمد) في معناه ومغزاه، ولابد أنها كانت

١٣٦: موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم الحديث ص ١٢٨- ١٢٩ .
١٣٧: محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى ص ١٠١ .
١٣٨: المصدر السابق ص ١٤٣ .

الترجمة اليونانية الأصلية لكلمة (حِمْدَه) الآرامية كما لفظها عيسى المسيح"[139].

أما الإشارة إلى اسم النبي ﷺ في التوراة فقد ورد في معرض الحديث عن محل بعثته ﷺ وأمارات مجيئه، ولنتبين ذلك من الشاهد التالي :

(هِيَ مَرَّةٌ، بَعْدَ قَلِيلٍ، فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ، وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ، فَأَمْلأُ هذَا الْبَيْتَ مَجْدًا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، مَجْدُ هذَا الْبَيْتِ الأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الأَوَّلِ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ). {حجي٢-٦}

تبين هذه النبوة فُجَاءَةَ مجيء النبي الأخير (بوصفه مشتهى كل الأمم) وذلك بعد علامات محددة عرفها أهل الكتاب جيدا من هذا النص من زلزلة البحر واليابسة، والعجيب أن تلك النبوءة قد تحققت بالفعل عند مولد نبينا ﷺ في أكبر ممالك الأرض حينئذ: الفرس والروم، أي ببلاد فارس وبلاد الشام، كما تَسرِدُ كتب التاريخ والسير؛ ففي "الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، ارْتَجَسَ[140] إِيَوانُ كِسْرَى، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وَخَمِدَتْ نَارُ فَارِسَ، وَلَمْ تَخْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ" [141] فكان ذلك في بلاد فارس!، وكذلك حدث في أرض الروم بالشام كما روى أبو سفيان بن حرب نفسه حين قال: "خرجتُ أنا وأمية بن أبي الصّلت إلى الشام، فمررنا بقرية فيها نصارى، فلما رأوا أمية عظّموه وأكرموه وأرادوه على أن ينطلق معهم، فقال لي أمية: يا أبا سفيان انطلق معي فإنك تمضي إلى رجل قد انتهى إليه علم النصرانية فقلت: لست أنطلق معك. فذهب ورجع وقال: تكتم عليّ ما أحدثك به؟ قال: نعم. قال: حدّثني

١٣٩: المصدر السابق ص ٢٤ .
١٤٠ : أي رجف وتزلزل
١٤١ : تاريخ الطبري (١/ ١٦٦)

هذا الرجل الذي انتهى إليه علم الكتاب: أن نبيّاً مبعوث، فظننت أنني هو، فقال: ليس منكم، هو من أهل مكة. قلت: ما نسبه؟ قال: وسط قومه. وقال لي: إن آية ذلك أن الشام قد رجفت بعد عيسى ثمانين رجفة، وبقيت رجفة يدخل على أهل الشام منها شر ومصيبة: فلما صرنا قريبا من ثنيّة؛ إذا راكب، قلنا: من أين؟ قال: من الشام. قلنا: هل كان من حدث؟ قال: نعم، رجفت الشام رجفة دخل على الشام منها شر ومصيبة" [١٤٢] .

أما عبارة "**ويأتي مشتهى كل الأمم**" نقرأها في النص العبري هكذا: **וּבָאוּ חֶמְדַּת כָּל־הַגּוֹיִם** (أُوقاءُ **حِمْدَتْ** كُل هَاجُويِيم) أي : ويأتي **المحمودُ** من قِبَلِ كل الأمم، أو: ويأتي **من تَحْمَدُهُ** كلُّ الأمم.

ونقرأ ترجمة العبارة في النسخة اليسوعية: "وتأتي **نفائسُ** جميع الأمم"، وفي ترجمة الآباء الدومينيكان: "ويأتي **المُشتهَى** لجميع الأمم"، وفي الترجمة العربية المشتركة: "وأزلزل جميع الأمم فتأتي **كنوزُها**، لتملأ هذا البيت مجدا" وفي هذه الترجمة الأخيرة نجد اللفظ انحرف بعيدا عن اللفظ الأصلي ومعناه، ولو نظرنا في ترجمة الملك جمس لوجدنا اللفظ: (desire)

and the desire of all nations shall come:

ويحمل معنى المصدر (وسوف تأتي رغبة كل الأمم) !

بينما نقرأها في ترجمة الفولجاتا : DESIRED

8 And I will move all nations: AND THE DESIRED OF ALL NATIONS SHALL COME: and I will fill this house with glory: saith the Lord of hosts.

بحروف كبيرة مع اتضاح معنى اسم المفعول (المرغوب من كل الأمم) !!

---

١٤٢ : سبل الهدى والرشاد (١/ ١٣٦)

"فالكلمة (חֶמְדַּת = حِمْدَت) مأخوذة من اللغة العبرية القديمة أو الآرامية وأصلها (حِمْدْ) وتُلفظ بدون التسكين (حِمِدْ) مما يعني في العبرية (الأمنية الكبيرة) أو (المُشتهى) أو ما يتوق إليه المرء، وفي اللغة العربية يأتي الفعل (حَمِدَ) من جذر الكلمة نفسها (ح م د) بمعنى الإطراء والمديح " [١٤٣]، كما يتضح من معجم ألفاظ التوراة [١٤٤] في توضيح معنى لفظ (مَحْمَدْ) إذ يذكر أن معناهُ الشيءُ المرغوبُ أو الشيءُ الثمين المُتَمنَّى:

†מַחְמָד n.m. desire, desirable thing—
abs. מַחְמָד Ho 9[6]; cstr. *id.* 1 K 20[6]+3 t. Ez;
pl. מַחֲמַדִּים Ct 5[16]; cstr. מַחֲמַדֵּי La 2[4] Ho 9[16];
sf. מַחֲמַדַּי Jo 4[5]; מַחֲמַדֵּינוּ Is 64[10]; מַחֲמַדֶּיהָ 2 Ch
36[19] La 1[10]; מַחֲמַדֵּיהֶם La 1[11] Qr (v. also מַחְמֹד);
—*desirable, precious things* כְּלֵי־מ׳ 2 Ch 36[19]; sg.

وكأن الوصف لشيء محبوب من غير العاقل كالذهب أو المال مثلا وليس للإنسان، رغم أن نفس اللفظ وارد للدلالة على الثناء والمدح سواء للعاقل أو غيره، كما في الترجمة بين السطور لسفر الخروج (٢٠ : ١٧) مثلا :

לֹא תַחְמֹד בֵּית רֵעֶךָ לֹא־תַחְמֹד אֵשֶׁת רֵעֶךָ
لا تَشْتَهِ بَيتَ صاحبكَ لا تَشْتَهِ امرأةَ صاحبكَ

أي : لا تُثْنِ عليها أو تمتدحْها كأنك تتمناها لنفسك، فدل هذا الوصف على أن الـمُتَمَنَّي المرغوب المُمْتَدَح قد يكون إنسانا أو غير إنسان.

فالذي ترجوه كل الأمم وتثني عليه وتصلي عليه كل حين، هو النبي الذي كان ينتظره مَن كان مِن أصحاب الديانات السماوية السالفة بعدما عرفوه من

١٤٣: محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص ٢٣ .

١٤٤ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Francis Brown, Boston and New York 1907 (page 326)

كُتُبِهِ كأبنائهم، بل وينتظره كل بني آدم، إذ ليس لهم إيمان صحيح إلا من جهته، ولا نجاة دون اتباعه، والخلق كلهم منتظرون شفاعته يوم الحساب، وهو صاحب المقام المحمود ﷺ.

أما صفته التي تميز بها من دون الأنبياء ووردت في القرآن فهي كونه أميا **(الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ)** {الأعراف/١٥٧} وهذه الصفة تتضمن معنيين:

الأول : أنه لا يقرأ ولا يكتب، وإنما يتلقى الوحي سماعا ويبلغه كلاما، وقد مرت علينا الشواهد التي بينت ذلك كما في نبوءة موسى .

الثاني: أنه مرسل للأمم كلها، ولذلك نسب إليها، ولكن النسب في اللغة العربية لا يكون للجمع، فلا يُنسب للأمم ويقال: أُمَمِيّ، بل يُصاغ الاسم المنسوب للفظ المفرد أي لكلمة (أمة) ، فيكون النسب إليها بلفظ (أميّ) أي خاص بكل الأمم ومرسل إليها، فهذه اللفظة تفيد المعنيين إذن: أنه ﷺ لا يقرأ ولا يكتب، وأنه رسول كل الأمم، وذلك يتطابق مع ما ذكرته النبوءات السابقة عن إرسال نبي لكل الأمم والشعوب، وهاتان الصفتان ليستا لأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ .

فهذا من العلم الذي درسه أهل الكتاب درسا حتى عرفوه ﷺ كأبنائهم، وأختم هذا الباب بما حكاه الشيخ عبد الوهاب النجار في مناقشته للمستشرق الإيطالي الشهير كارلونالينو قائلاً: "قلتُ له وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة: ما معنى بيريكليتوس؟ فأجابني بقوله: إن القُسُس يقولون إن هذه الكلمة معناها المعزي، فقلتُ أنا أسأل الدكتور كارلو نالينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولستُ أسأل قسيساً، فقال: إن معناها: الذي له حمد كثير، فقلتُ: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من

حَمِدَ؟ فقال: نعم ، فقلتُ: إن رسول الله ﷺ من أسمائه أحمد، فقال: يا أخي أنت تحفظ كثيراً، ثم افترقنا" [١٤٥] .

بهذا الإيجاز نكون قد أوضحنا قدر المستطاع اسم خاتم الأنبياء في الكتاب المقدس، وسيظل هذا الاسم مُصَدِّقاً للمسيح في بشارته في الإنجيل والقرآن برسولنا الكريم ﷺ ، ولنشرع الآن في بيان الإشارات والنعوت لمحل الرسالة الأقدس الذي ألمحنا من قبل إلى أنه في فاران .

١٤٥: قصص الأنبياء للدكتور عبد الوهاب النجار ص ٤٧٣ .

الباب الرابع

مبعث الرسالة

الفصل الأول

رفض المدينة قاتلة الأنبياء

عندما اختار الله شعب إسرائيل، وأنزل عليهم شريعة التوراة التي كان فيها هدى ونور لهم، وأرسل إليهم أنبياء من بينهم، ما كان ذلك إلا لما أراده تعالى من التفضلِ عليهم وإكرامِهم من دون شعوب الأرض، وتوريثِهم الأرض ليسكنوا فيها آمنين بعد طول مذلة، وجعلِهم أهلَ الشريعة وعلماءَها، إلا أنهم نقضوا العهود وفعلوا كل ما يستلزم رفضَ الله لهم ولعْنَهم، لكن كان لابد أن يسبق ذلك إنذار وإنذار حتى لا يكون لأحد منهم عذر متى أنزل الله بهم النكال والعقاب: (**وَلكِنْ إِنِ انْقَلَبْتُمْ وَتَرَكْتُمْ فَرَائِضِي وَوَصَايَايَ الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، وَذَهَبْتُمْ وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً أُخْرَى وَسَجَدْتُمْ لَهَا، فَإِنِّي أَقْلَعُهُمْ مِنْ أَرْضِي الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَهذَا الْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لاسْمِي أَطْرَحُهُ مِنْ أَمَامِي وَأَجْعَلُهُ مَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ**) {٢ أخ ٧- ١٩} .

ولكن لما خالف أصحابُ الشريعةِ شريعتَهُم في قلبِ مدينتِهم؛ استجلبوا غضب قدوس إسرائيل عليهم: (**وَتَرَكُوا بَيْتَ الرَّبِّ إِلهِ آبَائِهِمْ وَعَبَدُوا السَّوَارِيَ وَالأَصْنَامَ، فَكَانَ غَضَبٌ عَلَى يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ لأَجْلِ إِثْمِهِمْ هذَا**) {٢أخ٢٤-١٨}، لكن الله تعالى صبور حليم لم يَعْجَلْ بالعقوبة، ويكرر تحذيره لأهل مدينة هيكل الرب: (**تَأَدَّبِي يَا أُورُشَلِيمُ لِئَلاَّ تَجْفُوَكِ نَفْسِي. لِئَلاَّ أَجْعَلَكِ خَرَابًا، أَرْضًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ**) {إرميا ٦-٨} ، لكن دون جدوى، فكان منهم ما رأينا بعضه في الفصل الأول من رفضِ الرسلِ والشريعةِ، ورفضِ مُنزِلها عليهم، وحيادهم عن الرشاد، وارتكابهم ما نُهوا عنه، فرفَضَهم الرب ولَعَنَهم بكل أسباطهم، ليس هذا فقط، بل قد عمَّ غضبُه تعالى الأرضَ التي اختارها لهم إذ آوَتْ كلَّ فُحشٍ وفَاحشٍ، فرفضها من أمامه :

- **(فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي أَنْزِعُ يَهُوذَا أَيْضًا مِنْ أَمَامِي كَمَا نَزَعْتُ إِسْرَائِيلَ، وَأَرْفُضُ هذِهِ الْمَدِينَةَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا: أُورُشَلِيمَ، وَالْبَيْتَ الَّذِي قُلْتُ يَكُونُ اسْمِي فِيهِ)** {٢مل٢٣ - ٢٧} .

- **(قَدْ تَرَكْتُ بَيْتِي. رَفَضْتُ مِيرَاثِي. دَفَعْتُ حَبِيبَةَ نَفْسِي لِيَدِ أَعْدَائِهَا. [٨]صَارَ لِي مِيرَاثِي كَأَسَدٍ فِي الْوَعْرِ. نَطَقَ عَلَيَّ بِصَوْتِهِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَبْغَضْتُهُ)** {إرميا١٢- ٧} .

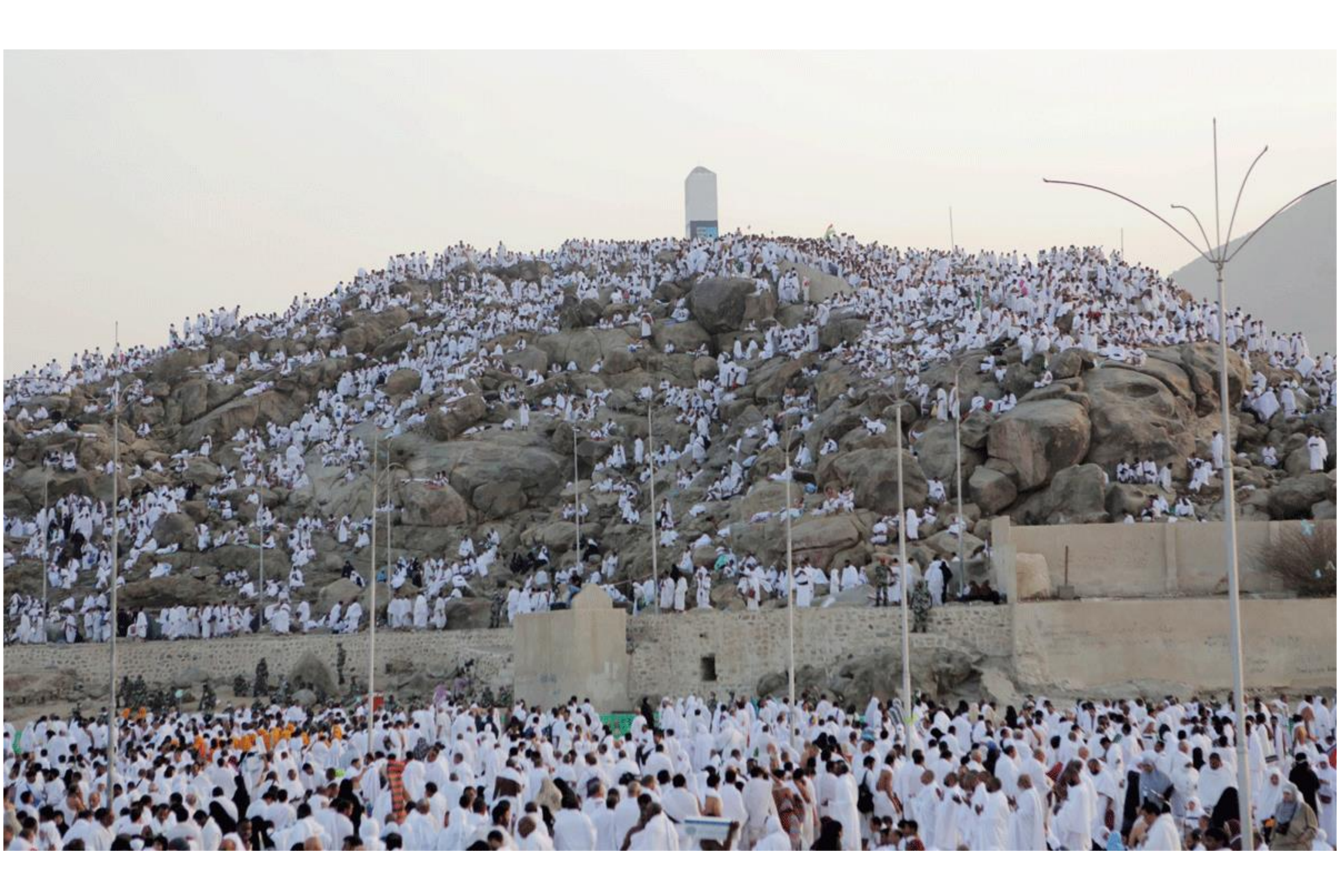
وهذا الرفض للأرض التي سكنها بنو إسرائيل وقدسها لهم الرب من قبل يتأكد مراراً:

- **(وَيَعْبُرُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ، وَيَقُولُونَ الْوَاحِدُ لِصَاحِبِهِ: لِمَاذَا فَعَلَ الرَّبُّ مِثْلَ هذَا لِهذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِهِمْ وَسَجَدُوا لآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدُوهَا)** {إرميا ٢٢ - ٨} .

- **(لِذلِكَ هأَنَذَا أَنْسَاكُمْ نِسْيَانًا، وَأَرْفُضُكُمْ مِنْ أَمَامِ وَجْهِي، أَنْتُمْ وَالْمَدِينَةَ الَّتِي أَعْطَيْتُكُمْ وَآبَاءَكُمْ إِيَّاهَا، وَأَجْعَلُ عَلَيْكُمْ عَارًا أَبَدِيًّا وَخِزْيًا أَبَدِيًّا لاَ يُنْسَى)** {إرميا٢٣ - ٣٩} .

وحتى حينما أُرسِل إليهم النبي حِزقيال لم يغيروا ما بأنفسهم؛ فلم يغير الله ما بهم ولا ما توعدهم به: (**هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هذِهِ أُورُشَلِيمُ، فِي وَسْطِ الشُّعُوبِ قَدْ أَقَمْتُهَا وَحَوَالَيْهَا الأَرَاضِي، فَخَالَفَتْ أَحْكَامِي بِأَشَرَّ مِنَ الأُمَمِ، لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا إِنِّي أَنَا أَيْضًا عَلَيْكِ ...، وَأَجْعَلُكِ خَرَابًا وَعَارًا بَيْنَ الأُمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكِ أَمَامَ عَيْنَيْ كُلِّ عَابِرٍ، فَتَكُونِينَ عَارًا وَلَعْنَةً وَتَأْدِيبًا وَدَهَشًا لِلأُمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكِ)** {حز ٥- ٥ ، ٨ ، ١٤}. ويكتظ الإصحاح ١٦ ببيان كل ما قضى به الرب من خراب ورفض للمدينة التي كانت فيما مضى مدينة سلام لهم، فتأكد لنا من كل ذلك أن الله كما رفض شعب إسرائيل رفض كذلك المدينة التي كان قد اختارها قدسا لهم، وذلك حينما تنجست بأفعالهم: (**وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ تَدِينُ، هَلْ تَدِينُ مَدِينَةَ الدِّمَاءِ؟ فَعَرِّفْهَا كُلَّ رَجَاسَاتِهَا، وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ:**

أَيَّتُهَا الْمَدِينَةُ السَّافِكَةُ الدَّمِ فِي وَسْطِهَا لِيَأْتِيَ وَقْتُهَا، الصَّانِعَةُ أَصْنَامًا لِنَفْسِهَا لِتَتَنَجَّسَ بِهَا، قَدْ أَثِمْتِ بِدَمِكِ الَّذِي سَفَكْتِ، وَنَجَّسْتِ نَفْسَكِ بِأَصْنَامِكِ الَّتِي عَمِلْتِ، وَقَرَّبْتِ أَيَّامَكِ وَبَلَغْتِ سِنِيكِ، فَلِذلِكَ جَعَلْتُكِ عَارًا لِلأُمَمِ، وَسُخْرَةً لِجَمِيعِ الأَرَاضِي) {حز ٢٢- ٢ : ٤} وهكذا انتهت أفضلية أورشليم المؤقتة على غيرها من المدن ، ولكن ماذا بعد ؟



وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ شُعُوبٌ، وَتَسِيرُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ وَيَقُولُونَ: هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ.

{إشعياء ٢/٢}

الفصل الثاني :

بيت الله في التوراة :

لما كان الملكوت قد نُزع من شعب إسرائيل كما عرفنا وورثته أمة أخرى غير بني إسرائيل؛ كان لزاماً أن تكون هذه الأمة ونبيُّها من خارج الأرض التي كان بنو إسرائيل قد استوطنوها، وذلك بعدما غضب الله عليها وعمَّها بالعقاب والرفض كما تبين، ولَزِمَ أن يكون لهذه الأمةِ الأخيرة ونبيِّها أرضُها المقدسةُ الجديدةُ حيث تظهر النبوة وتنزل الشريعة الخاتمة للشرائع، لتتميز الأمةُ الجديدةُ، ويتميز نبيُها وتتميز أرضُها المقدسة عن غيرها، وقد أومِئ إلى ذلك في بعض نبوءات إشعياء: (**وَتُخْلِفُونَ اسْمَكُمْ لَعْنَةً لِمُخْتَارِيَّ، فَيُمِيتُكَ السَّيِّدُ الرَّبُّ وَيُسَمِّي عَبِيدَهُ اسْمًا آخَرَ ... لأَنِّي هأَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، فَلاَ تُذْكَرُ الأُولَى وَلاَ تَخْطُرُ عَلَى بَال**) {إش٦٥ – ١٥ ، ١٧} والسماء والأرض الجديدتان هما البقعة المطهرة التي خصت بأكرم الأنبياء وأكرم الشرائع وآخرها، ومعنى أن الله سيخلقها أي سيظهر قداستها على ما عداها فيما بعد حينما تظهر فيها النبوة والشريعة، والأرض الأولى التي لا تُذكر ولا تَخطُرُ على بال هي أورشليم محل هيكلهم المقدس، وفي ذلك إشارة إلى أن هيكلهم سيزول وينتهي ولا يعود له وجود، وهو ما حدث بعد ذلك عندما هُدم الهيكل أكثر من مرة إلى أن انتهى أمره سنة ٧٠ م كما رأينا ولم تقم له قائمة إلى الآن ولن تقوم، مصداقا لقول المسيح: (**اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ**) {متى٢٤ -٢}!.

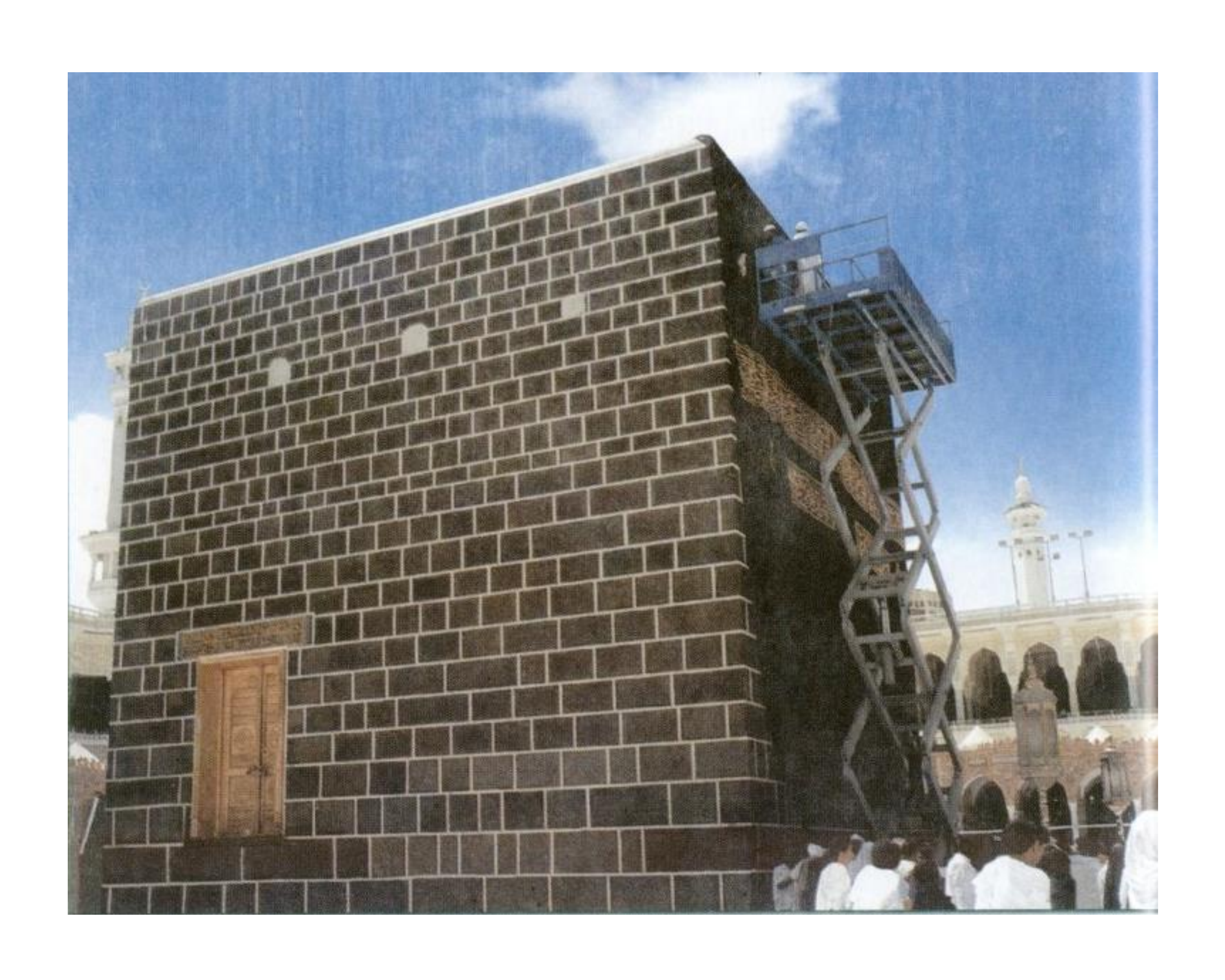
فحين يأتي الرسول المرسل لكل الأمم ويَظهر نورُ شريعته ويصير البيت قبلة للناس من كل الأمم ؛ سيمتلئ هذا البيت الأخير مجداً وجلالاً أعظم من مجد البيت الأول، وهذا يعني صراحة التمييز بين بيتين مختلفين للرب، وأن مجد الأخير منهما سيكون أعظم مما كان لأولهما أيام كان موجوداً (أعني هيكل

سليمان)، وفي مكان البيت الأخير سيعطي اللهُ السلامَ (بالتعريف) أي التام الدائم وذلك لأنه حرم آمن، فهي أورشليم جديدة، أي مدينة سلام جديدة لكل الأمم سوى تلك التي تقدست لبني إسرائيل خاصة !

وكون الشعوب على اختلافها تذهب لأورشليم الجديدة يؤكد وجودَها في أرض غير التي استوطنها بنو إسرائيل، ومغايرتَها لأورشليم الأولى التي كانت عاصمة مملكة يهوذا، لأنها اختصت بأصحاب ناموس موسى دون غيرهم من الأمم كما علمنا من قبل، وذلك الوصف قريب أيضاً من الوصف الوارد في سفر ميخا {٤-١}: (**وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ شُعُوبٌ، وَتَسِيرُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ وَيَقُولُونَ: هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، وَإِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ، وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ، لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ، فَيَقْضِي بَيْنَ شُعُوبٍ كَثِيرِينَ**)، فالشريعة أو كلمة الرب التي تقضي بين شعوب هي شريعة عامة لكل بني آدم، وليست ناموس موسى الخاص بشعب إسرائيل، ومعنى **آخر الأيام** آخر الدنيا عند ظهور آخر الأنبياء للأمة الأخيرة التي تضم المؤمنين من كل الشعوب، وجبل الرب يرتفع فوق التلال والجبال بقدره لا بالقياس بالأمتار، ويجري الناس إليه من مختلف الشعوب، وهو الذي يجتمعون عليه لإقامة الركن الأكبر لحج بيت الرب، وهو جبل عرفة، وبيت الرب هذا هو الذي تحج إليه الأمم، وهو بيت إله يعقوب وكل الناس وليس بيت (نسل يعقوب) الخاص! .

وكون الشعوب تجتمع إلى هذا الجبل والبيت وكونها تتعلم من طرق الرب يدل على أنه يراد به دين جديد شامل لكل البشر غير دين اليهود، لأنه لم يجُز لهم الاختلاط بالشعوب الأخرى وإلا كان ذلك مجلبةً للعقوبات عليهم كما رأينا من قبل، لكن هنا تتساوي جميعُ الشعوب والأجناس، فهو إذن شرع جديد على يد نبي جديد، لأن شريعة التوراة لم تنزل لكل الشعوب ولم تُسَوِّ بينهم، ولأنه لم

يُرسل للأمم مجتمعةً نبيٌ واحد قبل ذلك أصلا، فرسالات الرسل قُصرت على أقوامهم حتى زمن المسيح، وفضلاً عن ذلك؛ فمن زمن تلك النبوءة إلى الآن لم تأتِ شعوب إلى أورشليم، ولا صعدت جبل صهيون المعهود، ولا ذهبت إلى بيت الرب الذي لم يعد له وجود أصلاً منذ حوالي ألفي عام، ثم أي شريعة هي التي تخرج من صهيون وكلمة الرب التي من أورشليم؟! فشريعة التوراة نزلت على موسى بجنوب سيناء على جبل حوريب (الطُّور) ثم انتشرت مع بني إسرائيل ببلاد الشام وتحديداً بفلسطين دون وجود أية رابطة بينها وبين جبل صهيون، ورغم أن هذه النبوءة وردت على لسان إشعياء {٢-٢} وبنفس الألفاظ ووردت كذلك على لسان ميخا إلا أنها ما تحققت في زمنهما (ق:٧ ق.م، فقد كانا معاصرين لبعضهما) ولا نزلت شريعة جديدة، ولا دام الهيكل على حاله، أما الشريعة الجديدة الخاتمة المبشَّر بها فهي التي خرجت بالفعل من الموضع الذي يُرمَزُ إليه في التوراة بصهيون !!



أَيَّتُهَا الذَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ غَيْرُ الْمُتَعَزِّيَةِ، هأَنَذَا أَبْنِي بِالأُثْمُدِ حِجَارَتَكِ،) {إشعياء:٥٤}

الباب الخامس

مكة في التوراة

بين التلميح والتصريح

الفصل الأول:

منزِل الشريعة الجديدة

"صهيون" اسم يُطلق على جبل بمدينة يَبُوس (أورشليم) التي هي مدينة اليبوسيين (الفلسطينيين) السكان الأصليين لها، وهي المدينة التي دخلها النبي داود وانتزعها منهم: (**وَذَهَبَ الْمَلِكُ وَرِجَالُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانِ الأَرْضِ... وَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ... وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَسَمَّاهُ مَدِينَةَ دَاوُدَ**) {٢صم ٥- ٦ ، ٩} .

فاسم صهيون اسم قديم، سمي به جبلٌ ما قبل انتزاع بني إسرائيل للمدينة من أيدى الفلسطينيين ومُكثهم بها، وقبل أن يبدأ داود بناء الهيكل بها، فكلمة صهيون إذاً ليست ذات دلالة أصيلة على الهوية اليهودية .

ولفظ صهيون (צִיּוֹן) لا يُقصر إطلاقه على الجبل الذي أقام عليه داود حصناً حربياً لا علاقة له ببناء مقدس أو هيكل بني في موضع آخر بقدر ما يُعتَبَرُ مفهومُ اللفظ ومعناه الذي قد يطلق على غيره من المواضع أو الجبال.

ومعنى لفظة صهيون لغويا حسب معاجم الكتاب المقدس كما نرى [١٤٦]: **المكان المشمس أو الجبل المشمس، أو الجفاف أو الأرض القاحلة**.

צִיּוֹן (sunny place, sunny mount,

צָיוֹן n.[m.] dryness, parched ground

وإذا تمعَّنَّا أكثر في المعنى وجدنا أن معنى "صهيون: الجبل المُشمِس أو الجاف، وفي الأسفار الأخيرة لا يراد به الجبل الخاص فقط بل يراد به أحياناً كل أورشليم، وأحياناً أخرى: مدينة الله المختارة، وأخرى: الكنيسة، وقد يراد به

١٤٦ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, 1882 (page 891) + The Brown Driver Briggs , Hebrew And English Lexicon (page 851)

أحياناً المدينة السماوية، فلذلك جرى الاصطلاح الآن بأن يُراد بصهيون: ما يتأمله شعب الله من الحماية والصيانة في خدمة الله " (١٤٧) .

وهذا التعريف الخطير يفرق كما نرى بين أورشليم وبين مدينة الله المختارة رغم إطلاق لفظ صهيون عليهما! وبما أن سفر (ميخا) من الأسفار الأخيرة فإن صهيون بناءً على التعريف السابق تعني إذن المدينة المختارة وليست أورشليم التي بُنِيَ بها هيكلُ سليمان.

وإذا كان معنى (فاران): موضع المغائر، ومعنى (صهيون): الجبل المشمس أو الجاف؛ فهذا إيضاح لصفات مَهْبِطِ الوحي الجديد، وهو أنه في قلب صحراء مكة القاحلة، بجبالها الصخرية الجافة، في مكان غير معهود لبني إسرائيل على مر تاريخهم، وقد سُمِّيَ ذلك الجبلُ الذي نزل فيه الوحي بالقرآن على النبي ﷺ في غار حراء بمكة: بجبلَ النور!

فمكة هي المدينة المختارة التي تخرج منها الشريعة الخاتمة والنبي المبشر به منذ القدم، حيث يُدعى كل الأمم ليذهبوا إليها حاجين ومعتمرين، وهي حسب التعريف السابق أيضاً المدينة التي تجد فيها الأممُ الحمايةَ والصونَ، لأن الله جعلها حرما وحصناً آمنا لكل لائذ وعائذ {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**} [الْعَنْكَبُوتِ: ٦٧] ، فهي الجديرة بأن تُسمَّى مدينة السلام دون أورشليم التي لم يكن حظها كاسمها، "فمن سُخرِياتِ التاريخ أن مدينةً لم تَرَ إلا القليل من السلام عبر تاريخها الطويل والتي من أجل الاستيلاء عليها أريقت أنهار من الدماء؛ يمكن أن يكون لاسمها مثل هذا المعنى"[١٤٨]

فليس من الشَّطَطِ إذن القول بأن (صهيون) هو وصف للأرض التي تخرج منها الشريعة في هذه النبوءة، ويُقصد بها مكة بجبالها المقدسة، والشواهد في التوراة توضح ذلك، ولنتفحص نعوت المدينة المختارة التي يخرج منها النور

١٤٧: قاموس الكتاب المقدس (٢٤/٢) .
١٤٨: دائرة المعارف الكتابية (٥١٢/١)

للأمم وتحجها الشعوب، وفي سبيل إيضاح ذلك سوف ننقل بعض الإصحاحات بطولها ليتضح لنا المعنى من خلال السياق، وأول ما ننقله بعض ما ورد في سفر إشعياء :

(تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ، أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ، أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ، وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ، لاَ تُمْسِكِي، أَطِيلِي أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِي أَوْتَادَكِ، لأَنَّكِ تَمْتَدِّينَ إِلَى الْيَمِينِ وَإِلَى الْيَسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكِ أُمَمًا، وَيُعْمِرُ مُدُنًا خَرِبَةً، لاَ تَخَافِي لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ، فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْيَ صِبَاكِ، وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ، لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى، لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ، وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلهُكِ، لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ، وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ، بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ، لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِي، كَمَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ، فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ، وَعَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ، قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ.

أَيَّتُهَا الذَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ غَيْرُ الْمُتَعَزِّيَةِ، هأَنَذَا أَبْنِي بِالأُثْمُدِ حِجَارَتَكِ، وَبِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ أُؤَسِّسُكِ، وَأَجْعَلُ شُرُفَكِ يَاقُوتًا، وَأَبْوَابَكِ حِجَارَةً بَهْرَمَانِيَّةً، وَكُلَّ تُخُومِكِ حِجَارَةً كَرِيمَةً، وَكُلَّ بَنِيكِ تَلاَمِيذَ الرَّبِّ، وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا، بِالْبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلاَ تَخَافِينَ، وَعَنِ الارْتِعَابِ فَلاَ يَدْنُو مِنْكِ) {إشعياء:٥٤}

العاقر التي لم تلد في هذه النبوءة هي القرية التي لم يبعث منها رسول لأهلها ومَن حولَهُم من قبل: **(وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ)** {سبأ/٤٤}، أما المستوحِشَة، كما في الأصل العبري: שׁוֹמֵמָה: شومًّا، (مؤنث שׁוֹמֵם: شوم،

أي مَهجُور وَحِيد فَرِيد مُنْعَزِل)[149] هي هاجر التي تركها إبراهيم وحيدةً فصار أبناؤها أكثر من أبناء سارة ذات البعل، إذ لم يَتْرُكهَا إبراهيمُ كما هَجَرَ (هاجرَ) التي معني اسمها أصلا "المهاجِرة" كما يظهر في معجم Lexicon; : **"ودُعِيَتْ بذلك الاسم إذ فرَّتْ من سيدتها"**

הָגָר (flight) pr. n. *Hagar*, the handmaid of Sarah, of Egyptian birth, the mother of Ishmael; so called as having *fled* from her mistress. Gen. 16, 1. 25,

فمعنى النبوءة: أن الله يبشر تلك الأرض المقدسة بمكة التي لم يخرج منها نبي حتى زمن نبوءة إشعياء هذه ولا أكرمها تعالى بنور وحيه ؛ بأن أبناءها وأتباعها المؤمنين الذين يكرمونها ويعمرونها من بني إسماعيل بن هاجر أكثر من بني إسرائيل الذين عمروا أورشليم.

وذلك مدعاة لأن تترنم أرض مكة بالوحي الجديد، وتفرح فرحاً إذ أعزها الله بشعبٍ مؤمنٍ أعظم من شعبِ إسرائيلَ وأكثر، وهذا يوافق ما ورد في إشعياء {٤٨ـ ١٨} وقد سبق بيانُه.

ثم بينت النبوءةُ جلالَ بيت الله وعظمته التي سوف تكون، واتساعَ بناء الحرم حوله على مر القرون، وكثرة الساكنين جِوارَه والآتين إليه معظمين إياه، مُكَنِّيةً عن ذلك بإطالة الأطناب وتثبيت الأوتاد، وامتدادُها من اليمين إلى الشمال يعني امتدادَ رُقعتِها عُمرانِياً، وامتدادَ سلطانها على المؤمنين من جميع الشعوب الذين يُصَلُّون نحوها، ويرث نسلُها ـ أي أبناؤها المؤمنون ـ أمماً، وهو ميراث الملكوت الذي سبق ذكره، ويعمر نسلُها مدناً كثيرة بأنحاء الأرض بعدما خربت من التوحيد والدين القويم، وعمرانها: بالعبادة فيها ونشر الدين، وصدق الله القائل: (**الذِيَن إنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَـهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأمُور**) {الحج/٤١}.

---

١٤٩ : قاموس سجيف (ص١٧٥٢).

ثم ينفي اللهُ عنها كلَّ خوفٍ وخجلٍ، لأنه لا خِزيَ لها ولا عارَ لعدم إكرامها - إلى زمن نبوءة إشعياء هذه - بإظهارِ شرفها على كل البقاع وعدمِ صلته لها بالنبوة، وذلك لأن لها بشارةً بفرحٍ عاجلٍ، إذ سوف يزول خزيُ صباها (هجرها في زمنها الأول) لأن سيدها هو خالقها عز وجل، فهو وإن كان رب بني إسرائيل المكرم لهم ولأرضهم بالنبوات والوحي الإلهي، فهو حِينَئِذٍ سيُدعَى رب كل الأرض، (رب العالمين)، وسيجعل لغير أرض إسرائيل نبوة عظمى، وتنزّلات بالوحي الأبدي حتى لا تخزى هذه الأرض بهجرها سابقاً، فهذه الأرض الحزينة هجَرَهَا سيدُها زمناً مديداً إلا أنه زمن قليل كَلُحَيظَةٍ قصيرة إذا ما قورن بالمجدِ والجلالِ والبهاءِ الذي جعله الله لها حتى آخر الدنيا، والمراحمِ العظيمة التي سينزلها عليها، ويجمع بها أهلَها حواليها إلى الأبد.

ومن إكرامه تعالى لها قبل ذلك أنه حجبَ غضبه عنها، أي حجبَ عنها الجوائح التي أنزلها على سائر الأرض بعصيان أهلها وكفرهم واستأصلهم بها، فلم يكن على هذه الأرض المقدسة سخطٌ ولا نِقَمٌ مما حلَّ بغيرها. فلا هلاك بخسف ولا مسخ ولا قذف ولا صاعقة ولا غيرها مما يستجلبه غضب الله، فحرم الله آمِنٌ مِنَ الجوائحِ وما يُسمَّى بالكوارث الطبيعية، واحتجابه تعالى عنها كان لزمان يسير، لكنْ لها الرحمةُ والإحسانُ الأبديّ إلى آخر عمر الدنيا، حتى أنه لا يكون خراب الدنيا إلا عُقَيب خراب البيت الحرام على يد ذي السويقتين الإثيوبيّ! .

وكما أقسم تعالى ألا يغمر الأرضَ طُوفانٌ كطُوفانِ نوحٍ؛ أقسم ألا يكون عليها مِنْهُ غضبٌ ولا انتهارٌ ولا زجرٌ مما كان على المدينة قاتلة الأنبياء التي سلَّطَ اللهُ عليها من يُخرِبُها بذنوب أهلها كما أسلفنا، ولن يزول عنها إحسانُ الرب ولا عهدُ سلامه مما يوضح أنها أرضُ سلامٍ وحرمٌ آمِنٌ أبداً .

ويصفها الرب **بالكسيرة غير المتعزية**، حيث لم يكن في هذه الأرض نبوة من أيام إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى أن يأتي زَمَنُ مَنْ يُعزِّيها ويُزيلُ وَحْشَتَها، وبعد ذلك نجد بيان الله للناس بما يُظهِرُ لها من الإكرام قبيل ظهور

المُعزِّي بها وهو قوله: (**هأنذا أبني بالإثمِد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شُرَفكِ ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكلَّ تُخُومَكِ حِجارةً كَرِيمةً**) وهذا الوصف من أجلى الصفات لبناء البيت الحرام، فالإثمد هو حَجَرُ الكُحل الأسودِ المعروف، وذلك يشير بجلاء إلى حجارة الكعبة السوداء التي بُنيت بها، وهي غنية عن الشهرة لأن كل الخلق رأَوها، وليس في الدنيا بيت مقدس بهذه الصفة غير الكعبة.

أما تأسيسها بالياقوت الأزرق فهو توضيح صريح أيضاً لهيئة أساس الكعبة الذي بنيت عليه ورآه من ولي بناءها من العرب قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات حينما أرادت قريش إعادة بناء الكعبة فنقضوا حجارتها "حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس ـ أساس إبراهيم عليه السلام ـ أفضَوْا إلى حجارة خُضر كالأسِنَّة آخذٌ بعضها بعضاً" [١٥٠] "وتَشْبيهُهَا بالأسنة لا يُشبَّه إلا في الزُرقة" [*] !.

وهذا من دقائق وصف التوراة لبناء قِبلَةِ الأمم مَبْعثِ النبيّ الأخير كما عرف أهل الكتاب ذلك تمام المعرفة.

وسوف يجعل الله كل أبنائها المسلمين تلاميذَ له، أي عالمين بشريعته وأحكامها ملتزمين بها، وسيجعل سلامهم وأمنهم كثيراً، ويثبّت الخير في هذه الأرض فلا يزول، **بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك،** فلا تخافي من أن تظلمي، لأنه لن يتمكن من التعدي على حُرْمَتِكِ أحدٌ، وحادث الفيل على سبيل المثال يذكرنا بذلك، وكما قال ﷺ: "**إنما سُمي البيتُ العتيقُ لأنَّهُ لم يَظْهَرْ عليهِ جبارٌ**" [١٥١] أي لم يقوَ على مَذلَّتِهِ أحد بغزو ولا احتلال.

ولا يكون في هذا المكان رعب ولا يقترب منه مثلما يكون في غيره من سائر بقاع الأرض من البلايا والكوارث المهلكة، وأيضاً فإن كل من دخله صار آمناً، حتى الحيوانَ والطيرَ، بل حتى النبات حسبما قضت شريعة ذلك النبي

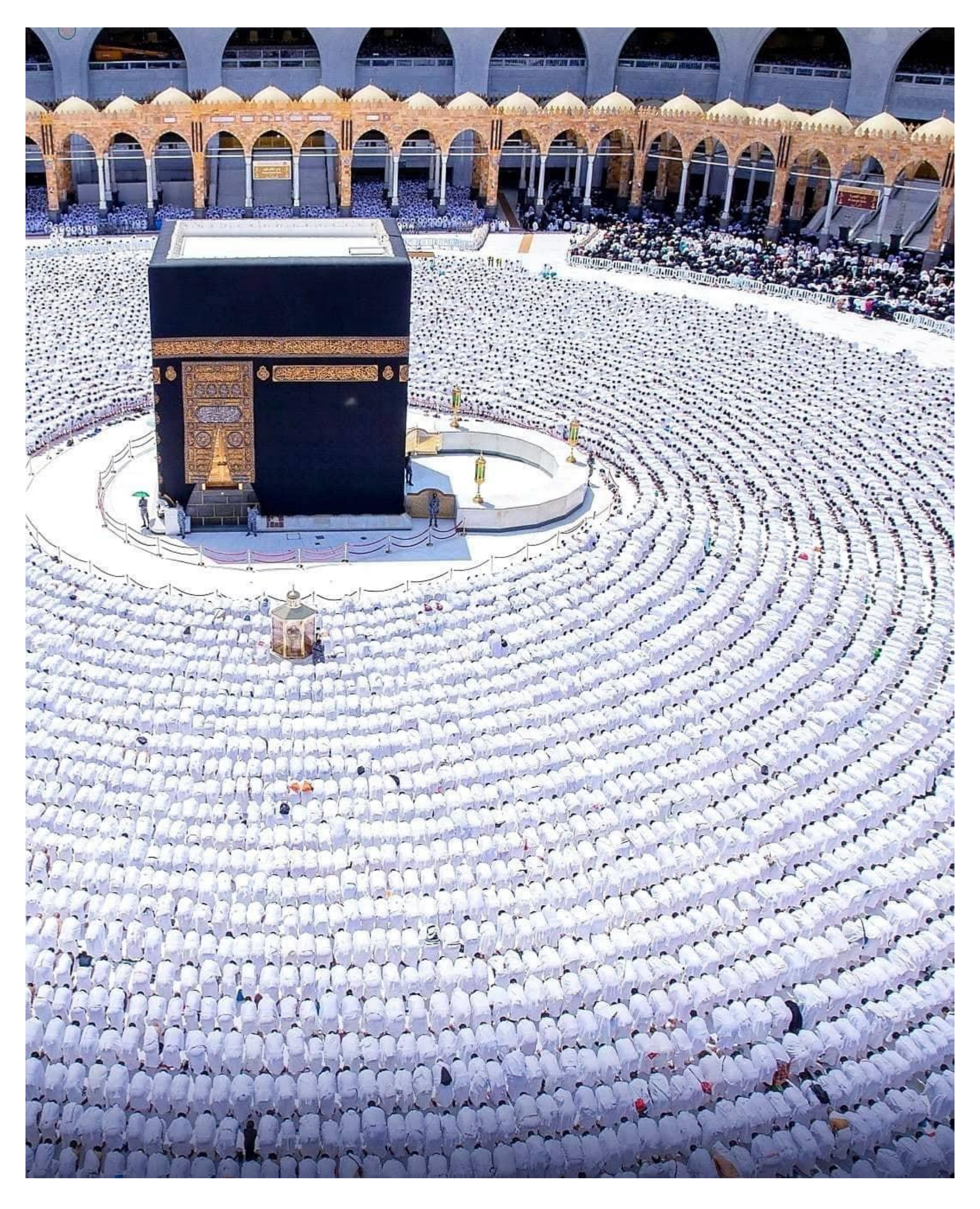
١٥٠: (*) السيرة النبوية لابن إسحاق (١٨٠/١) ، وحاشية المعلق .

١٥١: سنن الترمذي (٣١٧/٥) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

الخاتم ﷺ التي منعت العدوان على كل ما في مكة، فقد قال عنها ﷺ **"إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا"** [١٥٢] !

....

١٥٢: رواه البخاري برقم ٢٠٩٠ "يختلى أي: يُجَزُّ ويُقطَع، خلاها مقصورٌ: الرَّطْب من الكَلأ، واحدُه خَلاةٌ، والحَشيش اليابِسُ منه" (اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح للبرماوي (٢٥٧/٥)



وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ...، وَكُلُّ الَّذِينَ أَهَانُوكِ يَسْجُدُونَ لَدَى بَاطِنِ قَدَمَيْكِ، وَيَدْعُونَكِ: مَدِينَةَ الرَّبِّ. {إشعياء ٦٠/ ١٤}

ومما ورد بشأن بيت الله بمكة أيضاً بنفس السفر:

(قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ، لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ، أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى، فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ، اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي، قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ، جَاءُوا إِلَيْكِ، يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي، حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ، تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي.

مَنْ هؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ وَكَالْحَمَامِ إِلَى بُيُوتِهَا؟ إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْتَظِرُنِي، ...، وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ. وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ...، وَكُلُّ الَّذِينَ أَهَانُوكِ يَسْجُدُونَ لَدَى بَاطِنِ قَدَمَيْكِ، وَيَدْعُونَكِ: مَدِينَةَ الرَّبِّ، صِهْيَوْنَ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ. عِوَضًا عَنْ كَوْنِكِ مَهْجُورَةً وَمُبْغَضَةً بِلاَ عَابِرٍ بِكِ، أَجْعَلُكِ فَخْرًا أَبَدِيًّا فَرَحَ دَوْرٍ فَدَوْرٍ..، عِوَضًا عَنِ النُّحَاسِ آتِي بِالذَّهَبِ، وَعِوَضًا عَنِ الْحَدِيدِ آتِي بِالْفِضَّةِ، وَعِوَضًا عَنِ الْخَشَبِ بِالنُّحَاسِ، وَعِوَضًا عَنِ الْحِجَارَةِ بِالْحَدِيدِ، وَأَجْعَلُ وُكَلاَءَكِ سَلاَمًا وَوُلاَتَكِ بِرًّا.

لاَ يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ فِي أَرْضِكِ، وَلاَ خَرَابٌ أَوْ سَحْقٌ فِي تُخُومِكِ، بَلْ تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ: خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ: تَسْبِيحًا. لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ. لاَ تَغِيبُ بَعْدُ شَمْسُكِ، وَقَمَرُكِ لاَ يَنْقُصُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا، وَتُكْمَلُ أَيَّامُ نَوْحِكِ. وَشَعْبُكِ كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ. إِلَى الأَبَدِ يَرِثُونَ الأَرْضَ، غُصْنُ غَرْسِي عَمَلُ يَدَيَّ

لأَتَمَجَّدَ. اَلصَّغِيرُ يَصِيرُ أَلْفًا وَالْحَقِيرُ أُمَّةً قَوِيَّةً. أَنَا الرَّبُّ فِي وَقْتِهِ أُسْرِعُ بِهِ) {إشعياء/٦٠}

ففي وقته يسرع الله به، أي أن وقت تحقق هذه النبوءة لم يأتِ في زمن بني إسرائيل، ومتى جاء زمنها يقع كل ما وعد الله به، والمأمورة في هذا الإصحاح أن تقوم وتنير للدنيا هي مكة المكرمة، فحيثما سيخيم ظلام الضلال والجاهلية على الأمم؛ سيشرق عليها نور هداية الله وبهاء جلاله، والأمم التي سوف تهتدي إلى باريها ستسير في نورها: الملوك ورعاياهم، عالٍ ودونٌ سواء، وسوف يأتي إليها بنوها المؤمنون من كل مكان بعيد حاجِّين وزائرين معظمين، وحينما يكون ذلك وتؤدى فريضة الحج سيزداد بهاء البيت ونوره ومجده إذ تأتي إليه ثرواتُ الأمم وخيراتها، كما قال تعالى في القرآن الكريم: **(حَرَماً آمِنَاً يُجبَى إلَيهِ ثَمَراتُ كلِّ شيءٍ رِزقاً منْ لَدُنّا)** {القصص/٥٧}، ولا يقصد هنا الطعام فقط هنا وإنما خيرات كل شيء "وكذلك المتاجر والأمتعة" (١٥٣) .

لكن لماذا ذكرت النبوءة **(ثروة البحر)** ؟!

لأننا إذا نظرنا إلى ما يأتي من خيرات من كل بلاد العالم إلى مكة لوجدنا أغلبه يأتيها عبر ميناء جدة على البحر الأحمر، وهو أقرب طرق التجارة إلى مكة وأيسرها على الاطلاق!

---

(١٥٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٩٥) .

أما **كثرة الجمال** التي تغطي تلك المدينة فهي القوافل التي تأتي من مدين وعيفة وشبا تحمل الذهب، واللبان لأجل البخور .

و"**مدين**" كما رأينا على الخرائط السابقة تقع شمال بلاد العرب جنوبي الشام نسبةً إلى مدين بن إبراهيم حيث استقر، و"**عيفة**" هو ابن مديان **بن** إبراهيم كما يذكر سفر التكوين {٤/٢٥} وكثر بنوه حتى اشتهروا باسم المديانيين، وكما نرى في معجم ألفاظ التوراة[١٥٤]:

מִדְיָן m. (r. דִּין Niph.) 1. *strife, contention*, only plur. מִדְיָנִים Prov. 18, 18. 19, 13. Elsewhere in Keri, where Cheth. מְדְיָנִים, see מָדוֹן; also Prov. 6, 14 Keri.
2. *Midian*, pr. n. of a son of Abraham by Keturah, and of an Arabian tribe descended from him Gen. 25, 2. They would seem to have occupied portions of the tract of country extending from the eastern shore of the Elanitic gulf (where Arabian geographers still place a town مدين) to the region of Moab on the one hand, and to the vicinity of Mount Sinai on the other, Ex. 2, 15. 3, 1. 18, 1. Num. c. 31. Judg. c. 6–8. Sometimes the Midianites appear to be reckoned among the Ishmaelites. Gen.

فإنه يوضح أن المديانيين معدودون من الإسماعيليين (العرب).

و"**شَبَا**" (سبأ) تقع جنوب بلاد العرب باليمن حيث استقر شبا أيضاً، وشَبَا ومَدْيَن هما ابنا إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورة {التكوين٢٥-٢٠} * .

وهذه العبارة تشير بوضوح إلى قوافل التجارة بالجمال التي كانت تتناوب أسفارها إلى سبأ باليمن جنوبا وعيفة شمالاً (في رحلتي الشتاء والصيف) ثم تعود إلى ديارها بمكة بخيرات تلك البلاد حتى زمن البعثة، مما ساعد على الإخبار الواسع ببزوغ الدين الجديد وظهور نبي الإسلام ﷺ.

---

١٥٤ : Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Edward Robinson, (page538)

(*) وفي هذا الانتشار لذرية إبراهيم من شمال الأرض لجنوبها تحقيق لوعد الله له بوراثة نسله للأرض، ولكن دون دليل على قصر ذلك على نسله من يعقوب كما ذكرنا من قبل .

والبشرى بتسابيح الرب هي الإخبار بالقرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ بالتوحيد، وانتشار خبر الإسلام في أقصى الجزيرة وأدناها بعد الجهر بالدعوة بوقت قصير .

و"**قيدار**" كما عرفنا هو الابن الثاني لإسماعيل، و(**نبايوت**) هو ابنه الأكبر، ويقول عنه قاموس الكتاب المقدس: "نبايوت (مرتفعات) بِكر إسماعيل، يُظن أن نسله استوطن بلاد العرب بقرب وادي موسى، وأنهم النباطيون المذكورون في تواريخ اليونان والرومان، وكانوا رُعاة، وكانت سالع مدينتهم الرئيسية" (١٥٥) ، مما يؤكد ويوضح أن العرب ـ ذرية إسماعيل ـ كانوا بدواً رعاة وأن من مدنهم الرئيسية فاران (مكة) كما تبين من قبل ، وسالع (المدينة) .

أما اجتماع الغنم والكباش التي للعرب لخدمة هذه المدينة المقدسة فهو إشارة إلى كثرة الأضاحي والهَدي التي تُذبح لله في مِنى عند اجتماع الأمم لأداء فريضة الحج حيث يزين الله بيت جماله الذي لا يألوه المسلمون إكراماً وعنايةً، وحيث بين تعالى أن تلك الذبائح مقبولة من هذه الأمة تفضلاً منه تعالى عليهم، خلافاً لبني إسرائيل وما كانوا يقدمونه، كما بين الله في وحيه إلى بعض الأنبياء المتأخرين بعد إشعياء قائلاً: (**مُحْرَقَاتُكُمْ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، وَذَبَائِحُكُمْ لاَ تَلُذُّ لِي**) {إرميا ٦ـ٢٠}، (**إِنِّي إِذَا قَدَّمْتُمْ لِي مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقْدِمَاتِكُمْ لاَ أَرْتَضِي، وَذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ مِنْ مُسَمَّنَاتِكُمْ لاَ أَلْتَفِتُ إِلَيْهَا**) {عاموس ٥ـ٢٢} .

....

وفي إشارة لطيفة إلى المسلمين عامري مكة نقرأ: (**من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها!**) فتشبيه الناس هنا بالسحاب والحمام يتضح منه أكثر من معنى :

- فالطيران يدل على السرعة، وهو يشير إلى سرعةِ توافد المؤمنين، ولهفتِهم إلى هذه الأرض خاصة عند دخول وقت فريضة الحج، وهذا

يذكرنا بقوله تعالى: (**وَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم**) {إبراهيم/٣٧} أي "تميلُ وتقصدُهم بسرعة"[١٥٦] .

- اختلاف جهات التوافد؛ فطيران السحاب في السماء والحمام إلى بيوتها لا يكون من صوب واحد أو اتجاه بعينه، إذ لا ضابط لذلك مما يشير إلى توافد القادمين إلى هذا البيت من كل مكان بالمعمورة، وكلمة الناس في الآية السابقة يعني عموم الخلق، ويقول تعالى: (**مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق**) {الحج/٢٧} وهو دلالة على تساوي الناس من أنحاء الأرض في ظل هذا الدين الجديد، هذا التساوي الذي لم يكن موجوداً بين الأمم وبني إسرائيل في شريعتهم كما أوضحنا مراراً، هذا إذا ما أريد صرف هذه النعوت إلى أورشليم الأولى .
- ووجه التشبيه بالسحاب والحمام هنا أوضح ما يكون في اللون الأبيض وهو ملبس المسلمين وهم محرمون قُبيل قدومهم إلى الحرم حاجين أو معتمرين .

وبناء الغرباء لأسوارها وخدمة الملوك لها يعني أنهم يشاركون في التعمير والبناء والخدمة بإرسالهم من بلادهم ما يُحتاج إليه في ذلك من خامات وأدوات وآلات، وهذا حاصل في بناء المسجد الحرام لا الكعبة نفسها، فمستلزمات تجديد عمارة المسجد وتوسعته وخاماته ليست من بلاد العرب كلها. وإنما مجتلبة من بلاد الأجانب الغرباء عنها [١٥٧] .

١٥٥: قاموس الكتاب المقدس (٤١١/٢) .
١٥٦: فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣/ ٥٢٨).
١٥٧: ومن طريف ما ورد في تواريخ بناء الكعبة ما ورد "عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: كَانَتِ الْكَعْبَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَبْنِيَّةً بِالرَّضْمِ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، وَكَانَتْ قَدْرَ مَا يَقْتَحِمُهَا الْعَنَاقُ، وَكَانَتْ غَيْرَ مَسْقُوفَةٍ، وَإِنَّمَا تُوضَعُ ثِيَابُهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ يُسْدَلُ سَدْلًا عَلَيْهَا، وَكَانَ الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ مَوْضُوعًا عَلَى سُورِهَا بَادِيًا، وَكَانَتْ ذَاتَ رُكْنَيْنِ كَهَيْئَةِ هَذِهِ الْحَلْقَةِ، فَأَقْبَلَتْ سَفِينَةٌ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ جُدَّةَ انْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِيَأْخُذُوا خَشَبَهَا، فَوَجَدُوا رُومِيًّا عِنْدَهَا فَأَخَذُوا الْخَشَبَ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تُرِيدُ الْحَبَشَةَ، وَكَانَ الرُّومِيُّ الَّذِي فِي السَّفِينَةِ نَجَّارًا، فَقَدِمُوا بِالْخَشَبِ، وَقَدِمُوا بِالرُّومِيِّ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَبْنِي بِهَذَا الْخَشَبِ بَيْتَ رَبِّنَا.." رواه عبد الرزاق في مصنفه باب بنيان الكعبة (١٠١/٥) وضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٢٨/٨) .

وهي المدينة التي يأتي إليها غني الأمم ونفائسها، فأسواق مكة عامرة بكل ما يرد على الخاطر من خيرات وسِلَع.

وبدلاً من كون هذه المدينة مهجورة من الأمم؛ سيكون لها الفخر الأبدي على جميع البلدان، لأنها ستصير قدس آخر الأديان إلى آخر الزمان، وكل الذين كانوا أهانوها بعبادة الأوثان هنالك أزمنة عديدة، سيسجدون تحت قدميها، مما يشير إلى تحول كثير من الخلق إلى الإيمان بعد الكفر بدخولهم في الإسلام وصلاتهم وسجودهم نحو بيت الله الحرام الذي سيصير قبلة المؤمنين من كل الأمم.

ومن العجيب أن نقرأ الإشارة إلى ذلك في الإنجيل على لسان المسيح، في حديثه مع المرأة السامرية حيث "**قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ، قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ**" {يوحنا ١٩/٤- ٢١} فهذا إعلام من نبي الله عيسى لبني إسرائيل بتحول قبلة الأنبياء التي يعهدونها - من بيت المقدس إلى وجهة أخرى ذكرها الأنبياء قبله كما سيتبين لاحقا، وصدق الله تعالى: (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**) {البقرة/١٤٤}، فالله يعلم تحريفهم وكتمانهم.

ولن يكون في هذه الأرض الجديدة ظلمٌ لكائن ما لأنها حرم آمن، ولا خرابٌ، بل ستَعْمُرُ أبداً، ونور هدايتها وبهائها دائم، وأنوار الحرم لا تنقطع عنه أبداً ولا تنطفئ، وليس هذا في بيت من بيوت الله أبداً عند أهل الكتاب!

وكمال أيام نوحها هو نهاية أيام حزنها في الزمن الآتي (بعد النبوءة) عند ظهور نور النبوة منها على يد محمد ﷺ ، وشعبها شعب بارٌ كله لأنه يعبد الرب وحده، وهو الذي سيرث الأرض ويملكها إلى الأبد وهو شعب الوُدَعَاءِ

المُسالمين، الذين سيكثرون ويصبحون أمة عظيمة. (**أَمَّا نَسْلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ، الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ**) {مزمور٣٨-٢٧}.

....

الفصل الثاني :

جهة الوحي : مكة

وتأكيدا من النبوءات السابقة على أن نور هداية الله سيأتي البشر من الأرض المقدسة المباركة في بلاد الحجاز ؛ تتكرر الإشارة في الكتاب المقدس إلى ذلك:

(اَللّٰهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، سِلاَهْ، جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ، وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ، لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ، قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى) {حبقُّوق ٣-٣}.

ولننظر في بعض مفردات هذا الشاهد التي هي في الأصل العبري كما نرى في الترجمة بين السطور: אֱלוֹהַ מִתֵּימַן יָבוֹא וְקָדוֹשׁ .. إلى آخر النص.

פָּעָלְךָ בְּקֶרֶב שָׁנִים חַיֵּיהוּ בְּקֶרֶב שָׁנִים תּוֹדִיעַ בְּרֹגֶז רַחֵם תִּזְכּוֹר׃ [3]אֱלוֹהַ
فِعْلَكَ في وَسطِ سِنينَ أَحْيِهِ في وَسطِ سِنينَ تُعَرِّفُ في رِجزٍ رَحْمَةً تَذْكُرُ إلواه

מִתֵּימָן יָבוֹא וְקָדוֹשׁ מֵהַר־פָּארָן סֶלָה כִּסָּה שָׁמַיִם הוֹדוֹ וּתְהִלָּתוֹ מָלְאָה
مِنْ تِيمانَ يأتي وَقُدُّوسٌ مِنْ جَبَلِ فاران سلاه كَسا سَماواتِ جَلالُهُ وَتَهليلُهُ مَلأَ

הָאָרֶץ׃ [4]וְנֹגַהּ כָּאוֹר תִּהְיֶה קַרְנַיִם מִיָּדוֹ לוֹ וְשָׁם חֶבְיוֹן עֻזֹּה׃ [5]לְפָנָיו יֵלֶךְ דָּבֶר
الأَرضَ وَإشعاعٌ كَالنورِ يَكُونُ قَرنانِ مِنْ يَدِهِ لَهُ وَهُناكَ اِستِتارُ عِزَّتِهِ أمامَهُ يَسيرُ وَباءٌ

וְיֵצֵא רֶשֶׁף לְרַגְלָיו׃ [6]עָמַד וַיְמֹדֶד אֶרֶץ רָאָה וַיַּתֵּר גּוֹיִם וַיִּתְפֹּצְצוּ הַרְרֵי־עַד
وَتَخرُجُ حُمَّى لِرِجْلَيهِ وَقَفَ وَقاسَ أَرضًا رَأى فَأَثارَ أُمَمًا وَحُطِّمَتْ جِبالُ دَهْرٍ

* فكلمة אֱלוֹהַ (إِلُوهَ) كما يظهر في النص المترجم تعني "إله" بصيغة التنكير، لا بصيغة التعريف التي تفيد الألوهية المطلقة الدالة على الخالق سبحانه وإلا كانت وردت بلفظ אלהים (إلوهيم) كما في سائر نصوص التوراة، وقد سبق ورأينا أن كلمة آلهة بصيغة التنكير تطلق على الأنبياء الأجلاء كما مر في {صموئيل الأول ٢٨-١٣}.

* وكلمة מִתֵּימָן (مِتيمَان) أي من اليمن، فكلمة (تِيمان) تعني "بلاد اليمن، والجهة الجنوبية" [١٥٨]، وبلاد العرب تقع في الجنوب بالنسبة للأرض التي استوطنها بنو إسرائيل في فلسطين حيث أتتهم هذه النبوءة.

* وكلمة קָדוֹשׁ (قَدُوش) أي: "قِدّيس" بصيغة التنكير دون أداة تعريف أيضا، فهي مطلقة على إنسان له منزلة عظيمة بين البشر، "مُقدَّس، نقِيّ، طاهِر، منزَّه عن دَنَسِ الرَذِيلةِ والوثنيَّةِ والأرْجَاسِ الأُخرَى" [١٥٩] وليس المقصود هنا الخالق عز وجل.

فالمعنى الواضح من النص: أن هناك مُشَرِّعاً عظيماً مُقدساً جاء من جهة الجنوب (جنوب الأرض التي استوطنها بنو إسرائيل) من جبل فاران (مكة)، وהוֹדוֹ (هودو) أي بهاؤه وفخامته ملأ السماء بين الملأ الأعلى من الملائكة، ووּתְהִלָּתוֹ (وتهِيلاتُو) أي: وتهليله لله يعني توحيدُهُ اللـهَ ملأ أنحاء الأرض، فهذا يشير إلى وجهة خروج هذا النبي، وعموم رسالته بتوحيد الله تعالى لكل بني آدم.

أما باقي النبوءة: (قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى) فهي توضيح عجيب لما حدث بالفعل في المدينة المنورة عند مجيء هذا النبي الكريم ﷺ مهاجرا إليها، فقد كانت معروفة بجوها الوبيء الذي كان ينفر كثيرا من الناس عن سكناها، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا، وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا، فَاجْعَلْهَا فِي الْجُحْفَةِ"** [١٦٠]. فطَهُرَ جوُّ المدينة وطابت بمجيئه إليها ﷺ.

١٥٨: راجع قاموس سجيف (٢٣/ ١٨٨٦) ، وكذلك: Hebrew And English Lexicon of the old testament, 1882 (page 1129)

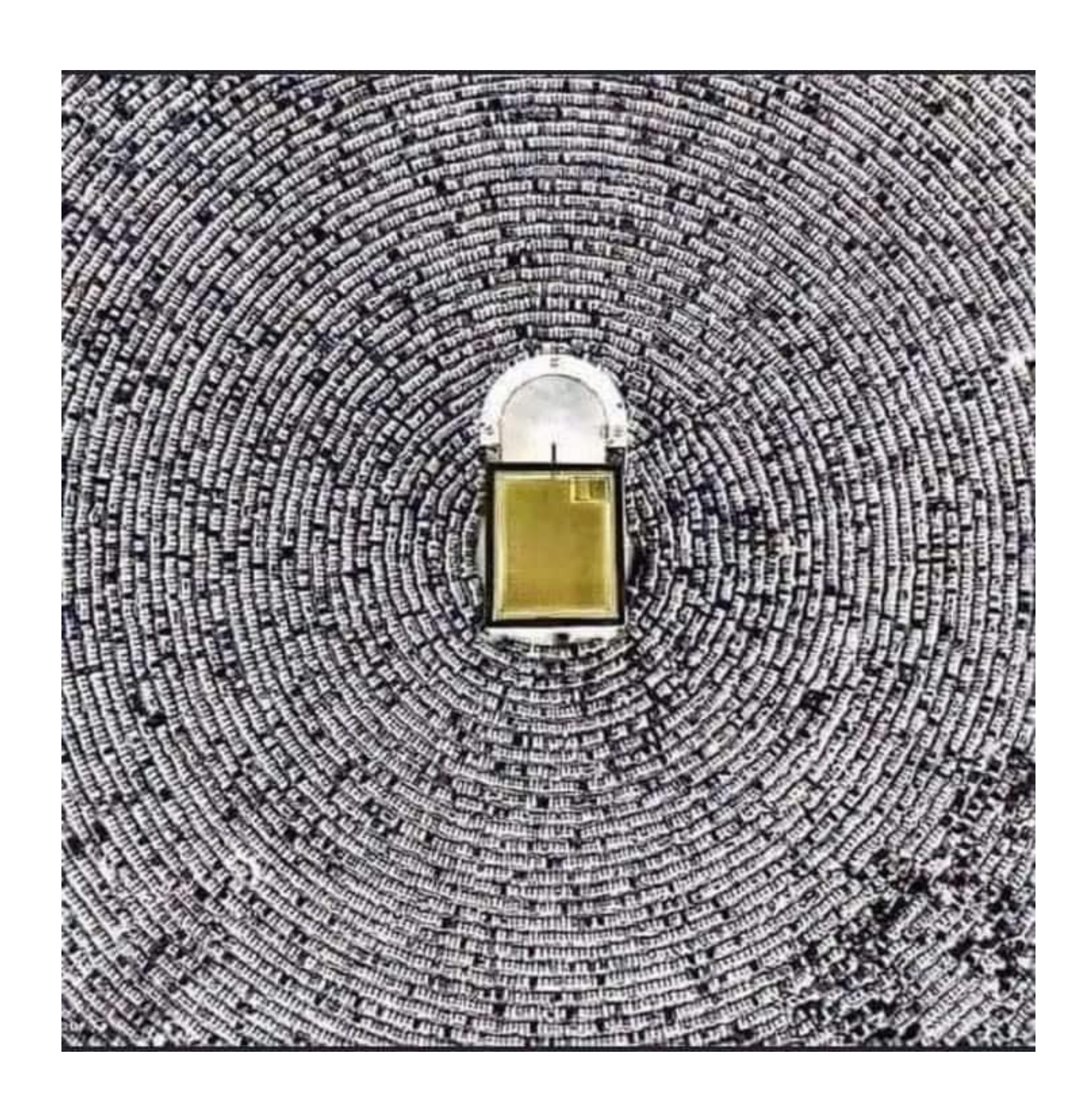
١٥٩ : Hebrew And English Lexicon (page 910)

١٦٠ : رواه أحمد في المسند برقم ٢٤٢٨٨، والبخاري في صحيحه برقم ٣٩٢٦

فما كان أعلم أهل الكتاب بصفاته ﷺ حتى عرفوه كأبنائهم!، حتى قال الله لهم على سبيل التقريع: (**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**) ؟! {المؤمنون/٦٩}، فأضاف الرسول إليهم كأنه منهم لأنهم أعلم الناس به ﷺ، لكن من كره الحق والهُدَى كان أولى الناس بالحرمان منه.

....

أما عبارة קַרְנַיִם מִיָּדוֹ (قرنايِم مِيَدُو = يعني قرنين من يده) فلم أهتدِ إلى تحديد معناها لغموض ترجمتها، فقد كُتِبَت في الترجمة السبعينية وغيرها من الترجمات: (**له من يده شعاع**)، وفي الترجمة الحرفية بين السطور كما رأينا: (**قرنان من يده**) وليس لها معنى واضح أو مفهوم، فربما عَدَت عليها عَوَادِي العبثِ على مَرِّ الدهور.



حي أنا ـ يقول الرب ـ : إنك تلبسين كلهم كحُليّ، وتتنطقين بهم كعروس إشعياء{٤٩ـ ١٤} .

ومن النبوءات الواردة في هذا الشأن أيضاً ما في سفر إشعياء كذلك: (**مِنْ أَجْلِ صِهْيَوْنَ لاَ أَسْكُتُ، وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ لاَ أَهْدَأُ، حَتَّى يَخْرُجَ بِرُّهَا كَضِيَاءٍ وَخَلاَصُهَا كَمِصْبَاحٍ يَتَّقِدُ، فَتَرَى الأُمَمُ بِرَّكِ، وَكُلُّ الْمُلُوكِ مَجْدَكِ، وَتُسَمَّيْنَ بِاسْمٍ جَدِيدٍ يُعَيِّنُهُ فَمُ الرَّبِّ، وَتَكُونِينَ إِكْلِيلَ جَمَالٍ بِيَدِ الرَّبِّ، وَتَاجًا مَلِكِيًّا بِكَفِّ إِلهِكِ. لاَ يُقَالُ بَعْدُ لَكِ: «مَهْجُورَةٌ»، وَلاَ يُقَالُ بَعْدُ لأَرْضِكِ: «مُوحَشَةٌ»، بَلْ تُدْعَيْنَ: "حَفْصِيبَةَ"، وَأَرْضُكِ تُدْعَى: "بَعُولَةَ"**[١٦١] **لأَنَّ الرَّبَّ يُسَرُّ بِكِ، وَأَرْضُكِ تَصِيرُ ذَاتَ بَعْلٍ. لأَنَّهُ كَمَا يَتَزَوَّجُ الشَّابُّ عَذْرَاءَ، يَتَزَوَّجُكِ بَنُوكِ. وَكَفَرَحِ الْعَرِيسِ بِالْعَرُوسِ يَفْرَحُ بِكِ إِلهُكِ.**

عَلَى أَسْوَارِكِ يَا أُورُشَلِيمُ أَقَمْتُ حُرَّاسًا لاَ يَسْكُتُونَ كُلَّ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ عَلَى الدَّوَامِ. يَا ذَاكِرِي الرَّبِّ لاَ تَسْكُتُوا، وَلاَ تَدَعُوهُ يَسْكُتُ، حَتَّى يُثَبِّتَ وَيَجْعَلَ أُورُشَلِيمَ تَسْبِيحَةً فِي الأَرْضِ) { إشعياء ٦٢- ١:٧}

فصهيون، أو أورشليم (مدينة السلام) اسمان دالان على بلد معين أو مدينة محددة، وهي الأرض الجديدة المبشر بها غير الأولى، وسوف ترى الأمم برها، وكلمة الأمم (גוֹיִם جوييم) وفي ترجمة الملك جمس: (Gentiles) وهي تعني الأمم من غير اليهود، كما تقول معاجم الحاخامات[١٦٢] :

Plur. גּוֹיִם is spoken spec. of *nations other than Israel, foreign nations*, Neh. 5, 8.

فهي مدينة يدخلها كل المؤمنون بالله من كل الشعوب، وهذا يخالف تماما مدينة القدس الأولى التي كان بها قدس الأقداس حيث لا يدخلها أحد من غير أبناء شعب إسرائيل.

وسوف تسمى باسم جديد يحدده فم الرب، أي اسم ينزل به الوحي من قبل الله تعالى، ولم ينزل وحي على أي من أنبياء بني إسرائيل باسم آخر لعاصمة

١٦١ : حفصيبة : (سروري بها) ، بعولة: (متزوجة) قاموس الكتاب المقدس(١/٢٤٠ ، ٣٧٩).

١٦٢ : Hebrew And English Lexicon (page 184)

يهوذا ولا لجبل حصن داود، فاسماهما كما هما إلى الآن (أورشليم وصهيون)، أما الوحي الذي نزل على خاتم الأنبياء، فقد حدّدَ لهذه الأرض المقدسة الجديدة أسماءً جديدة غير الأسماء التي كانت قريبة لأذهان بني إسرائيل وتوحي بالقداسة (فلن تعود تُسمَّى صهيون ولا أورشليم) ، فكان من الأسماء التي سُمّيت بها في القرآن الكريم: مكة، وبكة، والبلد الأمين، والبلد الآمن، وحرم آمن، والقرية، وأم القرى، والمسجد الحرام.

وأبناؤها الذين سيتجمعون حولها من كل الأرض، هم الذين سيهوِّنون عليها وحشتها التي عاشتها في الماضي، حيث كانت أرضا مقفرة من التوحيد دهورا طويلة.

أما عبارة: **"وأرضُكِ تصيرُ ذاتَ بعلٍ، لأَنَّهُ كَمَا يَتَزَوَّجُ الشَّابُّ عَذْرَاءَ، يَتَزَوَّجُكِ بَنُوكِ"،** فلا يتضح معناها إن تُرجِمَت ترجمة حرفية باللفظ كما قرأناها في الترجمة السبعينية، أو بعض التراجم الإنجليزية كما في ترجمة الملك جمس وغيرها هكذا: **"and thy land shall be married"** ، (وستتزوجُ أرضُكِ)

ولكن لأن المعنى غير مفهوم من الترجمة الحرفية لزواج الإنسان بالأرض قام بعضهم بترجمة روح النص ومعناه ليصبح مفهوما كما نرى في ترجمة الفولجاتا: **"and thy land shall be inhabited"** ، وهو المعنى الواضح في ترجمة الآباء الدومينيكان: (**وأرضك تصير معمورة**).

وعبارة (**كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك**) ، كذلك يتضحُ معناها بالرجوع لتراجِمَ مختلفةٍ خاصةً غيرَ العربية.

ففي الكتاب المقدس الأميركي الجديد والنسخة القياسية:

your builder shall marry you : (وبنّاؤوكِ يتزوجونكِ).

وفي ترجمة الفولجاتا: **and thy children shall dwell in thee**

:(وسيسكنك أبناؤكِ)

وفي ترجمة العالم الجديد: **your sons will take ownership of you as a wife** : سوف يسكنك أبناؤك، سيحوزك أبناؤك، أو ستكونين في عهدتهم كزوجة.

وهكذا يتضح المعنى المقصود، فهذه الأرض ستصبح كثيرة الزوار والعُمَار بعد قلة ساكنيها زمنا طويلا لعدم عمرانها بالأنبياء والمؤمنين، ولكونها أرضا قاحلة في قلب صحراء جافة، وذلك قبل أن يجعل الله فيها من الخير ما جعل، ثم إنَّ كونَ أبناء هذه الأرض هم الذين يسكنونها أو يتزوجونها يؤكد أنه لن يدخلها أهل دين آخر غير أبنائها المؤمنين، فلا يدخلها وثنيون ولا مشركون، كما لا ينفرد بالمرأة إلا بعلها، وليست هناك أرض مقدسة مقصورة على أهل دينها إلا حرم الله في مكة، وحرم رسوله ﷺ في المدينة، فأين ذلك من مدينة السلام في فلسطين التي قصَّت التوراةُ علينا ما كان فيها من اختلاط أهلها برجاسات الأمم وشركها رغم وجود الأنبياء والشريعة بها على مر التاريخ؟!.

هذه المدينة على أسوارها وطرقها حراس من الملائكة الذين لا يفترون عن ذكره تعالى ويحرسونها من كل شيطان وروح نجس لا يدخل حرم الله إلى الأبد، كما ورد في كثير من الأحاديث ومنها قوله ﷺ **" لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا "** [١٦٣].

....

١٦٣: صحيح مسلم برقم ٢٩٤٣.

أما الكلام الصريح عن مكة وذكر اسمها مباشرةً فنتبينه في الشواهد التالية مع التدقيق في ألفاظها:

(طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا، أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ. يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ، يُرَوْنَ قُدَّامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ ... لأَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ)

{مزمور ٨٤/٥}

ونقرأ الألفاظ العبرية ومعانيها في الترجمة بين السطور هكذا:

عِندَ مذابحِكَ يا ربَّنا القديرَ، يا مَلِكي وإلهي. [٥] هَنيئاً لِلمُقيمينَ في بَيتِكَ، هُم على الدَّوامِ يُهَلِّلونَ لكَ. [٦] هَنيئاً للَّذينَ عِزَّتُهُم بكَ، وبِقلوبِهِم يتوجَّهونَ إليكَ. [٧] يعبُرونَ في وادي الجَفافِ، فيَجعَلونَهُ عُيونَ ماءٍ، بل بُركاً يغمُرُها المَطَرُ. [٨] يَنطَلِقونَ مِنْ جبَلٍ إلى جبَلِ

אֶת־מִזְבְּחוֹתֶיךָ יְהוָה צְבָאוֹת מַלְכִּי וֵאלֹהָי׃ [5] אַשְׁרֵי יוֹשְׁבֵי בֵיתֶךָ עוֹד יְהַלְלוּךָ

مَذابِحَكَ يا يهوه صباؤت مَلِكي وَإلهي طُوبَى لِساكِني بَيتِكَ بَعْدُ يُهَلِّلونَكَ

סֶלָה׃ [6] אַשְׁרֵי אָדָם עוֹז־לוֹ בָךְ מְסִלּוֹת בִּלְבָבָם׃ [7] עֹבְרֵי בְּעֵמֶק הַבָּכָא מַעְיָן

سِلاه طوبَى لإنسانٍ عِزٌّ لَهُ فيكَ مَسالِكُ في قَلْبِهِم عَابِرُونَ في عُمْقِ الجَفاف مَعينًا

יְשִׁיתוּהוּ גַּם־בְּרָכוֹת יַעְטֶה מוֹרֶה׃ [8] יֵלְכוּ מֵחַיִל אֶל־חָיִל יֵרָאֶה אֶל־אֱלֹהִים

يَجْعَلُونَهُ أيضًا بِرَكًا يُغَطِّي مَطَرٌ مُبَكِّرٌ يَسيرُونَ مِنْ بأسٍ إلى بَأسٍ يُرَى إلى اللهِ

ففي هذا النص يمتدح داود أمة من الصالحين يصفهم بصفات تتضح في بعض الترجمات الإنجليزية للعددين (٤ ، ٥) من المزمور ٨٤:

Psa 84:4 How blessed are those who dwell in Thy house! They are ever praising Thee. Selah.
Psa 84:5 How blessed is the man whose strength is in Thee; In whose heart are the highways [to Zion]!
Psa 84:6 Passing through the valley of Baca, they make it a spring, The early rain also covers it with blessings.
Psa 84:7 They go from strength to strength, [Every one of them] appears before God in Zion.
Psa 84:8 O LORD God of hosts, hear my prayer; Give ear, O God of Jacob! Selah.

The Holy Bible
New American Standard Bible 1977 NAS

{84:4} Blessed [are] they that dwell in thy house: they will be still praising thee. Selah.
{84:5} Blessed [is] the man whose strength [is] in thee; in whose heart [are] the ways [of them.
]{84:6} [Who] passing through the valley of Baca make it a well; the rain also filleth the pools.
{84:7} They go from strength to strength, [every one of them] in Zion appeareth before God.

The King James Version of the
Holy Bible

والمعنى:

٤: ما أعظم بركات أولئك الذين يسكنون بيتك، الذين لايزالون يمجدونك إلى الأبد!.

٥: وما أعظم بركة الرجل الذي يتعزز بك!، الذي في قلبه طرق سعيه إلى (جبل) صهيون.

أو (طرق الحجيج) كما في الترجمة الأميركية:

whose hearts are set on pilgrim roads.
New American Bible

ولأن صهيون جبل؛ فطريقه صاعدة كما يتضح من معنى (מְסִלּוֹת مسِلُّوت) في معجم Lexicon : من أنه ممر أو طريق مرتفع!

מְסִלּוֹת.
1. *a raised way, causeway, highway,*

فالحج: يصعد فيه الحجاج الى جبل بيت الرب لأن حجهم لا يتم بدونه !

أما لفظة: وادي البكاء בְּעֵמֶק הַבָּכָא (بعميق هبَكَّا) فمعناها: (بِوادي بكا) وليس (وادي البُكاء) كما تُرجِمَت للعربية! فكلمة (بَكَّا) حروفها كما نرى (בָּכָא) أما كلمة (بُكاء) فتُكتَب هكذا (בְּכִי) وتُنطَق (بِكِي) كما ينطقها أهل الشام.

بالإضافة إلى أنه ليس هناك معلم ولا واد بهذا الاسم في فلسطين ولا في الشام كلها، ولا وجود له في خرائط الكتاب المقدس، ولا الخرائط التاريخية في أطلس الكتاب المقدس كذلك، وفضلا عن ذلك إذا رجعنا للتراجم الإنجليزية - التي هي أقل تَعْمِيةً من التراجم العربية - لوجدنا العبارة هكذا:

(the valley of Baca)

كما يظهر في الترجمات المختلفة السابقة والتالية:

As they go through the valley of Baca
they make it a place of springs;
the early rain also covers it with pools.

The Bible; new revised standard version

[7] As they pass through the Baca valley, they find spring water to drink. Also from pools the Lord provides water for those who lose their way.

the New American Bible

وفي كل النسخ الإنجليزية نرى أن الحرف الأول من كلمة (بَكَا) حرف كبير (capital)، مما يدلل على أن الحاخامات الذين ترجموا العبارة للإنجليزية يميزون هذا اللفظ على أنه اسمُ عَلَمٍ، ولذلك لم يترجموه بالبكاء، أو حتى "**وادي البَلَسَان**" كما في الترجمة اليسوعية![١٦٤]، لأن الأعلام لا تترجم كما سبق أن ذكرتُ.

ومن المعروف أن "بكة" اسم لموضع بيت الله الحرام كما ورد في القرآن الكريم:

١٦٤: البلسان نوع من الأشجار، والعجيب أن دائرة المعارف الكتابية تقول عنه: "أما البلسان الحقيقي الذي ذكره المؤلفون القدماء فهو بلسم مكة الذي ما زالت مصر تستورده من شبه الجزيرة العربية كما كان الأمر قديما"! (١٨٩/٢)، فواضح أن القدماء نسبوا الشجرة للمنطقة التي كان يستورد منها فقالوا: بلسان بكا، ومبالغة في التعمية عند الترجمة جعلوا وادي مكة الذي يأتي منه شجر البلسان : وادي البلسان !

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) {آل عمران/٩٦}

و(عميق) تعني وادياً، أي أرضاً منخفضة، فالتركيب من المضاف والمضاف إليه (בְּעֵמֶק הַבָּכָא بِعَمِيق هبَكّا) يقابله بدقة في العربية نصّاً ومعنىً لفظ (بِبَطْنِ مَكَّةَ) {الفتح/٢٤} وهو موضع الحرم!

أما عبارة: يصيرونه ينبوعا מַעְיָן יְשִׁיתוּהוּ (مَعيَن يشِيتوهُ: ينبوعا يجعلونه)، أي من يعبرون في وادي بكة سيجعلون هذا الوادي ينبوعا مَعِيناً، فواضح أن هذا الماء المَعِين في ذلك المكان تحديدا خاص بمن يَرِدُونَ هذا الوادي دون غيرهم، وفي ترجمة الكتاب المقدس الأميركي الجديد نقرأ النص مترجما كالتالي:

[7]As they pass through the Baca valley, they find spring water to drink. Also from pools the Lord provides water for those who lose their way.

أي: "وعندما يمرون في وادي بَكّا يجدون ينبوع ماء ليشربوا، ومن البِرَكِ أيضا يزود الرب بالمياه أولئك الذين يضلون طريقهم".

وكما يظهر في شرح المعجم للفظ وادي بكا الذي يقولون أنه يُحتَمل أن يكون بفلسطين نقرأ أنه:

בָּכָא, בָּכָה. **So** **עֵמֶק הַבָּכָא** ***the vale of Baca*** **i. e.** ***of weeping*****, valley of lamentation, pr. n. of a valley in Palestine, prob. gloomy and sterile; hence the allusion in Ps. 84, 7** **עֹבְרֵי בְּעֵמֶק הַבָּכָא מַעְיָן יְשִׁיתוּהוּ** ***passing through the valley of Baca*** **(of lamentation)** ***they make it fountains*****, i. e. it becomes so to the pilgrims.**

(gloomy مُوحِشٌ كَئِيبٌ sterile مُجْدِب وقَحْط، فالعابرون في ودي بكا (وادي النحيب) سيجعلونه ينابيع، وسيصبح كذلك للحجيج)!

فأرض بكة بالفعل هي التي كانت منذ القدم موحشة جدباء مقفرة قبل مجيء هاجر وإسماعيل إليها، وهذا يذكرنا بصفتها في القرآن على لسان إبراهيم عليه السلام: (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**) {إبراهيم/٣٧}، وبعد ظهور ماء زمزم أيام إسماعيل بفترة؛ رُدِمت البئر قرونا طويلة، إلى أن حُفِرَت مرة أخرى بيد عبد المطلب قبيل مولد النبي ﷺ ، ثم زادت مياهها في الحرم لتسقي الحجيج وزوار الحرم حتى أصبح عند أهل مكة وظيفة سميت بالسقاية، ومن العجيب أن علماء أهل الكتاب يبينون كما نرى في شروحهم أن ذلك سيكون خاصا بالحُجاج!، فلو كان المقصود في النبوءة أورشليم فلسطين؛ فأي حجاج هم الذين يجعلون أورشليم القدس ينبوع ماء؟ وهل كانت القدس أو بلاد الشام عموما قحطا وجدبا ومقفرة في فترة متأخرة من تاريخ بني إسرائيل، ثم ظهرت فيها ينابيع يشرب منها شعب مُحَدَّد بعينه إن كانت النبوءة فعلاً خاصة ببيت المقدس؟

....

أما عبارة: بِبـَركَاتٍ يغطون مورة (בְּרָכוֹת יַעְטֶה מוֹרֶה : بْراكُوت يعطِه مورِه) فلننظر فيها جيداً، إذ يظهر فيها التضليل في الترجمة:

فلفظ בְּרָכוֹת : (براكُوت)، نقرأ ترجمته في بعض النسخ كما في الترجمة بين السطور بالإنجليزية: **blessings**

בְּרָכוֹת^f יַעְטֶה מוֹרֶה:
blessings he-covers rain

أي: برَكَات، وفي بعض الترجمات الإنجليزية والعربية نقرأها: بِرَكاً (جمع بِرْكة ماء)، والكلمتان في العبرية متطابقتان فعلا في الحروف (ברכות) لكنهما مختلفتان في الحركات.

فإذا غيرنا التشكيل انتقل معنى الكلمة من (بَرَكات) إلى (بِرَكِ مِيَاهٍ) كما يظهر في معاجم الحاخامات [١٦٥] :

†בְּרֵכָה **n.f. pool, pond** (הברכה SI[5]; Ar. بِرْكَةٌ; Sab. ברכת Sab. Denkm.[73]; Aram. בְּרֵיכְתָא) —בּ׳ 2 S 2[13.13] 4[12] 2 K 18[17] (=Is 36[2]) 20[20] Ne 3[16] Is 7[3] 22[9.11]; cstr. בְּרֵכַת 2 S 2[13] 1 K 22[38] Ne 2[14] 3[15] Na 2[9]; pl. בְּרֵכוֹת Ec 2[6] Ct 7[5].

בְּרָכָה f. once בְּרָכָה Gen. 27, 38, constr. בִּרְכַּת, c. suff. בִּרְכָתִי; plur. בְּרָכוֹת. R.

فكلمة בְּרֵכָה : بريكَه (بِرْكَة ماء) تُجمَعُ على בְּרֵכוֹת برِيكوت أي: (بِرَك) ، لكن كلمة בְּרָכוֹת برَاكُوت (أي بَرَكَاتٌ) فهي جمع בְּרָכָה برَاكَا (أي بَرَكَةٌ)، وعلى ذلك، فالكلمة لا تعني بِرَكاً من المياه ولكن كما نرى عند علماء بني إسرائيل [١٦٦] :

Plur. בְּרָכוֹת *blessings* **from God, Prov. 10, 6. 28, 2; but oftener** *benefits, favours, gifts,* **sent from God, Ps. 84, 7. Gen. 49,**

تعني: بَرَكَاتٌ من الله وهِبَاتٌ وأَفْضَالٌ مُنَزَّلَة من عنده كما في المزمور ٨٤/ ٧ وهو الشاهد الذي نتحدث عنه!

وكلمة יַעְטֶה تعني: تغطي، وتكسو وتَغْشَى

מוֹרֶה :موره ـ لها عدة معان في العبرية، مثل: (مُعَلِّم ، هَادِي، دَلِيل ، أوَّلُ المَطَر، رَامِي، عَاصِي...) [١٦٧] لكنها ترجمت بألفاظ مختلفة:

فترجمت في كثير من النسخ بلفظ (مطر) كما في ترجمة الملك جمس والترجمة الأمريكية السابقتين وغيرهما، فكان نص العبارة في بعض الترجمات كالتالي:

---

١٦٥ : Lexicon Gesenius page ,page 161

١٦٦ : Lexicon Gesenius page ,page 162

١٦٧ : راجع سجيف (٨٩٤)

]{84:6} [Who] passing through the valley of Baca make it a well; the rain also filleth the pools.

The King James Version of the Holy Bible

١ - ويملأ المطر أيضا الينابيع.

they make it a spring, The early rain also covers it with blessings.

New American Standard Bible 1977

٢- "ويغمر المطر المبكر الينبوع بالبركات"

the early rain also covers it with pools.

New Revised Standard Version

٣- "ويغمرها المطر المبكر أيضا بالينابيع"

[7] As they pass through the Baca valley, they find spring water to drink. Also from pools the Lord provides water for those who lose their way.

New American Bible

٤- " ومن البِرَكِ أيضا يمد الربُ بالمياه أولئك الذين يضلون طريقهم"

وترجمت (باكورة الأمطار) كما نرى في الترجمة اليسوعية

بحيث كان المغمور هم الأشخاص وليس برك المياه ! :

٧ إِذا مَرُّوا بِوادي البَلَسان (٣) جَعَلوا مِنه يَنابيع (٤)
وباكورَةُ الأَمطارِ تَغمُرُهم بِالبَرَكات.
٨ مِن ذُروَةٍ إِلى ذُروَةٍ يَسيرون حَتَّى يَتَجَلَّى اللهُ لَهم في صِهْيون.

وترجمت (المُعلم)

في ترجمة العالم الجديد حتى كانت البركة لمعلّمٍ ما ! :

٦ يَعْبُرُونَ فِي مُنْخَفَضِ وَادِي شُجَيْرَاتِ ٱلْبَكَا،ج
فَيُحَوِّلُونَهُ يَنْبُوعًا.
أَيْضًا بِٱلْبَرَكَاتِ يَتَسَرْبَلُ ٱلْمُعَلِّمُ.خ

وترجمت (الإمام) في نسخة الآباء الدومينيكان، فكانت العبارة : **"وبالبركات أيضا يكسوه الإمام"** !، ولا معنى لها.

وهذا الاضطراب في الترجمة جعل المعنى غير واضح بالمرة، لأن الإشكال في تحديد المراد من لفظة (مُورِه)، لكن إن دققنا في معانيها أكثر سنقرأ في معاجم الحاخامات[١٦٨] ما يلي:

מוֹרֶה m. pr. part. Hiph. of r. יָרָה.
1. *an archer*, see יָרָה Hiph. no. 1.
2. *the early rain*, see יָרָה Hiph. no. 2 also in מַלְקוֹשׁ.
3. *teaching*, Is. 9, 14. 2 K. 17, 28; *a teacher*, Prov. 5, 13; plur. of prophets,
4. *Moreh*, pr. n. a) A Canaanite, like Mamre, whence אֵלוֹן מוֹרֶה Gen. 12, 6, and אֵלוֹנֵי מוֹרֶה Deut. 11, 30, *the oaks of Moreh*, not far from Shechem, so called from their former owner. b) גִּבְעַת־הַמּוֹרֶה *the hill of Moreh* (teacher's hill) in the valley of Jezreel, Judg. 7, 1.

فمن معانيها كما نرى:

١- رامي سهام.

٢- مطر البكور .

٣- معلم .

٤ - <u>اسم علم كنعاني</u>، (ولذلك بُدِئَ بحرف كبير) وهو تل مُورِه، في وادي جزريل.

وفي معجم آخر[١٦٩] كما نرى: هو موضع التضحية بإسحاق (الذبيح عندهم)[١٧٠].

† מֹרִיָּה, מוֹרִיָּה n.pr.loc. אֶרֶץ הַמּ׳ Gn 22² (E), place for sacrificing Isaac, 𝔊 τ. γῆν τ. ὑψηλήν (text dub., v. Di); הַר הַמּ׳ 2 Ch 3¹ site of temple, 𝔊 Αμορ(ε)ια (cf. Jos Ant. 1. 13, 1f.)

فهو إذن اسم علم لذا لا تصح ترجمته أو استبدال غيره من ألفاظ به، كأمطار أو معلم أو غيرها لئلا يفسد المعنى، لذلك كتب بالإنجليزية مبدوءًا بحرف كبير، فالاسم كنعاني عربي، وهو ما يقابل في العربية اسم المروة، وهو نفس الاسم الذي لجبل المروة أو تل المروة في مكة، حيث كان موضع تضحية إبراهيم عليه

---

١٦٨ : Lexicon Gesenius page549

١٦٩ : A Hebrew and English lexicon of the Old Testament page 599

١٧٠ : وهو ما تبين زيفه من سفر التكوين نفسه كما ذكرنا في هامش الفصل الأول.

السلام بابنه الأول، وحيده إسماعيل كما مر علينا في سفر التكوين! فالبركات ستغمر ذلك الموضع المسمى المروة الذي يغشاه الحجيج وزوار بيت الله في مكة المكرمة، ويزيد المعنى وضوحاً أيضاً العبارةُ التاليةُ في النص:

يسيرون من قوة إلى قوة יֵלְכוּ מֵחַיִל אֶל־חָיִל (يِلكو مِحَيْل إل حَيْل)

فكلمة חַיִל(حيل) تعني قوة أو شدة، وتعني أيضا: **"مِتراس من الحجر أو سور واطئ"**[١٧١] ، والمعنى يتضح أكثر في الترجمة اليسوعية، فلفظها: **"من ذروة إلى ذروة يسيرون"** ، بل أوضح ما يكون في الترجمة بين السطور كما مر:

[٨]يَنطَلِقُونَ مِنْ جبَلٍ إلى جبَلٍ

فالذاهبون إلى بيت الرب للحج ينطلقون من جبل إلى جبل! والجبلان اللذان **ينطلقون** (يعني ساعين مسرعين) من أحدهما إلى الآخر هما اللذان يسعى المسلمون بينهما (الصفا والمروة) لإتمام شعائر الحج.!

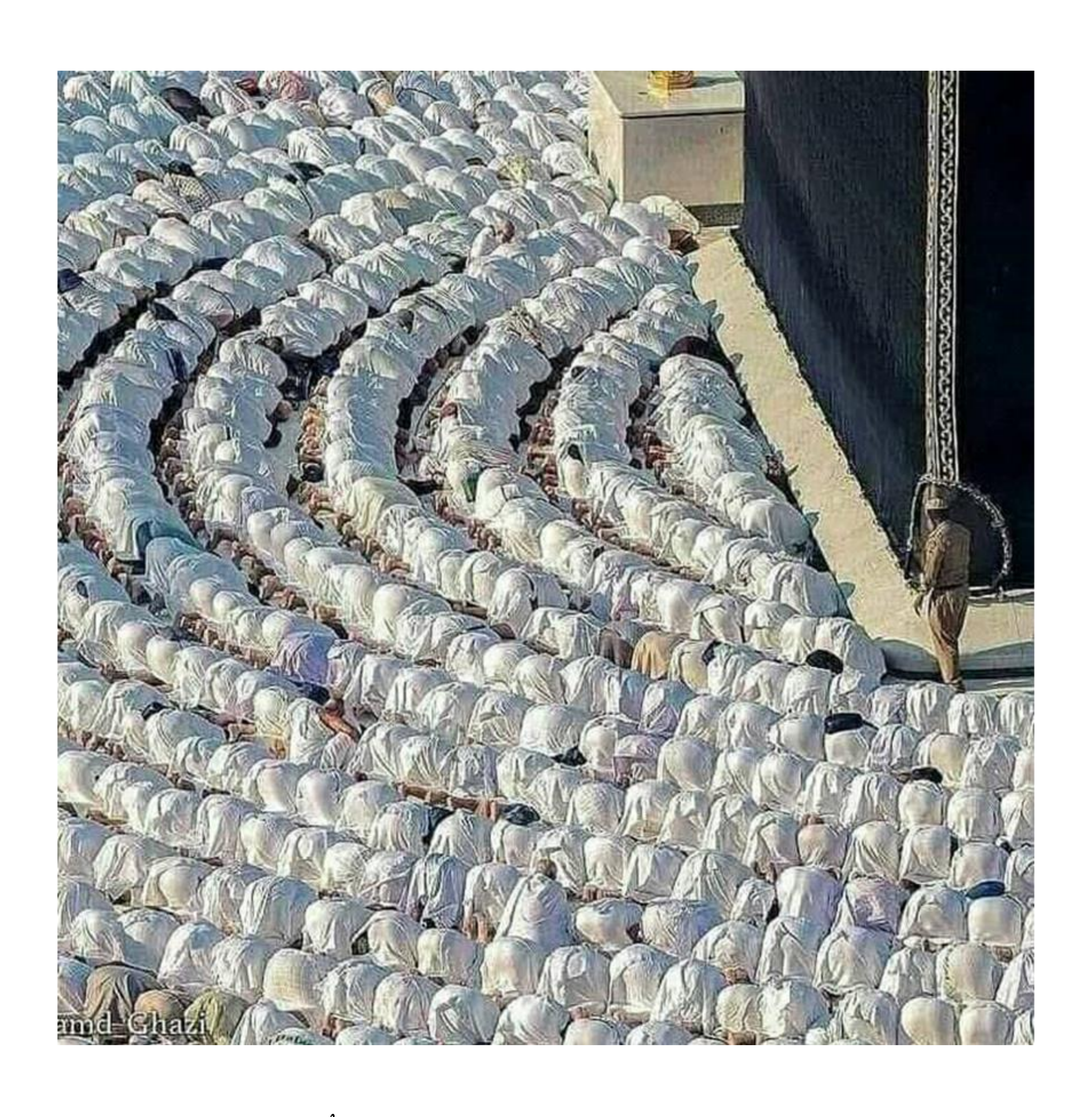
فواضح من هذه النبوءة أن نبي الله داود يغبط هذه الأمة: التي تتعزز بإيمانها بالله، وأكرمها الله بإيفادهم إلى بيته، وجعل لهم في القفر ماء زمزم المُروِي المُشبِع، وقواهم على أداء مناسك حج بيته، وعلى السعي بين الصفا والمروة، وشملهم بالرحمة والبركات في أرضه المقدسة، وجعل (**يَوْمًا وَاحِدًا فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ**) كما قال داود عليه السلام، حيث عبادة يوم في بيته الحرام خير من ألف فيما سواه، كما قال ﷺ: **"صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ"** [١٧٢]

والله ذو الفضل العظيم.

---

١٧١ : راجع قاموس سجيف (٥٥٢)

١٧٢ : مسند أحمد برقم ١٥٢٧١، وابن ماجه برقم ١٤٠٦،



بالوجوهِ إلى الأرضِ يسجدُونَ لَكِ ويلحَسونَ غُبارَ رجلَيكِ
فتعلمِين أنِّي أنا الربُّ الذي لا يَخْزَى مُنتَظِرُوهُ) {إشعياء ٤٩- ٢٣}

وآخر ما نورده في سفر إشعياء عن ذلك قول الرب:

(وقالت صهيون: قد تركني الرب وسيدي نسيني، هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها! حتى هؤلاء ينسَيْن وأنا لا أنساكِ، هوذا على كفّي نقَشتُكِ، أسوارُك أمامِي دائماً، قد أسرعَ بنوكِ، هادموكِ ومخربوكِ منكِ يخرجون، ارفعي عينيك حواليك وانظرِي، كلهم قد اجتمعوا، أتوا إليكِ، حي أنا ـ يقول الرب ـ : إنك تَلبسين كُلَّهُم كحُليّ وتَتَنطَّقِينَ بهم كَعَرُوسٍ، إن خِرَبك وبراريَكِ وأرض خرابك، إنك تكونين الآن ضيقةً على السكان ويتباعد مبتلعوكِ، يقول أيضاً في أذنيك بنو ثكلك: ضيقٌ عليَّ المكان، وسِّعي لي لأسكن، فتقولين في قلبك: من وَلَدَ لي هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر ومنفية ومطرودة! وهؤلاء من رباهم! هأنذا كنت متروكة وحدي، هؤلاء أين كانوا!! .

هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلى الأمم يدي، وإلى الشعوب أُقيم رايتي؛ فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتُكِ على الأكتاف يُحمَلْنَ، ويكون الملوك حاضنيكِ وسيداتُهم مرضعاتِك، بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبارَ رجلَيكِ، فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه) {٤٩- ١٤:٢٣} .

فهنا يقول الرب للمدينة التي سيشرق عليها نوره - وهي مكة بجبالها المقدسة -: إنه غير ناسٍ لها لمجرد أنه أرسل أنبياء كثيرين من أرضٍ غيرها كبيت المقدس، فهذه المدينة المقدسة الجديدة بأسوارها وحدودها بعين رعايته تعالى دائماً، وسيأتي إليها بنوها المؤمنون، ويخرج منها الذين أخربوها من التوحيد بعبادة الأوثان، وسيجتمع إليها الناس كافة كما أقسم الله ـ حيٌ أنا ـ ويلتفون حولها ويحيطون بها (**تلبسين كلهم كحُليّ وتتنطقين بهم كعروس**) وهذا تمثيل عجيب يصف هيئة طواف الناس بالبيت ويشبه إحاطتهم به بالإطار، كما يحيط الحُلِيّ بالجيد والمعصم ، وكما يحيط النطاق بالخصر!! .

لكنها الآن ـ زمن النبوءة ـ ضيقة بأرضها على سكانها رغم قلتهم!، إلا أن بني ثكلها الذين سيعزونها بعد ذلك ويكرمها الرب بهم وهم عباده المؤمنون: حينما

يكثرون ويضيق عليهم المكان؛ سيريدون اتساعاً يكفيهم، وسيكون عجيباً أن هذه الأرض التي كانت عاقراً لم تأتِ بأنبياء ومُبعدة عن أرض الوحي والنبوة: يكثر بنوها المؤمنون حتى تضيق عليهم، فيتم بالفعل توسيعها حتى تستوعب ملايين الزائرين، وقد تمت توسعة الحرم مراراً، بل زالت جبال عن أماكنها لأجل التوسعة لأبنائها الذين يأتون من كل فج عميق !.

وما هو إلا أن يُرسل الله رسوله ﷺ ويُخرج شرعَه للأمم حتى يأتوا من كل مكان رجالاً وركباناً، وسيكون حاضنوها وخادموها الملوك: وارثو الملكوت وملوك أرضها، وسيسجد الناس لله تعالى ولكن إلى جهتها على وجوههم! ومعلوم أنه ليس لأهل الكتاب بيت يصلون نحوه، فليس لهم قبلة، والنصارى لا يسجدون في صلاتهم أصلا!، فليس هذا إلا وصفاً لصلاة أمة النبي الأخير ﷺ نحو بيت الرب الأخير الذي يتمجد أعظم من البيت الأول.

كل هذه الأوصاف التي تبين هيئة قبلة آخر الأمم يتيقنها أهل الكتاب خاصة علماءَهم ويعرفونها جيداً ولا يجهلونها، وقد قال تعالى في القرآن الكريم: (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**) {البقرة/١٤٤} .

وفي ما ذكرناه من سفر إشعياء كفاية .



وتكون هناك سِكّة وطَريقٌ يُقالُ لَهَا "الطريقُ المُقدَّسة" لا يعبُـرُ فيها نَجِسٌ، بل هي لـهم، مَن سلك في الطريق - حتَّى الجُهَال - لا يضل. {إشعياء٣٥/٨}

الفصل الثالث:

الكعبة وزمزم للمؤمنين فقط:

أما الإنجيل فلم يرد فيه ما يخص بيت الله في الإسلام إلا في سفر الرؤيا التي رأى فيها يوحنا اللاهوتي [١٧٣] بعض ما هو كائن بعدُ ، ولن نكرر شرح ما يتماثل مع ما سبق شرحه من نصوص وإنما سنكتفي بإيراده .

فمما يشير إلى الأرض المقدسة الجديدة : ما ورد عن سماء جديدة وأرض جديدة للشعوب ، وبيت يُزين كالعروس: (**ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ**) {رؤيا ٢١- ١:٤} .

وهنا نرى أرضاً جديدة: مدينة مقدسة جديدة لأن الأولى مضت وانتهت - بزوال الهيكل كما قلنا من قبل - ونزولها من السماء: تشريفها بوحي الله وأمره، والمسكن يعني البيت، والناس: جميع الأمم، ومعنى أن البحر لا يوجد فيما بعد وقد ذهب مع الأرض الأولى: أن الأرض المقدسة الجديدة (أورشليم الجديدة) ليست بجوار البحر وإنما في وسط الصحراء، مما يبين أنها مغايرة لأورشليم القدس المعروفة منذ القدم، فهي إذن مهبِط الوحي بالدين الجديد كما قال عبد الأحد داود: "وقد وصفت لنا الرؤى بشكل عجيب كيف ستُرفع القدس من أرضها وتُزرع في بلاد جنوبية ... إن القدس الجديدة لم تكن إلا مكةَ التي تقع

---

١٧٣ : يوحنا اللاهوتي أو يوحنا البَطْمُسي، وهو غير يوحنا بن زبدي الذي ينسب إليه إنجيل يوحنا، ويوحنا اللاهوتي اختلف فيه علماء أهل الكتاب وظنوا أنه كان بعد زمن المسيح لمجرد أن أقدم مخطوطة لسفر الرؤيا وجدت في القرن الأول الميلادي، بينما يعتقد بعضهم أنه أحد الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح، وذلك لغموض شخصيته وقلة المعلومات عنه وطبيعة سفره الذي احتوى على نبوءات كبيرة دقيقة لم تكن حتى لأحد من حواريي المسيح الذين عاصروه أصلا، فضلا عن أنه ليس هناك من نبي بين المسيح ومحمد عليهما السلام.

جنوباً، والمرتفعان اللذان تضمهما، ـ وهما المروة والصفا ـ يحملان نفس الاسمين (موريا) و (زيون) للمرتفعين في القدس ولهما نفس المعنى" [١٧٤]

وفي مزيد بيان عن هذه المدينة يقول يوحنا: **(ثُمَّ جَاءَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّبْعَةِ الْمَلاَئِكَةِ ... وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَل عَظِيمٍ عَال، وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَهَا مَجْدُ اللهِ، وَلَمَعَانُهَا شِبْهُ أَكْرَمِ حَجَرٍ كَحَجَرِ يَشْبٍ بَلُّورِيٍّ. وَكَانَ لَهَا سُورٌ عَظِيمٌ وَعَال)** {٢١-١٠} .

واليَشَب: "نوع من البلور غير الشفاف .. ، ويُظن أن النوع الأخضر القاتم هو المراد في الكتاب المقدس" [١٧٥]، وهو نفس الوصف الذي سبق ذكره في إشعياء ٥٤ وينطلق إلى أساس بيت الله تعالى (وأوردنا من السيرة ما يدل على هذا الوصف عند بناء الكعبة).

ونستكمل وصف يوحنا الذي يقول: **(والمدينة كانت موضوعة مربعة طولها بقدر العرض ... الطول والعرض والارتفاع متساوية)** {٢١-١٦} وهذا يعني صراحة أن البيت المقدس الجديد مكعب الشكل!.

وعن صفة عمار هذا المكان ـ كما ذكر إشعياء من قبل ـ يقول يوحنا: **(بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين <u>بثياب بيض</u> .... هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر)** {٧-٩ ، ١٥} .

وكل ما يحدد اجتماعاً من كل الشعوب لا يخص دين موسى ولا عيسى لأنهما لم يُرسلا لكل الشعوب ، واجتماع الناس من كل الأمم بالملبس الأبيض لا يحدث إلا بمكة لأداء الركن الخامس للدين الإسلامي الذي اختص هو والركن الأول بديننا

(١٧٤) محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص ١٧٢.

١٧٥: قاموس الكتاب المقدس (٥٠٨/٢).

الحنيف دون الثلاثة الأخرى، ويجب أن نعلم أن ذلك الحرم الطاهر بمكة من أسمائه عند المسلمين: العرش[١٧٦] كما ورد في بعض كتب السير ، والخروف هو رمز نُسُك الأضاحي والهدي التي يذبحها المسلمون قربانا إلى ربهم تبارك وتعالى.

والمدينة التي ذُكر في إشعياء من قبل أنها لا تحتاج لنور الشمس ولا القمر ذكرها يوحنا كذلك: (**والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها ... وتمشي شعوب المخَلَّصين بنورها ، وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها وأبوابها لن تغلق نهاراً لأن ليلاً لا يكون هناك، ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها، ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً**) {رؤيا ٢١- ٢٣: ٢٧}

فهذه المدينة يجتمع فيها الغِنَى من كل أنواع المال والتجارة، والعبادة فيها لا تنقطع ليلَ نهارَ، ولن يكون فيها رجس ولا وجود للوثنية فيها، ولن يدخلها من تنجس بالشرك، وذلك كما أمر الله في الشريعة الجديدة والوحي الجديد: (**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**) {التوبة/٢٨} يعني من غير المسلمين.

وهذا قريب من قول إشعياء {٣٥- ٥ :٨}: (**حينئذ تتفقح** [١٧٧] **عيون العُمي، وآذان الصم تتفتح، حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر، ويصير السراب أَجَماً، والمعطشةُ ينابيعَ ماء ... وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر فيها نجس بل هي لهم ، من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل**) فحتى الجهال الذين لا حظ لهم من العلم الدنيوي ويصمهم أهل الكتاب بالجهل والسذاجة مهتدون لا يضلون، ما داموا قد آمنوا بالله تعالى وما أَنزَلَه، ونبيه ﷺ الذي

١٧٦: انظر سبل الهدى والرشاد (٢٢٧/١) .

أرسَلَه، ولهم فقط جعل الله في الصحراء القفر ماء عذبا يشربونه من بئر زمزم التي لا تنضب أبدا، ولا يشرب منها غير عبيد الله المؤمنين الذين يدخلون هذه الأرض دون غيرهم.

ومن صفاتهم أيضاً في هذا المكان كما يذكر نفس السفر: **(وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ، وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ، وَلاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ)** {رؤيا ٢٢-٤}.

فعبيده تعالى يخدمونه تعالى بتطبيق مناسك شرعه، ويخدمون بيته دائماً، واسمه الذي على جباههم هو شرفهم الحاصل لهم من عبادته وليس المراد بأن اسمه يكون مكتوباً بالحروف على الجباه إذ ليس ذلك لأحد من بشر، وإنما المراد هو علامة العبودية لله تعالى، بدليل قول يوحنا في موضع آخر واصفاً هذه الأمة أيضا في معرض أحداث تقع آخر الزمان وما يصيب الناس فيه من ويلاتٍ: **(وَمِنَ الدُّخَانِ خَرَجَ جَرَادٌ عَلَى الأَرْضِ، فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا كَمَا لِعَقَارِبِ الأَرْضِ سُلْطَانٌ. وَقِيلَ لَهُ أَنْ لاَ يَضُرَّ عُشْبَ الأَرْضِ، وَلاَ شَيْئًا أَخْضَرَ وَلاَ شَجَرَةً مَا، إِلاَّ النَّاسَ فَقَطِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ خَتْمُ اللهِ عَلَى جِبَاهِهِمْ)** {رؤيا٩-٣} فالختم على الجباه حاصل بالعبادة له تعالى والسجود له، وهذا إنما يذكرنا بقوله تعالى واصفاً أمة النبي ﷺ الوارثة: **(مُحَمدٌ رَسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُود ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ)** {الفتح/٢٩} .

ويجب أن نتنبه إلى أن كل هذه البشارات التي ذكرها يوحنا، ذكر إشعياء مثلها من قبل وهذا يعني أنها أمور مستقبلية: **(نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ،**

١٧٧: أي تتفتح ، وفي طبعة١٩٩٩م: " تتفقع" وليس لها معنى إلا نصوع اللون وهو لا يعطي المعنى السابق (التفتح) !! .

وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوق يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلاً: اصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هذَا) { يوحنا ٤-١} ، وليس بعدهما إلا الإسلام .

وما يقال من أن هذه المدينة (أورشليم الجديدة) يقصد بها في سفر الرؤيا الكنيسة التي هي المدينة الروحية رمز السلام غير صحيح، لأن ذلك لا يتماشى مع النصوص الصريحة التي تذكر أشكالاً وألواناً وطرقاً مقدسة وبيتاً يحيط به الناس من كل الأمم، فلا الكنيسة يجتمع حولها كل الشعوب، ولا يتزيَّا كل رعاياها بهذا الزي الموحد، ولا يطوفون بها أو يحيطون بها، ولا يرتفع بنيانها المكعب بحجارة سوداء!.

فهذه النعوت تخص أمة المسلمين في الكتاب المقدس، ولم تذكرها الأسفار لمجرد تشريف هذه الأمة الأخيرة وبيان الفضل الإلهي عليها فقط، ولكن لحث المؤمنين بالكتاب المقدس وبكل ما فيه على أن يتبعوا تعاليمه التي تأمرهم بالإيمان بهذا النبي الأخير، الذي من يكفر به؛ فإن الله يطالبه.

الخاتمة

هكذا تتحدث الكتب المقدسة بجلاء عن الدين الأكمل الذي يجب على كل من يبتغي الخلاص والنجاة أن يؤمن به، وقد اجتمعت كلمة الأنبياء في بشاراتهم على مضمون واحد؛ هو الإخبار بمجيء رسالة عامة للخلق كافة، على يد نبي عُرِف اسمُه، واتضحت صفاته وصفات أتباعه .

وهذه البشارات والإشارات التي جاءت بها الكتب المقدسة ونقلناها في هذا الكتاب تبيَّن منها أن هذا الدين "الإسلام" هو الدين الخاتم، وهو مملكة الله تعالى أو ملكوته، وليس من شرط هذا الملكوت أن يُنالَ في الدنيا الزائلة، لكنه "ملكوت السموات" الذي يناله المؤمنون في الفردوس الخالدة بعد قضاء الدينونة.

وتبيَّن أن نبيه محمداً ﷺ هو النبي الخاتم، ومكانته تسمو على مكانة جميع الأنبياء، وأنه هو الذي يكون عليه رجاء الأمم بشفاعته لهم إن آمنوا به، بل إنه ﷺ يشفع لكل الأمم يوم القيامة، مؤمنهم وكافرهم ليعجل الله بالحساب، وذلك بعدما يتعلل كل نبي بعذر ويترك الشفاعة الكبرى لمن هو أهل لها، وحينئذ يدرك كل الخلق جلالة قدره ﷺ

وتبيَّن أن أمته ﷺ هي الأمة الوارثة، وتبين مكان بعثته مركز ديانته، وصفة أمته، وحجهم لبيته تعالى، الذي سيصير قبلة الأمم، وبعض صفات هذا البيت .

وعلى كل عاقل تهمه سلامته أن يجتهد في تحري الحق، لأن مصيره الأبدي متعلق به، فإما عذاب دائم أبد الآبدين، وإما نجاة وولوج لملكوت السموات، ولكن بعد الإيمان بالله الواحد عز وجل، وبنبيه الذي لا يرتضي الله إيمان أحد إلا من خلال الإيمان به ﷺ واتباعه.

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

القاهرة ، أغسطس ٢٠٢٢ م

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**

٢- **الكتاب المقدس** (الترجمة البروتستنتية طبعات:١٩٧٠- ١٩٨٣-١٩٩٩).

٣- **الكتاب المقدس،** طبعة الآباء الدومنيكان، جمعية الكتاب المقدس في لبنان ط ١٨٧٥.

٤- **الكتاب المقدس،** الترجمة اليسوعية، طبعة دار المشرق ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

٥- **التوراة السامرية،** مكتبة دار الأنصار، مصر، طبعة ١٩٧٨م.

٦- **الكتاب المقدس،** ترجمة العالم الجديد: (WATCHTOWER BIBLE AND TRACT SOCIETY OF NEW YORK, IN C .Brooklyn, New York, U.S.A 2004)

٧- **العهد القديم العبري،** ترجمة بين السطور، بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية، ط ٢٠٠٧

٨- **الإنجيل** (كتاب الحياة: الترجمة التفسيرية) .

٩- **تفسير الطبري،** دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢٠٠١

١٠- **فتح الرحمن في تفسير القرآن؛** مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت:٩٢٧هـ) تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

١١- **معاني القرآن،** أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت:٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف النجاتي/محمد علي النجار/عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة

١٢- **أحكام القرآن،** أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص (ت:٣٧٠هـ) تحقيق محمد صادق القمحاوي عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي، بيروت

١٣- **تيسير الكريم الرحمن** في تفسير كلام المنان للسعدي، مؤسسة الرسالة، ط ٢٠٠٠.

١٤- **تفسير السمعاني،** أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت:٤٨٩هـ)، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٥- **تفسير ابن كثير،** مكتبة التراث، الناشر: مكتبة الدعوة الإسلامية.

١٦- **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧ هـ) تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ بالمملكة العربية السعودية) الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م.
١٧- **سنن الترمذي**، (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م
١٨- **سنن الدارمي**، تحقيق: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٣م
١٩- **السنن الكبرى**، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣ م
٢٠- **سنن أبي داود** ، دار الحديث ، حمص ، سورية ، ط ١٩٧٣ .
٢١- **صحيح البخاري** . دار الفكر .
٢٢- **الشمائل المحمدية**، الترمذي ، دار العلم ، جدة ط ١٩٨٣ .
٢٣- **دلائل النبوة للبيهقي**، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م.
٢٤- **المطالب العالية** بزوائد المسانيد الثمانية لابن أبي شيبة ، المطبعة العصرية ، الكويت ، .١٩٧٣
٢٥- **سنن النسائي** ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٩٨٦ .
٢٦- **المعجم الكبير للطبراني** ، مطبعة الوطن العربي ١٩٨٠ .
٢٧- **مسند الإمام أحمد** ، دار صادر . بيروت .
٢٨- **الطبقات الكبرى**، ابن سعد (ت:٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٠ م.
٢٩- **دلائل النبوة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ)، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية،١٩٨٦ م.
٣٠- **مستدرك الحاكم**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت:٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.
٣١- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، (ت:٣٥٤هـ)، ترتيب: علاء الدين علي بن

بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق وتخريج شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٨٨ م
٣٢- **مسند أبي داود الطيالسي،** أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت:٢٠٤هـ) تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى ١٩٩٩ م
٣٣- **معجم ابن الأعرابي،** أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (ت:٣٤٠هـ) تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ١٩٩٧ م.
٣٤- **المُعلم بفوائد مسلم،** أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت:٥٣٦هـ) تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، الطبعة الثانية ١٩٨٨ م
٣٥- **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح،** شمس الدين البِرْماوي ، (ت:٨٣١ هـ)، دار النوادر، سوريا.
٣٦- **حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين،** يوسف بن إسماعيل النبهاني، مكتبة الجندي.
٣٧- **أطلس المدينة المنورة،** د. محمد شوقي مكي، جامعة الملك سعود، الرياض ط..١٩٨٥
٣٨- **السيرة النبوية،** أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، (ت:٢١٣هـ)، ضبط وتعليق طه عبد الرؤوف، مكتبة الطلبات الأزهرية ، المكتب الثقافي، ط ١٩٧٤ .
٣٩- **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** / المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٧ .
٤٠- **تاريخ الطبري،** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ) ، دار التراث، بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.
٤١- **الخصائص الكبرى،** جلال الدين السيوطي (ت:٩١١) ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٢- **دلائل النبوة،** إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الأصبهاني، (ت: ٥٣٥هـ) دار طيبة - الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٣- **تاريخ دمشق،** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت:٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ١٩٩٥.
٤٤- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ) تحقيق: عمر عبد السلام التدمري دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٤٥- **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع:** المقريزي (ت:٨٤٥هـ) تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٩ م.
٤٦- **السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي،** أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٤٧- **اليهودية** ، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط الثامنة ١٩٨٨.
٤٨- **محمد رسول الله، هكذا بشرت به الأناجيل،** بشرِي زخارِي ميخائيل، عالم الكتب، الطبعة الثانية.
٤٩- **مجلة منبر الإسلام** / العدد ٦ للسنة ٣٥ (مايو ١٩٧٧) .
٥٠- **رسالة اسم نبي الإسلام** في إنجيل عيسى عليه السلام . د/ أحمد حجازي السقا .
٥١- **قصص الأنبياء** : عبد الوهاب النجار، دار الجيل ، ٢٠٠٩ .
٥٢- **دائرة المعارف الكتابية،** ط: دار الثقافة.
٥٣- **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم الحديث** . موريس بوكاي ط (١٩٨٥) .
٥٤- **بلاد ما بين النهرين** : ل . ديلابورت / ترجمة محرم كمال .
٥٥- **تراث العالم القديم** : و.ج دي بورج / ترجمة زكي بسوس . ط ١٩٦٥ ، دار الكرنك للنشر والتوزيع .
٥٦- **هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ؟** منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٧.
٥٧- **محمد رسول الله في الكتب المقدسة،** سامي عامري، مركز التنوير الإسلامي، القاهرة، ط٢٠٠٦.
٥٨- **أرض الميعاد** ، د/حسين فوزي النجار، ط ١٩٥٩مكتبة الأنجلو المصرية .

٥٩- **من أعلام العرب عبد الله بن عمرو بن العاص،** محمد سيف الدين عليش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٦ .
٦٠- **معجم محيط المحيط** ، بطرس البستاني . بيروت ١٩٨٧ .
٦١- **قاموس الكتاب المقدس،** تأليف وترجمة د/ جورج بوست، المطبعة الأميركانية، بيروت ١٩٠١ .
٦٢- **شبهات وهمية حول الكتاب المقدس،** القس منيس عبد النور، إصدار كنيسة قصر الدوبارة ط١٩٩٢، دار الطباعة القومية بالفجالة .
٦٣- **محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى،** عبد الأحد داود (ديفيد بنيامين ، قسيس أورميا في إيران سابقاً) ترجمة : محمد فاروق الزين ، ط ٢ سنة ١٩٩٦ نهضة مصر .
٦٤- **قاموس سجيف،** دافيد سجيف، دار شوكن للنشر، تل أبيب، ط ١٩٩٠.
٦٥- **قاموس الأفعال العبرية،** م ضباعي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥.

المصادر الأجنبية:

1- New American Bible
2- New American Standard Bible, 1977
3- The Hebrew English interlinear ESV old testament
4- Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Francis Brown, Boston and New York 1907
5- The holy bible, published by The Church of Jesus Christ of Latter – day Saints , Salt Lake City, Utah, USA.
6- Hebrew And English Lexicon of the old testament, by Edward Robinson, 23rd edition, 1882:
7- The Bible, new revised standard version, Zaine Ridling, copyright 1989, division of Christian education

of the national council of the churches of Christ in the United States of America.

8- A concise dictionary of the words in The Hebrew Bible, James Strong, ABINGDON press, Nashville, New York, copyright 1890.

9- The Jewish Encyclopedia, Funk and Wagnalls company, copyright 1901 USA

الفهرس



هذا الكتاب

يتناول حقيقة أن نبي الله محمدا ﷺ قد وردت البشارات به على ألسنة الأنبياء في الصحف والكتب المنزلة عليهم، وبيان مواضع ذلك فيها، وكذلك صفات مكان ظهور دينه، وتحديد قِبلة أمته، وصفات بيت الله الذي يؤمُّونه في صلاتهم، فضلا عن بيان الكتاب المقدس قبل ذلك أن بني إسرائيل أمة قد حكم الله عليها بالغضب واللعن الأبدي، وأن ما كان قد وُهِبَ لهم من الانفراد بالنبوة والسيادة على الناس قد نُزِع منهم إلى أمة أخرى، وهي أمة محمد ﷺ ولله الفضل والمنة.

المؤلف